الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القار
للعلوم الإسلامية

الرقم التسلسلي : .....

الرقم الترتيبي : .....

كلية : أصـــول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية

قسم: مقارنة الأديان

الحـوار بـين اليهوديـة والإسـلام

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

إعداد الطالب:

عبد الوهاب العمري

إشراف :

د/ إسماعيل زروخي

أعضاء اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصليـــة
1- الرئيس	د / السعيد عليوان	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
2- المقرر	د/ اسماعيل زروخي	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة
3- عضو	د/ عبد القادر بخوش	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
4- عضو	د/ بشير كردوسي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر
5- عضو			

الموسم الجامعي : 2003/2002

نوقشت يوم : 2004/03/24

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى الوالدين الكريمين ﴿ رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ .

إلى شقيقة الروح، الزوجة المجاهدة المثقفة . . .

إلى فلذات الأكباد الذين نسأل الله أن يكونوا . . .

إلى الأخوات، والإخوة الأفاضل

إلى فريق DATA SONIC البواسل

إلى روح ابني الذي لم ألده: "محمد الدرة" . . .

إلى روح والدي الذي لم يلدني، شيخ الشهداء: " أحمد ياسين"

إلى قوافل الشهداء الأطهار

إلى أنا مل رجال الحجارة الأحرار

إلى صاحب كل قضية عادلة

أهدي هذا العمل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة:

يعد هذا البحث " الحوار بين اليهودية والإسلام " مساهمة علمية متواضعة في مجال الدراسات الدينية المقارنة والحوار بين الأديان، والحضارات، وقد حرصت أن يكون ذلك من زاوية محايدة توخياً للموضوعية وعدم غمط حقوق الآخر. لأنه لُوحظ أن آليات وأساليب وأهداف الحوار"المسيحي الإسلامي"مثلا، سعى إلى احتضانها، و تفعيلها وتوجيه مساراتها جهات مسيحية أكثر منها إسلامية أو محايدة.

وحتى لا تُفرض علينا أشكال غير موضوعية ولا محايدة للحوار مع الآخر وخاصة اليهود و الحركة الصهيونية، باسم "سلطة النموذج" التي يشهدها العالم اليوم في ظل عولمة طاغية ذات مظاهر متعدِّدة، وسيادة إمبراطورية شاملة على مصادر الإنتاج وميادين التجارة والاقتصاد، والسياسة والعلاقات الدولية، والتي تسعى من خلالها إلى فرض نموذج ثقافي وحضاري واحد، وقِيَمٍ نَمَطِيَّة واحدة تدير بها الصراع والحوار في آن واحد متى وأينما أرادت، يأتي هذا البحث كمحاولة لدراسة موضوع الحوار بين اليهودية والإسلام، والذي يمكن من خلاله فهم خلفيات الصراع العربي الإسرائيلي من جهة، ورصد مسار و أفاق حل مشكلة القضية الفلسطينية من جهة أخرى في ظل هذه المنظومة الغربية المهيمنة.

إذ لا يكاد يخفى على أحد أن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع ديني حضاري، قبل أن يكون سياسيا أو مجرد مقاومة للاحتلال، ذلك أن وجود الكيان الصهيوني اليهودي في قلب الوطن العربي" فلسطين " أساسه فكرة دينية بحتة متجسدة في " أرض الميعاد " المزعومة، والتي حُشدت لها كل الأساليب السياسية والعسكرية لتتحقق.

امتزاج "الديني بالسياسي" يستوجب – على أقل تقدير- أن تكون الدراسة دينية وسياسية في آن واحد، لفهم آليات هذا العدوان وهذا الصراع، وهذا ما جعل هـذه الدراسة تقوم على بعدين: أحدهما ديني، والآخر سياسي.

علما أن اعتماد أحدهما دون الأخر يجعل الرؤية في اعتقادنا قاصرة بعيدة عـن الموضوعية والتشخيص الصحيح، في حين نلاحظ أن الطرف اليهودي يطوع ويكيف وسائله السياسية وفق البعد الديني الذي به أوجد هذا الكيان.

لذا حاولت في هذه الدراسة الإجابة على سؤال رئيس وهو: هل يمكن إنهـاء الصراع بين الطرف الإسلامي واليهودي بالحوار واتفاقيات السلام ؟ وهل كان هناك حوار بين المسلمين واليهود حتى يمكن تحديثه و بعثه من جديد ؟.

الإجابة على ذلك تقتضي الإجابة على أسئلة أخرى، منها:

هل هناك أصلا من الناحية النظرية أسس فكرية للحوار في كل مـن الـديانتين اليهودية والإسلام.؟ لأن الذي يفتقد لأسس الحوار في أبجدياتـه الفكريـة وأصـوله العقدية لا يمكنه بحال محاورة الآخر، وإن حاول فستكون محاولاته ظرفية مصـلحية، ينتابها كثير من القصور والتعثر.

ومن جهة أخرى، فالبحث في الأصول الفكرية والعقدية يحدد بدقة مساحة الهوة و الخلاف بين النظرية و التطبيق، و يعرفنا بمدى التزام كلا من الشعوب الإسـلامية واليهودية لتعاليمها الدينية في حوارها وتعاملها مع الآخر.

و لمعرفة ذلك عدت إلى دراسة النصوص الدينية في أصولها الإسلامية واليهودية من جهة، ومن جهة أخرى بحثت في ثنايا بعض المحطات التاريخيـة للكشـف عـن العلاقات التي كانت بين الشعبين اليهودي والمسلم، ومعرفة ما إذا كانـت ثابتـة أم متغيرة ؟ أم أنها كانت تتأرجح بين التواصل والصراع؟ وكيف كانت أساليب الحوار، والصراع معا ؟ و في أي فترة كانت هذه وتلك ؟.

انطلاقا من الخلفية النظرية والتاريخية للحوار بين الأمتين هناك سؤال آخر تجدر الإجابة عليه وهو:

هل هناك معوقات للحوار بين المسلمين واليهود في واقعنا المعاصر؟ وهل يمكن القضاء عليها.؟ لأنه مهما كانت صور وأشكال الحوار في الماضي، فهي حبيسة مناخ دولي، وظروف تاريخية واجتماعية ونفسية معينة، وبتغير هذه وتلك تنشأ جغرافيا جديدة قد لا تنفع معها نفس الأشكال والصور " الماضوية" للحوار. فالتعامل الإسلامي مع اليهود في الأندلس مثلا، يخالف تماما التعامل اليهودي مع المسلمين اليوم في فلسطين، وعلى ضوء هذه الظروف الراهنة تصبح معوقات الحوار بين الجانبين متعددة الأبعاد : دينية ،و سياسية ،و اجتماعية ،منها ما يمكن إزالته ،ومنها ما يمكن تخفيف حدته ومنها ما يستحيل مجرد التفكير في زحزحته .

كل هذه الأسئلة وغيرها تعمل الإجابة عليها على بلورة مختلف التصورات للحوار بين الجانبين الإسلامي واليهودي، كما تحدد أفاق تسوية القضية الفلسطينية.

أما أسباب اختياري هذا البحث فيعود لسببين أحدهما ذاتي والآخر علمي:

أما الذاتي فلأن الاحتلال الصهيوني لفلسطين والمقدسات الإسلامية يُعد طعنة في قلب كل مسلم غيور على ثوابته ومقوماته، ولا تزول غصة الاحتلال من الحلوق إلا بتحرير المسجد الأقصى من براثن الاحتلال الصهيوني, وما اختياري لهذا البحث إلا شعوري العميق بأني فدائي يجاهد بقلمه، واقفا على ثغر من الثغور التي يحب ألا يؤتى الفدائي من قبلها، مدافعا عن القضية العادلة من خلال فضح العدو، وكشف خلفياته الدينية والسياسية التي يبرر بها اغتصاب الأراضي العربية و المقدسات الإسلامية.

وأما السبب العلمي فهو متعدد الوجوه منها:

- بيان أن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع ديني حضاري قبل أن يكون سياسيا، لذا فالحوار مع الكيان اليهودي لابد ألا يتعارض مع معتقداتنا الدينية، وقيمنا الأخلاقية، وعليه يجب تكييف الحلول والمقترحات السياسية وفق هذا المنظور دون معارضته، أو محاولة القفز عليه تحت أي تأثير، كدعوى فصل الدين عن السياسة، أو كدعوى التفتح نحو الآخر، أو التزام الموضوعية مثلا، فلا الفصل بين الدين و السياسة،

ولا الانفتاح نحو الآخر ولا الموضوعية تعني التنازل عن المعتقدات الدينية والقناعات السياسية، وهذا عينه ما يطبقه الطرف الآخر كلما حاول أن يحاورنا.

- إثبات أن أي دراسة تحاول التركيز على البعد السياسي دون البعد الديني أو العكس تعد - في نظرنا- أحادية البعد غالبا ما تكون قاصرة، بعيدة عن النظرة الموضوعية ذلك أن تأثير الديني على السياسي أكبر من تأثير السياسي على الديني. لذا فالإحاطة بالمعطيات والخلفيات الدينية الإسلامية واليهودية من شأنه أن تعطي للمحاور السياسي دفعا قويا وفعالية كبيرة عند الحوار.

- محاولة فهم الآخر- اليهودي- بناء على خلفيته الدينية والثقافية، بعيدا عن النظرة العاطفية التعصبية، القائمة على التفسير التآمري للأحداث، وذلك لتحديد آليات الحوار معه بدقة.

- محاولة التأصيل الشرعي للحوار مع الآخر خاصة اليهود، لإيجاد بدائل إسلامية حتى لا تُفرض علينا أشكال للحوار معهم كيفما اتفق.

- محاولة إظهار الإسلام على صورته الحقيقية، أنه دين حوار وتواصل، وأنه لا يخشى الحوار مع الآخر مهما كان موقعه، وبذلك نميط عنه الفكرة التطرفية الإقصائية، التي تحاول أطراف عديدة إلصاقها بالإسلام والمسلمين.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: وقد عنونته "الأسس الفكرية للحوار" والغرض منه العودة إلى الأصول الإسلامية واليهودية لمعرفة مدى أصالة الحوار في الديانتين و دعوة النصوص إليه. وقد قسمته إلى مبحثين:

- الأول: " الحوار في الأصول الفكرية الإسلامية ": والمتمثلة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وقواعد السياسة الشرعية.

- الثاني: " الحوار في الأصول الفكرية اليهودية ": والمتمثلة في نصوص العهد القديم، والتلمود، واللذان يشكلان المرجعية الفكرية لليهودي، دون التعرض إلى

مرجعيات أخرى كبروتوكولات حكماء صهيون مثلا، لعدم ثبوت صحتها العلمية عند بعض الباحثين المسلمين، و لنفي اليهود أنفسهم كونها من مصادرهم.

- الفصل الثاني: وقد عنونته " أساليب الحوار": والغرض منه بيان محطات التقاطع بين اليهود والمسلمين وتحديد طبيعة العلاقات التي كانت تربطهم من أساليب الالتقاء والتواصل، إلى أساليب الصراع والصدام.

لذا قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

- الأول: " أسلوب التواصل": وبينت فيه بعض نماذج التواصل والالتقاء بين الأمتين عبر بعض المراحل التاريخية كالحقبة الفاطمية، والأندلسية سواء كان هذا التواصل اجتماعيا، أو سياسيا.

- الثاني: " أسلوب الصراع ": وبينت فيه بدايات الصراع بين المسلمين و اليهود في عصر النبوة و مواقفهم منه ﷺ قبل البعثة وبعدها، حتى إجلائهم من المدينة.

- الفصل الثالث: وقد عنونته" معوقات الحوار": والغرض منه بيان الأمور التي تعيق حركية الحوار بين الطرفين في الحقبة المعاصرة، وبوجودها تسود لغة الصراع والصدام على التواصل و التعايش والحوار، وأي محاولة لتجاوزها دون الفصل فيها، تجعل من الحوار شكلا من أشكال الصراع فحسب.

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

-الأول: "عائق الاحتلال الصهيوني ": وبينت فيه علاقة الصهيونية بالاحتلال، من خلال عرض موجز لتاريخ نشأتها، وبيان أهدافها ووسائلها القائمة على القمع والاحتلال، والتي أنتجت كيانا صهيونيا لا يعرف معنى الحوار مع الآخر، إلا إذا دلّ على الاستسلام والخنوع بناء على خلفية دينية بحتة قائمة على عنصرية الشعب المختار و إقصائه للآخر ما دام أنه " أممي" من " القويم". ويعد هذا أكبر معوق يصطدم به المحاور مع هذا الكيان مهما كانت براعته و حنكته السياسية.

ولبيان حدة الصراع بين الطرفين بينت مترلة الأرض عموما و القدس خصوصا في التصور الإسلامي ومدى ارتباط المسلم بها.

-الثاني:" عائق عودة اللاجئين وتهويد القدس": وبينت فيه أن الهجرة اليهودية نحو فلسطين عن طريق بناء المستوطنات، مقترنة بالتهجير الفلسطيني نحو الشتات وبناء المخيمات.

أي اقتران الهجرة بالتهجير و المستوطنات بالمخيمات في صورة جدلية متناقضة تعكس السعادة اليهودية بالعودة، ويقابلها ألَمُ الطرد الجماعي للشعب الفلسطيني. مما يجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات منها:

كيف يمكن تحطيم جدار الكره والنفور بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي و قبول كلا الشعبين الانصهار أو على الأقل التعايش مع الآخر، بعد أكثر من نصف قرن من الاحتلال الاستيطاني الصهيوني ؟ وهل يمكن ذلك أصلا ؟

أم كيف يمكن تكوين دولة واحدة بشعبين، كما يحلو لبعض الساسة تسميتها " إسراطين "، في ظل تأكيد الاحتلال على التمييز بين الشعبين من خلال بناء المستوطنات اليهودية الفاخرة على الأراضي الفلسطينية وتشجيع هجرة اليهود إليها، مقابل رفض عودة اللاجئين بل وطرد مزيد من الفلسطينيين خارج فلسطين نحو الشتات في مخيمات تفتقر لأدنى شروط الحياة.؟

أم كيف يمكن إقامة دولتين بشعبين أحدهما مُهَجَّر بسلطان القوة، والآخر مُهَاجر تحت سلطان الإغراء.؟ وما هي عاصمة هذا وذاك.؟

لذا تطرقت إلى أعقد مسألة بين الجانبين الإسلامي واليهودي، وهي مسألة تهويد القدس، وكيف يعمل الجانب الإسرائيلي على طمس معالمها وشخصيتها الإسلامية، وجعلها العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل، في حين لا يتصور الجانب الإسلامي التفريط في ذرة من ذراتها حتى ولو تنازل عنها الفلسطينيون أنفسهم، و أبيد من أجل بقائها أرضا عربية إسلامية كل العالم الإسلامي من طنجة إلى جاكارتا.

وقد أنهيت بحثي هذا بخاتمة استعرضت فيها النتائج العامة للبحث والمبرزة للشروط الموضوعية التي يجب أن تتوفر لإيجاد حل نهائي شامل وعادل للقضية

الفلسطينية، و تحدد مصير اتفاقيات السلام المبرمة، كما تساهم في رسم معالم جديدة لأشكال الحوار في مستقبل، على ضوء التغيرات الدولية المعاصرة.

أما المنهج المستخدم في الدراسة هو" تحليلي مقارن " إذ أحلل النصوص والمعطيات التاريخية من جهة، وأقارنها بما يقابلها سواء وفق المنظور الإسلامي أو اليهودي من جهة أخرى.

وقد يلحظ القاريء أني لم أعقد مقارنات مباشرة عند نهاية المباحث أو المطالب، وإنما يلاحظ المقارنات من خلال عرض الرأي في هذه الديانة ثم الرأي في الديانة الأخرى، تاركا الفرصة للقاريء عقد المقارنة طبيعيا دونما توجيه مني، وقد فعلت ذلك توخيا للموضوعية، حيث تركت النصوص في كلتا الديانتين تعبر عن نفسها دونما تدخل مني حتى أتجنب كل معاني التحامل، أو التفسير الذاتي للنصوص فأُقوِّل الآخر ما لم يقله.

وقد حاولت في هذا البحث عرض علاقة المسلمين باليهود و اختيار بعض النماذج الحوارية- تواصلا وصراعا- منذ عهد النبوة إلى الوقت الحاضر.

و لم أجد- بحسب علمي واطلاعي – بحثا جامعيا، أو رسالة أكاديمية، أو دراسة متخصصة بحثت موضوع "الحوار الإسلامي اليهودي " بمثل الخط الذي حاولت السير عليه خلال هذا البحث، إلا بعض المقالات الصحفية العامة، أو بعض الدراسات المتعلقة بالتطبيع و اتفاقيات السلام العربية الإسرائيلية من منظور سياسي بحت.

فقد وجدت باب " الحوار الإسلامي اليهودي " موصدا، وتعجبت من الباحثين عدم ولوجهم إياه رغم ما يمتلكونه من قدرات هائلة في مجال البحث العلمي، فساقني الفضول العلمي إلى اقتحام هذه الساحة فكان هذا البحث المتواضع، كمساهمة في التأصيل الشرعي لموضوع الحوار مع الآخر خاصة اليهودي.

أما ما تضيفه هذه الدراسة هو محاولتها فتح أفاق مستقبلية جديدة لدراسة هكذا موضوع بأبعاد ثلاثة: دينية وتاريخية وسياسية، وهي مقاربة في رأينا جديدة، تضفي على الدراسة نوعا من الشمول والتكامل والدقة، تمكّن الباحثين من الاستفادة

منها كل حسب تخصصه، فتعدد مجالات الدراسة والبحث في موضوع واحد يعطينا تصورا واضحا له يكون أقرب للواقع والموضوعية منه للافتراض والذاتية (Poly-dimensionnelle). بهذا الأفق الجديد يمكن تشخيص وفهم الأسباب الحقيقية للصراع العربي الإسرائيلي، وإيجاد آليات فعّالة لإنهائه وفق دراسة أكاديمية متخصصة.

يمكن تقسيم المصادر و المراجع التي أعتمد عليها فيما يلي :

مصادر خاصة بالحوار:

وقد استفدت منها تحديد المعنى اللغوي و الاصطلاحي للألفاظ التي رأيت أنها تحتاج إلى شرح،خاصة المستخدمة في معالجة القضايا الحوارية سواء بين شخصين أو حضارتين أو ديانتين ، وكذا بيان آداب الحوار و شروطه وضوابطه، ومن بين هذه الكتب:

كتاب " الحوار في القرآن الكريم "لحسين فضل الله الذي يؤصل للحوار من خلال القرآن الكريم ودعوته إلى ذلك، كما يفرق فيه بين الجدل والحوار.

كتاب " العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون" لبدران أبو العينين بدران والذي يؤصل فيه للعلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم ،مع إعطائه لنماذج تاريخية حية للحوار وتعامل المسلم مع الآخر من خلال بعض المحطات التاريخية.

وكذا كتاب "من أجل الحوار بين الحضارات" لروجيه غارودي الذي يدعو فيه إلى التعايش والحوار بين الحضارات والأديان وينتقد فكرة الصدام والصراع الدائم كما دعا إليها "فوكو ياما" و صموئيل هانتنغتون.

وتجدر الإشارة إلى اعتماد بعض المعاجم والقواميس "كلسان العرب" لابن منظور و"مختار الصحاح للرازي"، وكذلك " التعريفات" لعلي بن محمد الجرجاني وكذا " الفائق في غريب الحديث" لمحمود الزمخشري، و"معجم الإيمان المسيحي" لحمودي صبحي و كوربون جان، وكذلك" Le petit Larousse compact " وكلها تضبط معاني الألفاظ ودلالاتها اللغوية.

مصادر خاصة بالدراسات الإسلامية:

وأمكن الاستفادة من هذه المصادر والمراجع في تحديد أشكال الحوار في الأصول الإسلامية، كالقرآن والسنة، وسيرة النبي ﷺ وصحابته ﷺ وكذا كتب التاريخ الإسلامي وكلها تشكل التأصيل الشرعي لموقف الإسلام من الآخر خاصة اليهودي وهو موضوع الدراسة من جهة، كما تبرز من جهة أخرى التطبيقات العملية لهذه التعاليم واقعيا إن في عصر النبوة والخلافة الراشدة، وإن عبر بعض المحطات التاريخية.

من هذه المصادر و المراجع:

- مجموعة من التفاسير: "كتفسير القرآن العظيم" لإسماعيل بن كثير الدمشقي و"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لمحمد بن جرير الطبري، و"في ظلال القرآن" للسيد قطب، و"المنار" لرشيد رضا، والتي أخذت منها تفاسير بعض الآيات الداعية إلى الحوار، بما فيها أسباب نزولها.

ومن كتب الحديث و شروحها و كتب السير والمغازي والتاريخ:

في الحديث:" صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" ، و"مسند أحمد" وغيرها...

وفي السيرة والتاريخ: "السيرة النبوية" لابن هشام، و" الطبقات الكبرى" لابن سعد محمد الزهري، "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، و" الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري" لآدم متز، و "تاريخ الدولة العلية العثمانية" لمحمد فريد بك المحامي...

مصادر خاصة باليهودية:

وقد استفدت من عرضها للديانة اليهودية من جميع الجوانب، بما فيها النصوص وتفسيراتها منها:

"الكتاب المقدس"، وكذا "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ": لعبد الوهاب المسيري ، والذي تطرق فيها إلى نقد اليهودية والصهيونية وأبرز تاريخها ومصطلحاتها إن بالعربية أو العبرية، أو الإنجليزية، و مما يلاحظ على هذه الموسوعة أن صاحبها التزم في نقده لليهودية والصهيونية خطا علميا موضوعيا، كما يلاحظ أنه لم

يتطرق في نقدهما إلى البعد الإسلامي في النقد، إذ لا تكاد تعثر على آيـــة قرآنيـــة أو حديث نبوي واحد.

وفي غياب الموسوعة بشكل كتاب فقد استفدت منها بشكلها المتوفر أي قرص مضغوط، إصدار بيت العرب للتوثيق العصري والنظم، وقد وثّقـــت بهـــا كمـــا في الموسوعة نفسها أي بذكر الفصل ثم الباب ثم الجزء ثم المدخل بعنوانه.

كتاب "ملف إسرائيل: دراسة الصهيونية السياسية" لروجيه جارودي واستفدت منه نقده للصهيونية و مرجعياتها الفكرية، كما أخذت منه تصريحات مؤسسي دولـــة إسرائيل المُبلورَة للفكر والحلم الصهيوني، و المحددة لأشكال الحوار والشارحة الأصول اليهودية بناء على توجهاتهم وقناعاتهم، كما بينت مواقفهم من الآخر غير اليهـــودي، ووضحت ردود أفعالهم إذا ما دعوا إلى كلمة سواء، كما كشفت عن مدى تطبيـــق اليهود لتعاليمهم الدينية سواء في قبول الحوار أو رفضه.

كتاب "فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية": لـــــ" آي.بي.برنـــايتس" و كتاب"الكنز المرصود في فضائح التلمود" لعبد الله الشرقاوي، وكتاب"التلمود تاريخـــه وتعاليمه" لظفر الإسلام خان، وقد استفدت منها استفادة جمة من خلال أخذي لبعض نصوص التلمود للتعليق عليها ولتوظيفها بما يخدم موضوع الدراسة، فانعدام الترجمـــة العربية للتلمود جعلتني أتخذها مصدرا أساسيا في أخذ النصوص التلمودية منها. كمـــا استفدت من نقدهم لتعاليمه.

مصادر متفرقة

منها: كتاب " بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم" لصـــابر طعيمـــة والـــذي يكشف عن طابع الشخصية اليهودية من خلال الوصف القرآني لها

وكذا كتاب " اليهودية ،عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية" لعرفان فتاح ، الذي تطرق إلى مسيرة الفكر اليهودي وأطواره وبيان موقف اليهود من الآخر والتي تختلف من طور لآخر حسب الظروف التاريخية التي أحاطت باليهود وشكلت منظومة تفكيره.

يتطرق في نقدهما إلى البعد الإسلامي في النقد، إذ لا تكاد تعثر على آيـــة قرآنيـــة أو حديث نبوي واحد.

وفي غياب الموسوعة بشكل كتاب فقد استفدت منها بشكلها المتوفر أي قرص مضغوط، إصدار بيت العرب للتوثيق العصري والنظم، وقد وثّقـــت بهـــا كمـــا في الموسوعة نفسها أي بذكر الفصل ثم الباب ثم الجزء ثم المدخل بعنوانه.

كتاب "ملف إسرائيل: دراسة الصهيونية السياسية" لروجيه جارودي واستفدت منه نقده للصهيونية و مرجعياتها الفكرية، كما أخذت منه تصريحات مؤسسي دولـــة إسرائيل المُبلورَة للفكر والحلم الصهيوني، و المحددة لأشكال الحوار والشارحة الأصول اليهودية بناء على توجهاتهم وقناعاتهم، كما بينت مواقفهم من الآخر غير اليهـــودي، ووضحت ردود أفعالهم إذا ما دعوا إلى كلمة سواء، كما كشفت عن مدى تطبيـــق اليهود لتعاليمهم الدينية سواء في قبول الحوار أو رفضه.

كتاب "فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية": لـــــ" آي.بي.برنـــايتس" و كتاب"الكتر المرصود في فضائح التلمود" لعبد الله الشرقاوي، وكتاب"التلمود تاريخـــه وتعاليمه" لظفر الإسلام خان، وقد استفدت منها استفادة جمة من خلال أخذي لبعض نصوص التلمود للتعليق عليها ولتوظيفها بما يخدم موضوع الدراسة، فانعدام الترجمـــة العربية للتلمود جعلتني أتخذها مصدرا أساسيا في أخذ النصوص التلمودية منها. كمـــا استفدت من نقدهم لتعاليمه.

مصادر متفرقة

منها: كتاب " بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم" لصـــابر طعيمـــة والـــذي يكشف عن طابع الشخصية اليهودية من خلال الوصف القرآني لها

وكذا كتاب " اليهودية ،عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية" لعرفان فتاح ، الذي تطرق إلى مسيرة الفكر اليهودي وأطواره وبيان موقف اليهود من الآخر والتي تختلف من طور لآخر حسب الظروف التاريخية التي أحاطت باليهود وشكلت منظومة تفكيره.

وكذا كتاب "الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها " والذي يحوي مجموعة من الدراسات والمقالات وهي بمثابة ردود على مقال "صـــدام الحضـــارات " لصاموئيل هانتنغتون .

"موسوعة القدس": قرص مضغوط، إعداد: م.محمد حسين، شركة سفير، حيث جمع فيها كثير من المقالات المأخوذة من مجلات وجرائد شتى، كما شرحت فيها كثير من المصطلحات كالحوار والتعايش وغيرها مما يخدم الموضوع، وكانـــت دراســـاتها إسلامية بحتة. إضافة إلى مراجع أخرى موجودة في ثنايا هذا البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: الأسس الفكرية للحوار

المبحث الأول: الحوار في الأصول الفكرية الإسلامية

المطلب الأول: القرآن الكريم

المطلب الثاني: السنة النبوية

المطلب الثالث: السياسة الشرعية

المبحث الثاني: الحوار في الأصول الفكرية اليهودية

المطلب الأول: العهد القديم

المطلب الثاني: التلمود

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : الحوار في الأصول الفكرية الإسلامية

قبل بسط موضوع الحوار بتفاصيله تجدر الإشارة إلى تعريفه.

الحوار في اللغة له معان تدور في مجملها حول معنى: الرجوع والمراجعة والردّ.

جاء في لسان العرب: الحَوْر: الرجوع عن الشيء إلى شيء، حَار إلى الشيء وعنه: حَوْراً و مَحَاراً و مَحَارة و حُؤُوراً، رجع عنه، وإليه.[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ.﴾ [الانشقاق:14]

وأيضا الحَوْر: النقصان بعد الزيادة، لأنه رجوع من حال إلى حال.[2]

ومنه في الحديث قوله ﷺ:" اللهم إني أعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر."[3]
و معناه: نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة، أومن فساد أمورنا بعد صلاحها.

وأيضا: كَلَّمتُه فما رَجَعَ إليَّ حَوَاراً و حِوَاراً و مُحَاوَرةً و حَوِيراً و مَحُورَة، - بضم الحاء بوزن مَشُورَة - أي جواباً. و أَحَارَ عليه جَوَابَه: رَدَّهُ. وأَحَرْتُ له جَوَاباً وما أَحَارَ بكلمة.

والاسم من المُحَاوَرَة والحَوِير، تقول: سمعتُ حَوِيرَهما وحِوَارَهما.

والمُحَاوَرَةُ: المُجَاوَبَةُ. و التَحَاوُرُ: التَجَاوُبُ.[4] ويتحاورون: يتراجعون الكلام، والمُحاورة: مراجعة الكلام، والمنطق في المخاطبة ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ. . .﴾ [الكهف:34] أي: يراجعه الكلام ويجاوبه.

1- ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج 4، ص 217

2- المرجع السابق

3- رواه مسلم والنسائي

4- أنظر أيضا الرازي محمد: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، 1995، تحقيق: محمود خاطر، ج1، ص 67

وتقول: كَلَّمتُهُ فَمَا أَحَارَ إليَّ جَوَاباً، وما رجع إليَّ حَـوِيراً، ولا حَـوِيرَةً، ولا مَحُورَةً ولا حَوَاراً: أي ما رَدَّ جَوَاباً. و استحَارَه: أي استَنْطَقَه.[1]

يقول عبد الوهاب المسيري:("الحوار" مصطلح يعني حرفياً حديث يجري بين شخصين. وهو ترجمة لكلمة "ديالوج"dialogue" المكونة من مقطعين "ديا" "dia"وتعني " اثنين "، أما " لوج " " logue "فهي من الفعل اللاتيني " لوكور" "loquor" والتي تعني "يتحدث".فهو حديث بين اثنين، على عكس "المونولوج" فهو حديث شخص واحد "مونو" مع نفسه.

وكلمة "حوار" تفترض شكلاً من أشكال الندية والمساواة.)[2]

وأما الحوار في الاصطلاح:" هو محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر. و عليه لابد للحوار من شروط توفر فيه منها:

1- وجود طرفين للحوار.

2- وجود موضوع محدد للتحاور فيه.

3- وجود هدف للحوار، وهو إظهار الحقيقة، أو تطابق أكبر قدر ممكن من وجهات النظر.

4- البعد عن التعصب والخصومة وفرض الرأي.

5- الاعتماد على العلم والعقل.[3]

1- ابن منظور، لسان العرب: ج 4، ص 218- 219

2- المسيري عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، قرص مضغوط ، بيت العرب للتوثيق العصري والنظم،المجلد 7،الجزء1،الباب1، مدخل: الحوار والحوار النقدي والحوار المسلح

3- بسام داود عجك:الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى 1998، ص20.أنظر أيضا: -Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse, p 331

ومما تجدر الإشارة إليه أنني استخدمت لفظة "الحوار" لأنه يمكن التوسع فيها لتدل على مواقف الصراع والخصومة، وعلى مواقف غير الصراع و الخصومة، فهي أوسع من غيرها لأنها تشمل كلا الموقفين.[1]

والدارس للفظ الحوار في القرآن الكريم يجدها وردت ثلاث مرات، هي:

1- قوله تعالى:﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا.﴾ [الكهف:34]

2- قوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا.﴾ [الكهف:37]

فهاتان الآيتان وردتا في سورة الكهف، في معرض الكلام عن قصة صاحب الجنتين والحوار الذي دار بينه وبين رجل فقير وقد تمت مراجعة الكلام لبعضهما البعض بصيغة الاستنكار و اللوم والعتاب، وليس بصيغة التفاهم والاتفاق.

3- قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.﴾ [المجادلة:1]

و يلاحظ في هذه الآية أن حديث المرأة عن زوجها كان حديث خصومة، وعندما بدأ الحديث بينها وبين النبي ﷺ، كان حديث مراجعة الكلام دون خصومة.[2]

ولهذا السبب كان استعمالي للفظ الحوار، الذي يقبل معنى الخصومة وضدها، فاستعملت لفظ "التواصل": بمعنى الحوار من زاوية الاتفاق والتعايش.

ولفظ "الصراع": بمعنى الحوار من زاوية الخصومة والصدام.[3]

---

1 – أنظر محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، دار المنصوري للنشر، قسنطينة – الجزائر، ج 1، ص 17– 18

2 – أنظر سبب نزول هذه الآية فهو يوضح ذالك أكثر.

3 – أنظر عبد الوهاب المسيري: المجلد 7، الجزء1،الباب1، مدخل: الحوار والحوار النقدي والحوار المسلح

1- القرآن الكريم

كلمة حوار تقتضي بالضرورة – حسب التعريف – وجود طرفين على الأقل، و إلا صار حوارا مع الذات (منولوغ Monologue).

والمتدبر للقرآن الكريم يجده كتاب حوار إذ لا تكاد تخلو سورة من سوره من خطاب الله لخلقه، ويمكن تقسيمهم وتصنيفهم إلى محاور ثلاثة:

1- المحور الموافق والمطبق لأوامر الله، ويتمثل في الملائكة و الأنبياء والذين آمنوا في مختلف العصور.

2- المحور المعارض لأوامر الله، و يمثله الشيطان والذين كفروا في مختلف العصور.

3- المحور المحايد ويمثله الكون ودوابه غير العاقلة، من سماء وأرض وبحر وطير ونمل ونحل وغيرها...

والذي يهم موضوعنا هو المحور الثاني: الحوار مع الآخر المعارض أي الذين كفروا.

هل طالب القرآن بإلغائهم وعدم الاعتراف بهم بحجة مخالفتهم للمسلمين في الاعتقاد والمنهج والتوجه؟ وهل بين القرآن أساليب التعامل معهم ؟

الدارس للقرآن الكريم يلحظ أن أوامره وتعاليمه في التعامل مع الآخر المعارض – (الذين كفروا) – لا يكتنفها التناقض ولا النمطية و الرتابة في التعامل، بل هي متعددة ومتنوعة تتغير بتغير مواقف الآخر مع الذين آمنوا، وعليه فالمسلمون لا يعانون فراغا تشريعيا، بل يأخذون لكل موقف ما يناسبه من وسائل وتشريعات، والتي يمكن أن نجملها في محورين أحدهما قبل الصراع والصدام والآخر بعدهما.

أ- مواقف ما قبل الصراع والصدام:

(إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين. وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك ! وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع. ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم)[1]

لذا فالأصل في التعامل مع الآخر حتى ولو خالف الذين آمنوا في الاعتقاد، هو المعاملة بالحسنى وبجميل البر والعدل، شريطة ألا يبدؤوا بقتال المؤمنين أو إخراجهم من ديارهم بغير حق، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.﴾ [الممتحنة: 8] فهذا نص صريح رخص الله فيه للذين آمنوا (موادة من لم يقاتلوهم في الدين و لم يخرجوهم من ديارهم . ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم معهم فلا يبخسوهم من حقوقهم شيئا. ولكنه نهى أشد النهي عن الولاء لمن قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم.)[2]

ولا أدل على هذا المعنى الرفيع من سبب نزول هذه الآية نفسها، فقد روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال:" قدمت " قتيلة " على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا صناب وأقطٍ وسمنٍ وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها فسألت عائشة النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى:" لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي

1- قطب سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق- بيروت، ط 12، 1986، ج6 ، ص3544

2- المرجع السابق.

الدّينِ"...فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها."[1]

والآيات الدالة على معاملة الآخر بالتي هي أحسن عديدة منها:

- قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.﴾ [العنكبوت:46] أي (ولا تجادلوا أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى وهـــم أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن. يقول: إلا بالجميل من القول وهو الـــدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه)[2].

- وقوله تعالى أيضا:﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.﴾[النحل:125] فالدعوة إلى الله هي محاورة الآخر لإقناعه بالحجة والبيـــان، لذا بين الله في هذا النص أساليب الدعوة والحوار فجعل الدعوة "بالحكمة" ، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل علـــيهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به- أي الداعيةُ المحاورُ- الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

و"بالموعظة الحسنة" التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطـــف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا يفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النـــافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.[3]

و"بالجدل بالتي هي أحسن" بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح، حتى

1- رواه أحمد

2- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر ، بيروت ، 1405، ج 21، ص 1-4

3-أنظر قطب سيد، الظلال: ج4، ص2202

يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يُطمئن من هذه الكبرياء الحساسة، ويُشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر ! ولكي يطمئن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين، فلا ضرورة للجاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله.[1]

والمتدبر لنصوص القرآن الكريم، يلحظ أن الإسلام لم يلغ وجود الديانات السماوية الأخرى من محيطه، بل ترك حرية المعتقد وممارسة الشعائر الدينية لليهود والنصارى، مع تعرضه لهما بالنقد وبيان ما فيهما من التحريف و التبديل والتطاول على الله تعالى وعلى رسله الكرام، ورغم ذلك سماهم " أهل الكتاب "، و قَبِل وجودهم في المجتمع المسلم، وأعطاهم الأمان شريطة أن يدفعوا الجزية مقابل ضمان الحماية لهم.[2] قال تعالى:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ. . .﴾ [البقرة:256]

و على العكس من ذلك لم يقبل وجود الديانات غير السماوية، و لم يعترف بها أصلا، بدايةً بوثنية قريش، مع أنها ديانة الآباء والأجداد وسماهم المشركين. إلا أنه في حواره معهم ودعوتهم للحق لم يجنح لأسلوب التجريح والتحرش، وإنما اتبع أسلوب الإقناع والحجة مستعملا كلَّ أساليب البرهان بما فيها الشك المنهجي كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي

1- المرجع السابق

2- أنظر أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، ج1، ص385

ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.﴾ [سبأ:24-27](هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب)[1] ولم ينسب الضلال لهم كما لم ينسب الصواب لنفسه، حتى يراجعوا أنفسهم ومنهج تفكيرهم، وهذا شك يهز القناعات الخاطأة، ويدعو إلى التفكير الموصل إلى الحق دونما تعصب واستكبار. (وهذه غاية النصفة والاعتدال والأدب في الجدال. أن يقول رسول الله ﷺ للمشركين: إن أحدنا لا بد أن يكون على هدى، والآخر لا بد أن يكون على ضلال، ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال، ليثير التدبر والتفكر في هدوء لا تغشى عليه العزة بالإثم، والرغبة في الجدال والمحال ! فإنما هو هاد ومعلم، يبتغي هداهم وإرشادهم لا إذلالهم وإفحامهم، لمجرد الإذلال و الإفحام!

الجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين على الإذعان والاستسلام، وأجدر بأن يثير التدبر الهادىء والاقتناع العميق. وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة.)[2]

وذات الأسلوب استعمله في قوله:﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ.﴾ فهذه مفارقة عجيبة بين" أجرمنا" و" تعملون " ! من المجرم ومن العامل ؟ لم ينسب الإجرام لهم، كما لم ينسب العمل له، بل العكس نسب الإجرام للنبي ﷺ ولعمرك هذا في لغة قريش محال، لأنهم يعرفون دماثة أخلاقه لدرجة أنهم سموه الصادق الأمين !!. وهذا من شأنه أن يدفعهم للحوار مع الذات بالمراجعة والنقد، و هذه

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج3، ص660

2- قطب سيد، الظلال: ج 5، ص2905

حكمة رب العالمين وحجته ينور بها العقول ويشرح بها الصدور فتذعن إلى الحق دون استكبار ولا تعصب، وهذا مقصد هذا الأسلوب.

بله لقد ذهب القرآن إلى أبعد حد ممكن مع الذين قاتلوا الذين آمنوا لدرجة أنه أمر المؤمنين بمبادلة الذين كفروا الاستقامة وعدم الاعتداء إن هم عاهدوهم على توقيف الحرب والاعتداء.

قال تعالى:﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ.﴾ [التوبة:7]

لكن ما العمل إن حادوا عن الاستقامة ؟ أتبقى المعاملة بالتي هي أحسن أم أن هذا التعامل في هكذا موقف يُعدُ خنوعا واستسلاما وركونا للذين كفروا، وقد نُهينا عن ذلك بنصوص صريحة تنزه دين الله عن مثل هذا الذلّ والهوان !

قال تعالى:﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ.﴾ [هود:113]

وقال:﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.﴾ [المنافقون:8]

لذا فهناك مواقف و أحكام أخرى محددة لطبيعة التعامل مع الآخر في مرحلة الصراع والصدام والتي يجب العمل بها و إلاَّ فُتح باب التطرف و الغلو ولكن من زاوية "السلم" الذي يصبح مرادفا للاستسلام. فكما ينبذ الإسلام الغلو و" تطرف العنف" ينبذ الغلو و" تطرف السلم ".

ب- مواقف ما بعد الصراع والصدام:

الناظر في الآيات المحددة لمواقف ما قبل الصراع و الصدام يجدها عموها مشفوعة بنقيضتها، كما في قوله تعالى:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(8)إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ.﴾ [الممتحنة: 8-9]. أي (إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة، فقاتلوكم وأخرجوكم، وعاوَنُوا على إخراجكم، ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم، ويأمركم بمعاداتهم. ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال:" وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ." كقوله:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.﴾[المائدة:51])[1]

و قد دعا القرآن مجادلة أهل الكتاب ولكن بالتي هي " أحسن ".

قال تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.﴾ [العنكبوت: 46]

هذه الآية وقع فيها خلاف بين أهل العلم:

قال قتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم بمجادلة،

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 413

وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف.[1]

وقال آخرون: بل هي باقية محكمة لمن أراد الإستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه، كما قال تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ." [النحل: 125] ، وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى."[طه:44] وهذا القول اختاره ابن جرير، وحكاه عن ابن زيد.[2]

وقوله تعالى: " إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ." أي حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد ويقاتلون بما يمنعهم ويردعهم. قال مجاهد:" إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ " يعني أهل الحرب، ومن امتنع منهم من أداء الجزية.[3]

وقد شرع الله الجهاد للمؤمنين وهو كره لهم، ولكن ما شرعه إلا للدفاع عن النفس وردِّ الظُّلم والعدوان، قال تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.﴾ [الحج:40]

(شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون

1- المرجع السابق: ج3، ص513

2 - المرجع السابق

3 - أنظر المرجع السابق

أكثر عدداً فلو أمر المسلمين وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين، قالوا: " يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي – يعنون أهل منى – ليالي منى فنقتلهم ؟ فقال ﷺ: إني لم أُومَر بهذا ".

فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شذر مذر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله ﷺ واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجئون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك)[1]

ومن جهة أخرى يرى بعض الباحثين أن الآية تشير إلى أن من أحد الأسباب التي أبيح الجهاد لأجلها هو حماية المعابد وأماكن العبادة، كما تدل على أنه لولا ما شرع الله تعالى للأنبياء وللمؤمنين من جهاد الأعداء لاستولى أهل الشرك والكفر على أماكن العبادة، و لتعطلت عبادة الله تعالى في تلك الأماكن، ولكنه أوجب القتال ليتفرَّغ أهل الأديان للعبادة. فالمسلم يبذل دمه وروحه، وكل ما يملك لأجل حماية العابدين من أهل الملل المختلفة، واستمرار بقاء معابدهم.[2]

ويقول ابن قيّم الجوزية عند تفسير هذه الآية:" – إن الله تعالى- يدافع عن مواضع متعبداتهم بالمسلمين وإن كان يبغضها وهو سبحانه يدفع عن متعبداتهم التي أقروا عليها شرعا وقدرا فهو يحب الدفع عنها وإن كان يبغضها كما يحب الدفع عن أربابها وإن كان يبغضهم وهذا القول هو الراجح إن شاء الله تعالى وهو مذهب ابن عباس." [3]

إلى هذا الحد يمكن للمسلم أن يضحي بحياته دفاعا عن الآخر الذي يخالفه.؟

1- المرجع السابق: ج3، ص 283-284

2- أنظر بسام داود عجك: ص 47- 48

3- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري. رمادى للنشر، الدمام – دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ج3، ص 1169

إن المسلم ليس متعطشا للدماء ولا للقتال، بل إنه يكره ذلك بفطرته السليمة، ولولا الدفاع عن العقيدة و الذات واسترجاع الحقوق والأخذ على يدّ الظلمة الجبابرة ما أُمر أصلاً بالقتال. وقد كشف الله عن هذه النفسية الوديعة وهذا الطبع المسالم وهو يأمر المؤمنين بالقتال فقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. ﴾ [البقرة: 216]

فهذا تأكيد منه سبحانه وتعالى أن (القتال في سبيل الله فريضة شاقة، ولكنها فريضة واجبة الأداء، واجبة الأداء لأن فيها خيرا كثيرا للفرد المسلم، وللجماعة المسلمة، وللبشرية كلها، وللحق والخير والصلاح.

والإسلام يحسب حساب الفطرة فلا ينكر مشقة هذه الفريضة، ولا يهون من أمرها. ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها. فالإسلام لا يماري في الفطرة، ولا يصادمها، ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل. . ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر، ويسلط عليه نورا جديدا إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق؛ ولكن وراءه حكمة تهوِّن مشقته، وتُسيغ مرارته، وتحقق به خيرا مخبوءا قد لا يراه النظر الإنساني القصير.)[1]

1- قطب سيد، الظلال: ج1،ص 223

2- السنة النبوية:

قبل التفصيل في ذكر أدلة الحوار من السنة المطهرة، يجدر التنبيه إلى أننا سنركز في هذا المطلب على نماذج وبعض أشكال حوار النبي ﷺ مع اليهود فحسب، دون التعرض لحواره ﷺ مع الآخر على العموم.

عند هجرته ﷺ إلى المدينة وجد مجتمعا قائما بذاته، فيه قبائل عربية "كالأوس" و"الخزرج" وغيرهم، وأخرى يهودية " كبني قريظة " و" بني النضير " وغيرهم، وقد مكّن هذا التواجد والتفاعل والاحتكاك الاجتماعي من وجود حوار وأسئلة وعلاقات اجتماعية – طبيعية – بين الطرفين، ضَبَطَها النبي ﷺ فيما بعد بما يعرف " بكتاب المعاهدة مع اليهود " وسيأتي تفصيل ذلك.

حوار النبي ﷺ – بالحجة والحسنى– مع الآخر يهوديا كان أو غيره، كان ديدَنه من أول أمر له ﷺ بالدعوة للإسلام، سواء في مرحلة الدعوة السرِّية، كما في قوله تعالى: " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ." [الشعراء:214]، أو في مرحلتها الجهرية كما في قوله تعالى:" فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ."[الحجر:94] وقوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2)" [المدثر:1– 2].

وقد حدد الله تعالى لنبيه ﷺ شكلا من أشكال الحوار مع الآخر، فأمره بقوله تعالى:" وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ."[التوبة:6] أي يُعطى المُحاوِر المُخالف الأمان حتى يسمع كلام الله في تُؤَدَةٍ هدوء فيجتمع له نور الهدى مع نور الهدوء.

" ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ " أي احرسه وأمِّن طريقه حتى يعود لبلده وداره ومأمنه، سواء استجاب أو لم يستجب، كل ذلك ليعلم قيمة الإسلام وسماحته.[1]

1- أنظر: قطب سيد، الظلال: ج3، ص 1602. وكذا ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج2، ص418

هو ذا المنهج الذي طبقه النبي ﷺ مع اليهود منذ أول تعامله معهم رسميا باسم الدولة الإسلامية في المدينة، وقد كان لهم كبير الأثر في تسيير وتوجيه مجتمع المدينة قبل مجيئه، حيث فرضوا مجموعة من التعاملات المالية والاجتماعية بحكم سبقهم إلى العيش فيها، مما دفع بالنبي ﷺ بعد إسلام أهلها، لضبط العلاقة بين المسلمين واليهود بأحكام خاصة دونت في وثيقة معاهدة يحترمها ويحتكم إليها الجميع، علما أنه كان باستطاعته إجلاؤهم منها بسهولة، إلا إن هذه ليست أخلاق المحاور صاحب الدين الذي يمكن أن يعيش في حكمه الآخر المخالف بكل حرية وأمان "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ." [الأنبياء:107]

فكان أول ما قام به النبي ﷺ بعد بناء كيان الدولة بداية ببناء المسجد. أن آخى بين المهاجرين والأنصار ثم كتب معاهدة بينهما من جهة، وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ- كتاب المعاهدة مع اليهود :

بعد ذكر بنود المعاهدة مع المسلمين - و ليس هنا مجال ذكرها - عرج ﷺ على ذكر بنود المعاهدة مع اليهود:

عن عمرو بن عوف المزني[1] قال :" كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس (...)

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن سِلْمَ المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يُبِيء[2] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هُدَى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردَّه إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود

1- روه ابن هشام في السيرة عن ابن اسحاق، و البيهقي في السنن من طريقه، وأبو عبيد في الأموال بالسند إلى الزهري. وابن خيثمة بالسند إلى عمرو بن عوف المزني، واللفظ لابن إسحاق

2 - من البواء أي المساواة. أنظر ابن منظور، لسان العرب: ج1 ، ص 37

بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بن عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ [1] إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وأنه لا ينحجز على ثار جرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته، إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم في جانبهم الذي قبلهم، وأن يهود الأوس- مواليهم وأنفسهم- على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض، من أهل هذه الصحيفة، - قال ابن هشام: ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة - وأن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وأن الله جار لمن برّ واتقى ومحمد رسول الله ﷺ." [2]

---

1 - وتَغَ: الوتَغُ بالتحريك، الهلاك، من وتَغ يوتغ وتغا: أي فسد وهلك وأثم. ابن منظور، لسان العرب: ج4، ص 458

2 - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري :السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل، بيروت ،الطبعة الأولى1411 ،تحقيق طه عبد الرءوف سعد ،ج3، ص33- 35

ب- نماذج من حوارات النبي مع اليهود :

كثيرة هي الحوارات التي أجراها النبيﷺ مع اليهود، منها ما كانت نهايته إيجابية، كإسلام المحاور أو اعترافه بالنبيﷺ حتى ولو لم يسلم، ومنها ما كانت سلبية سواء بتكذيبه ﷺ أو بطمس الحقيقة رغم جلائها، وسنبدأ بذكر نماذج من النمط الأول، ونرجيء النمط الثاني إلى فصل لاحق في مرحلة الصراع.

عبد الله بن سلام :

هو أول من أسلم من اليهود، كان اسمه في الجاهلية، "الحصين" ولما أسلم سماه النبي ﷺ "عبد الله"[1]، كانت له مواقف رائعة مع الرسول ﷺ في بيان نبوته حيث أعلن في قومه اليهود صدق نبوته ﷺ وأعطاهم الدليل من التوراة و لم يأبه بسخطهم، بل ذهب بعيدا في فضحهم وبيان قبح سريرتهم، وكشف كذبهم وبهتانهم، وسرعة تبدل مواقفهم، وعدم إذعانهم للحق رغم معرفتهم له، وأنهم لا يقبلون بالرأي المخالف ولو صدر عن أعلمهم وابن أعلمهم ! .

ومواقفه المروية في الصحيح كثيرة ومتعددة في كل رواية منها جزئية بالغة الأهمية تبين لنا مشهدا من مشاهد بطولاته، وصدقه، عند تركيبها جميعا تتضح لنا الصورة بكاملها، منها:

أنه آمن بالنبي ﷺ قبل قدومه المدينة، لِمَا عرف من صفاته وقد أخفى ذلك حتى رآه بالمدينة، وكم كانت فرحته بقدومه عارمة.

قال ابن إسحاق:" وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم وكان حبرا عالما، قال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له[2]، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم

1- رواه الترمذي في سننه والحاكم في مستدركه

2 - نتوكف له: من التوكف وهو التوقع والانتظار، يقال: توكف الأثر، أي تتبعه. أنظر ابن منظور، لسان العرب: ج9، ص 364

رسول اللهﷺ المدينة، فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت، قال فقلت لها: أي عمَّة ! هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به، فقالت: أي ابن أخي ! أهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها نعم. قال: فقالت فذاك إذا، قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.

قال: وكتمت إسلامي من يهود ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن يهود قوم بهت، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني، قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه ثم قال لهم: أي رجل "الحصين بن سلام" فيكم ؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا، قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه، وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأومن به، وأصدقه وأعرفه، فقالوا: كذبت ثم واقعوا بي، قال: فقلت ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها. "[1]

والملاحظ أن "عبد الله بن سلام" رضي الله عنه ما كان من سقط المتاع بين اليهود، فهو لم يسلم نكاية في قومه، ولا انسياقا وراء عاطفة جامحة، وإنما عن قناعة وثبات، ويظهر ذلك من مساءلته النبيﷺ أسئلة دقيقة متعلقة بعالم الغيب الذي لا يمكن لبشر عادي، ولا لساحر، ولا لشاعر، فضلا عن المجنون الإجابة عنها، وهذه من أخلاق و أبجديات

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج3ص46. ورواه البخاري بلفظ قريب من هذا.

المحاور الناجح، فهو لا يقبل الأمر اعتباطا وإنما عن بينة ودليل وهذه من نتائج الحوار المثمر.

عن أنس ﷺ قال:" بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟، ومن أي شيء يترع الولد إلى أبيه؟، ومن أي شيء يترع إلى أخواله؟، فقال رسول الله ﷺ: أخبرني بهن آنفا جبريل، قال: فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله ﷺ: أي عبد الله بن سلام ؟ قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا وأخبرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: فرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه." [1]

وفي رواية أخرى صحيحة أن الحوار جرى في كنيسة اليهود دخلها النبيﷺ بنفسه يوم عيدهم، (ويمكن الجمع بين هذه الأخبار أن يكون عبد الله بن سلام أعلن إسلامه مرتين، في بيت أبي أيوب الأنصاري، ثم في كنيسة اليهود)[2] حيث حاورهم النبيﷺ فيها وأقام عليهم الحجة، وبين تناقضهم واختلال ميزان حكمهم على الأشياء كلما خالف الحق أهواءهم، إذ أثنوا على عبد الله بن سلام ﷺ ونعتوه بأعلمهم وأفقههم، بل أطالوا لسان المدح إلى أطناب التاريخ، لأبيه وجدّه، فلما وقف وقفة حق، فآمن بالنبيﷺ وصدقه وبين لهم — وهو أعلمهم بالتوراة بشهادتهم- أنه نبي الله الذي يجدونه في التوراة كذبوه وبهتوه، وما هذه بأخلاق المحاور الذي يجب أن يركن

1- رواه البخاري

2- الشقاري عبد الله: اليهود في السنة المطهرة ، دار طيبة للنشر و التوزيع ،الرياض، ط1، 1996، ج1،ص209

إلى الحق ولو صدر من عدوه، لأن غايته الحقيقة فحسب.

عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال:" انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم وكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود أروني إثنى عشر رجلا يشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه، قال: فأمسكوا وما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم، فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: أبيتم ! فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفي، آمنتم أو كذبتم، ثم انصرف وأنا معه، حتى دنا أن يخرج، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد، قال: فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله، ولا أفقه منك ولا من أبيك من قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه وقالوا له شرا، فقال رسول الله: كذبتم لن يقبل قولكم أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم، فلن يقبل قولكم، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ، وأنا، وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه(**قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به..**)[1]

الملاحظ أيضا من تصريح الراوي بدخول النبيﷺ كنيسة اليهود، إشارة لكل رجل حوار أن طالب الحق وناشره لا يتحرج من الحوار ودعوة الآخرين إلى الله حتى بالدخول مكان عبادتهم، فلم يحرمهمﷺ من هدايات ربِّ العالمين، ولم يضق بهم ذرعا، رغم أن الله تعالى حذره منهم في مكة قبل التقائه بهم في المدينة.[2]

موقف آخر لعبد الله بن سلام ﷺ يبيِّن ثباتة جأشه، وغزارة علمه، حيث ردَّ اليهود إلى شريعتهم لما حاولوا مراوغة الرسولﷺ، فحاور بذكاء وكشف الحقيقة أمام النبي ﷺ ومكَّنه من الحكم فيهم بالشريعة الموسوية الصحيحة.

1- رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وغيرهما

2- لذا كثير من الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل هي من القرآن المكي.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:" أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يدّه على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدّك، فرفع يدّه فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. قال عبد الله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة."[1]

موقف أخر لعبد الله بن سلام ﷺ يتمثل في إجابة النبي ﷺ على سؤال بالغ الأهمية، إذ ذكر له صفاته المروية في التوراة، والتي طالما حاول اليهود طمس معالمها، فقدم بذلك أحسن صورة للمحاور الذي ينشد الحق من جهة كما أنه لا يكتمه من جهة أخرى، فهو لا يعرف الكذب ولا المراوغة ما دام أنه طالب حق ومدافعا عنه.

عن عبد الله بن سلام أنه كان يقول:" إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفوا ويتجاوز، ولن أقبضه حتى نقيم الملة المتعوجة بأن تشهد أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)."[2]

لهذه المواقف وغيرها كثير، كوفي عبد الله بن سلام ﷺ أحسن المكافأة إذ بشره النبي ﷺبالجنة.

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال:" ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية (...وَشَهِدَ

1- رواه البخاري.

2- رواه البخاري تعليقا في كتاب البيوع، والدارمي في سننه وغيرهما

شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ...)[1]. [الأحقاف:10]

زيد بن سعنة

زيد بن سعنة ويقال سعية بالياء والنون أكثر في هذا، كان من أحبار يهود أسلم وشهد مع النبيﷺ مشاهد كثيرة وتوفي في غزوة تبوك مقبلا إلى المدينة.[2]

لم يكن إسلامه هو الآخر سهلا، فرغم معرفته بأوصافه ﷺ إلا أنه لم يتسرّع في الحكم للنبي ﷺ حتى جرَّبه تجربة دقيقة، تَنِمُّ عن حدّة ذكائه وشدّة حرصه على الحق والعدل، قاضيا بذلك على هامش العواطف، وهذه أيضا من مواصفات المحاور الموضوعي، تحكمه الحجج والبراهين، أكثر من نزوات العواطف الجياشة.

عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: قال عبد الله بن سلام: " إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدى زيد بن سعنة قال زيد بن سعنة: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ -حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: (هل يسبق حلمة جهله؟، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما؟)، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله. قال: فخرج رسول الله ﷺ من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله، قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنتَ أخبرتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا، وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث، وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم من يغيثهم به فعلت. قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل جانبه أراه عمر فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت له: يا محمد هل لك أن تبيعني تمرا معلوما بني فلان إلى أجل كذا وكذا، فقال: لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرا معلوما إلى أجل كذا وكذا، ولا أسمي حائط بني فلان، قلت: نعم.

1-رواه البخاري ومسلم

2- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت،ط1، 1992 ،تحقيق، علي محمد البجاوي ج2 ص553

فبايعني ﷺ فأطلقت همياني[1] فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، قال: فأعطاها الرجل وقال :أعجل عليهم وأغثهم بها، قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار والحاصل إليه فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بِمُطَلٍ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره وقال: أي عدوّ الله أتقول لرسول اللهﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزدّه عشرين صاعا من غيره مكان ما رعته، قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني حقي وزادني عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة؟، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك، فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا ! فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: نعم الحبر، قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت وتفعل به ما فعلت؟ فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول اللهﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أختبرهما منه، يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فقد أختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا ، وبمحمدﷺ نبيا، وأشهدك أن شطر مالي- فإني أكثرهم مالا- صدقة على أمة محمد ﷺ، فقال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم كلهم، قلت: أو على بعضهم ، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسولهﷺ، فآمن به وصدقه، وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة ثم توفي في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر رحم الله زيدا."[2]

1-الهميان :رباط من الجلد يشد به الرجل وسطه يكون فيه عادة موضع يحفظ فيه المال

2- صحيح ابن حبان

جُرَيْجِرَة

يهودي لم يُسلم هو الآخر بسهولة، حتى جرب النبي ﷺ، وتأكد بما لا يدع عنده مجالا للشك أنه النبي المنتظر، وللتحقق من ذلك صبر يوما كاملا مع النبي ﷺ يراقبه ويختبره، والنبي ﷺ ثابت بأخلاقه، لا يردّ عليه بسوء، بل دافع عنه و منع الصحابة من التعرض إليه، وألزمهم الهدوء دفعا للفتنة، وحرصا على أجواء السلم والاطمئنان التي كان يوفرها النبي ﷺ لمعاهديه.

عن علي بن أبي طالب ﷺ أن يهوديا كان يقال له "جريجرة "، كان له على رسول الله ﷺ دنانير، فتقاضى النبيﷺ فقال له: " يا يهودي، ما عندي ما أعطيك، قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني فقال ﷺ: إذا أجلس معك. فجلس معه، فصلى رسول الله ﷺ في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه ويتوعدونه، ففطن رسول الله ﷺ، فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله، يهودي يحبسك؟ فقال رسول الله ﷺ: منعني ربِّي أن أظلم معاهدا ولا غيره، فلما ترحل النهار، قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وقال: شطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلتُ الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة:(**محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا متزي بالفحش ولا قول الخنا**) أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، هذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله، وكان اليهودي كثير المال."[1]

مخيريق النضري

هو(مخيريق النضري الإسرائيلي من بني النضير، ذكر الواقدي أنه أسلم واستشهد بأحد وقال الواقدي والبلاذري: ويقال إنه من بني قينقاع ويقال من بني القطيون، كان عالما وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ وهي سبع حوائط الميثب والصافة والدلال

1- رواه الحاكم في مستدركه

وحسنى وبرقة والأعواف ومشربة أم إبراهيم فجعلها النبيﷺ صدقة."[1]

هو رجل لم يستسلم لجحود وتقصير قومه، إذ لما تأكد من نبوته ﷺ من خلال صفاته، هبَّ للإسلام بكليته، وكان ذلك في يوم حرب، إلا أنه لم يبخل على دين الله بنفسه وبماله، لا لشيء إلا أنه عرف الحق فألزم نفسه بـه، متخطيـا بـذلك كـل الاعتبارات بداية بالعقيدة ونهاية بالعشيرة.

روى ابن إسحاق أن مخيريق كان حبرا عالما، وكان رجلا غنيا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته، وما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينـه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أُحد وكان يوم أحد يوم السبت، قال: يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأحد وعهد إليه مـن وراءه من قومه: إن قُتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها مـا أراه الله، فلمـا اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول: "مخيريق خير يهود"، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة."[2]

بعض السائلين :

إجابات النبي ﷺ على بعض أسئلة اليهود وحواره الهاديء معهم جعل بعضهم يقرُّون بنبوته حتى ولو لم يسلموا لاعتبارات اجتماعية أوعرقية، ولقد جاءت الروايات مصرحة بذلك منها:

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حـبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت

1- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت،ط1، 1992،تحقيق علي محمد البجاوي،ج6،ص 57

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج3، ص 51

أسألك فقال له رسول الله ﷺ أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني !، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سَلّ؟ فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسماوات؟ فقال: رسول الله ﷺ هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا، قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبيّ أو رجل أو رجلان؟ قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني !، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيّ المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب، فقال رسول اللهﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به." [1]

وعن أبي هريرة قال أتى رسول الله ﷺ بيت المَدَارس، فقال:" أخرجوا إلي أعلمكم، فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينة، وبما أنعم الله به عليهم، وأطعمهم من المن والسلوى، وظللهم به من الغمام أتعلم أني رسول الله؟ قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة، ولكنهم حسدوك، قال: فما يمنعك أنت ؟ قال: أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم." [2]

1- رواه مسلم

2- عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: صفوة الصفوة دار المعرفة، بيروت،ط 2،1979 تحقيق، محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعهجي، ج1، ص88

3- السياسة الشرعية

ما جاء الإسلام ليعيش في بوتقة مغلقة، يعزل نفسه أو يعزل الآخرين عنه، بل جاء رحمة للعالمين، يسع الإنسانية، بل الدنيا والآخرة، لذا فهو لا يضيق ذرعا بالمخالفين له حتى في العقيدة والتوجه، بل شرع أحكاما خاصة بغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وسماهم " أهل الذمة " أو الذميين " وهي تسمية تلقي بظلال لطيفة، تختلف في مبناها ومعناها - كما سنبينه - عن المصطلح العصري " الأقليات الدينية أو الإثنية ".

وأهل الذمة تعني في اللغة: أهل العهد والضمان والأمان والحرية.[1]

أما في الاصطلاح: (الذمة كلمة معناها العهد والضمان والأمان، وإنما سموا بذالك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين: أن يعيشوا في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين، فهم في أمان المسلمين وضمانهم، بناء على "عقد الذمة". فهذه الذمة تعطي أهلها "من غير المسلمين" ما يشبه في عصرنا "الجنسية" السياسية التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم.

فالذمي على هذا الأساس من " أهل دار الإسلام " كما يعبر الفقهاء أو من حاملي " الجنسية الإسلامية "كما يعبر المعاصرون.)[2]

وقد بين الفقهاء أن " عقد الذمة " هو عقد مؤبد يضمن للذمي حق الحرية الدينية،وحق الحماية والرعاية شريطة دفعه الجزية، والتزامه أحكام القانون الإسلامي في غير الشؤون الدينية [3]، يهوديا كان أو نصرانيا أو من الملل والنحل الأخرى[4]وبذلك

1- ابن منظور، لسان العرب: ج12، ص221. وانظرأيضا الرازي، مختار الصحاح: ج1، ص 94

2- القرضاوي يوسف :غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار الشهاب باتنة،الجزائر د ت، ص 7. وانظر أيضا: علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1982، ج7، ص110

3- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص 7

4- أكثر الفقهاء أن المقصود بأهل الذمة، اليهود والنصارى دون غيرهم

تثبت له في المجتمع الإسلامي حقوقا وتجب عليه واجبات، وكما قال علي رضي الله عنه: (إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا)[1]

1- علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع، ج7، ص111

حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية

لقد بيَّن العلماء حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي شـــريطة أن يقومـــوا بواجباتهم كاملة غير منقوصة تجاه الدولة الإسلامية، ذلك لأن كل حق يقابله واجب، ومن الحقوق التي أعطاها الإسلام للذميين: (حرية التفكير والاعتقاد، فأباح لهم إقامـــة شعائرهم وإعلان طقوسهم في بيَعهم وكنائسهم. كما أباح لهم الجهر بها في أحيائهم ومحلاتهم، وأقرهم على إتباع أحكام دينهم فيما ينشأ بينهم من معاملات ومرافعات ما لم يتحاكموا إلينا فنجري عليهم حكم الإسلام، كذلك حقق الإسلام لهم الانتصاف الكامل ممن أرادهم بسوء في نفس أو مال، حتى ولو كان الذي اعتدى عليهم مسلما. فأوجب القصاص عند الاعتداء على نفوسهم، وأوجب الديّة في قتلهم خطأ، وأثبـــت ضمان المال أو ردّه عند الغصب أو الإتلاف. كما كفل الإسلام لهم حمايتـــهم مـــن الاعتداء الخارجي حتى ليلزم الإمام شرعا أن ينقذ من أسر منهم حتى إذا ما عجز ردت إليهم لأنهم ما دفعوها إلا لذلك، يدل على هذا: ما كتب أهل ذمة العـــراق لأمـــراء المسلمين ما نصه: إنا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد، على أن يمنعونا وأميرهم البغيّ من المسلمين وغيرهم.)[1]

والملاحظ أن "حق الحماية" يكون لأهل الذمة من كل خطر وعدوان ســـواء كان خارجيا، أو داخليا.

الحماية من العدوان الخارجي

فالحماية من الخطر الخارجي تكمن في الدفاع عنهم وعن ممتلكاتهم، ومقدساتهم وعدم التفريط فيها قيد أنملة، مهما كان هذا الخطر الداهم، ومهما كانت الخسائر التي ستلحق بالمسلمين وقد نقل عن الإمام ابن حزم الظاهري في كتابه " مراتب الإجماع " قوله:(من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج

1- بدران أبو العينين بدران: العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،1984، ص 16-17

لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة.)[1]

إلى هذا الحد يمكن للمسلم أن يدفع بحياته دفاعا عن الآخر يهوديا كان أو نصرانيا أو غيرهما، لا لشيء إلا أنه يربطه به عقد ذمة الله الواجب حفظها بقوله تعالى: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ."[المائدة:1]، فأي تعايش وأي أمان يضمنه هذا الدين مع المخالفين له.!؟

إنها قمة الاعتراف بالآخر وبحقه في الحياة والعيش الكريم! وحتى لا يكون هذا الكلام من نسج الخيال والعاطفة، هناك تطبيق عملي لهذا المبدأ الإسلامي الرفيع، يتجلى في (موقف ابن تيمية، حينما تغلب التتار على الشام، وذهب الشيخ ليكلم " قطلوشاه " في إطلاق الأسرى، فسمح القائد التتري للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال: " لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيرا، لا من أهل الذمة، ولا من أهل الملة." بل أوجب الشيخ على المسلمين متابعة القتال حتى يتم تحرير الجميع، فلما رأى ملك التتار ذلك الإصرار أطلق سراح جميع الأسرى لديه.)[2]

من هكذا موقف وغيره كثير، احتوى المجتمع الإسلامي آنذاك "التاتار" الغزاة وجعلهم يدخلون في دين الله طواعية، وإلى مثل هذه الأخلاق الإنسانية الشهمة والنبيلة، يدعو الإمام "القرافي" كل مسلم للتعامل مع أهل الذمة فيقول: (...فالرفق بضعيفهم، وسد خلّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم، على سبيل اللطف بهم، والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم، في الجوار مع القدرة على إزالته، لطفا منا بهم، لا خوفا ولا تعظيما، والدعاية لهم بالهداية،

1- أحمد بن إدريس القرافي: الفروق، دار المعرفة، بيروت، د ت، ج3، ص14، (الفرق 119)

2- أنظر أحمد بن تيمية الحراني: الرسالة القبرصية (رسالة ابن تيمية الى سرجواس ملك قبرص)، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1990، ص40

وحفظ غيبتهم، إذا تعرَّض أحدٌ لأذيَّتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يَحسُن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله... فإن ذلك من مكارم الأخلاق، فجميع ما تفعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل، لا على وجه العزة والجلالة.)[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما موقف الدولة الإسلامية في حال عجزها عن حماية أهل الذمة ؟ أتُؤكل أموالهم بحجة العجز عن الحماية، وهي ما فرضت عليهم أصلا إلا لذات الغرض.؟

لقد كفانا التاريخ الإسلامي الإجابة، من خلال موقف الصحابي (القائد أبي عبيدة بن الجراح ﷺ مع أهل حمص، حينما ردَّ إليهم الأموال التي دفعوها للجيش الإسلامي، مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجي، بسبب انسحاب المسلمين من حمص، وعجزهم عن حماية أهلها غير المسلمين من الاعتداء الخارجي) [2]، ولو أخذوا الأموال لأصبح ذلك نقضا " لعقد الذمة " من جهة وأكلاً لأموال الناس بالباطل من جهة أخرى، وحاشا أن يصدر ذلك من صحابة رسول الله ﷺ .

الحماية من العدوان الداخلي

ويقصد به الأحكام التي سنَّها الإسلام ليحمي أهل الذمة من العدوان الذي يمكن أن يلحقهم من داخل جماعة المسلمين، وقد وردت نصوص كثيرة من السنة تبين عقوبة الظلم وتُقبِّحه، وتحذِّر من مدَّ يدَ العدوان والظلم لأهل الذمة، وأهلُ الكتاب منهم، منها:

قول الرسول ﷺ: " من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة."[3]

1- القرافي، الفروق: ص 15، (الفرق 119)

2- بسام داود عجك: ص39.

3- رواه أبو داود والبيهقي .

عن ابن مسعود ﷺ أن الرسول ﷺ قال: " من آذى ذِمِّياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة."[1]

وقوله ﷺ أيضًا: "من آذى ذميًا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله."[2]

ومجالات حماية أهل الذمة كثيرة تحيط بضروريات الحياة كلها منها:

حماية الدماء والأبدان

وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حماية دمائهم وأنفسهم وأبدانهم، كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم فالمسلم مطالب بحفظها مادام عقد الذمة قائما.

عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: " من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا."[3]

والمعاهد كما(قال ابن الأثير: أكثر ما يطلق على أهل الذمة، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب)[4]، فتكون دماؤهم وأنفسهم معصومة باتفاق المسلمين، وقتلهم حرام بالإجماع، ولهذا أجمع فقهاء الإسلام على أن قتل الذمي كبيرة من كبائر المحرمات لهذا الوعيد المروي في الحديث[5]

وروي أن عليًّا ﷺ أُتي له برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فقامت عليه البيِّنة، فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: إني قد عفوت، قال: فلعلهم هددوك وفرقوك، قال: لا، ولكن قتله لا يرد عليَّ أخي، وعوَّضوا لي ورضيتُ. قال: أنت أعلم، من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا، وديته كديتنا.[6]

الدارس للتاريخ الإسلامي وتشريعاته يلاحظ أن الحاكم شدَّدَ كل التشدد على

1- رواه الخطيب بإسناد حسن.

2- رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن

3- رواه البخاري و أحمد

4- المناوي عبد الرؤوف: فيض القدير شرح الجامع الصغير ،المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، ج6، ص 193

5- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص12

6- أخرجه الطبراني والبيهقي

المسلمين إذا منعوا الزكاة، ولا أدل على ذلك من حروب الردة[1]، إلا أن الموقف يختلف مع أهل الذمة لو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الجزية أو الخراج، فلا يجوز ضربهم ولا تعذيبهم، ولا إلحاق الأذى بهم ماديا كان أو معنويا لهذا السبب.

(ولم يُجزْ الفقهاء في أمر الذميين المانعين أكثر من أن يُحبَسوا تأديبًا لهم، بدون أن يصحب الحبس أي تعذيب أو أشغال شاقة.)[2]

روي عن حكيم بن هشام أحد الصحابة ﷺ وجد رجلاً - وهو على حمص- يشمِّس ناسًا من القِبْطِ (أي يوقفهم تحت حَرِّ الشمس) في أداء الجزية فقال: ما هذا ! سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله عز وجل يُعذِّب الذين يعذبون الناس في الدنيا."[3]

عن عبد الملك بن عمير قال:" أخبرني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب ﷺ على بزرج سابور، فقال: لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم، ولا تبيعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقم رجلا قائما في طلب درهم (أي ولا تقمه على رجله في طلب درهم.) قال: قلت يا أمير المؤمنين إذا أرجع إليك كما ذهبت من عندك ! قال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك إنما أمرنا أن ينفذ منهم العفوّ." [4]

وفي رواية قال:" فإنما أُمِرنا أن نأخذ منهم العفوّ، فإن أنت خالفتَ ما أمرتك به، يأخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك". قال،قلت: إذن أرجع إليك كما خرجت من عندك. (يعني أن الناس لا يُدفعون إلا بالشدة) قال: وإن رجعتَ كما خرجتَ. قال فانطلقت فعملت بالذي أمرني به، فرجعت ولم أنتقص من الخراج شيئا."[5]

1- مقاتلة أبي بكر الصديق ﷺ لمانعي الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ فيما يعرف " بحروب الردة "

2- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص14

3- رواه مسلم في صحيحه و البيهقي في سننه الكبرى

4- رواه البيهقي في سننه الكبرى

5- القاضي أبو يوسف يعقوب: الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص 16

يُعنَّف الوالي على رفعة قدره بلفظ "ويحك"، ويُطالَب بالعودة ولو بصفر اليدين خير له من العودة بمال وفير ممزوج بدموع العجز والمعاناة والشعور بالغربة، بل – أكبر من ذلك – يُعزَل إن ثبت أنه تعسف في استعمال الحق والسلطة... !

هو هذا الإسلام وهذه شريعته التي تضمن حقوق الآخر بل وتتجاوز عنه فيما لا تتجاوز فيه للمسلم البتة، وإن كان منطق الأشياء في العصر الحديث يقتضي عكس الموقف حتى ترضى الرعية عن الراعي.

حماية الأموال

لم تقتصر الحماية على الدماء و الأبدان فحسب، بل تعدت إلى الأموال تطبيقا للقاعة التي أوردناها –آنفا– عن علي ﷺ في قوله: " إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا"، وعلى هذا الأساس (فمَن سرق مال ذمي قُطعت يدّه، ومَن غصبه عُزِّر، وأعيد المال إلى صاحبه، ومَن استدان من ذميّ فعليه أن يقضي دينه، فإن مَطَلَه وهو غنيٌّ حبسه الحاكم حتى يؤدي ما عليه، شأنه في ذلك شأن المسلم ولا فرق)[1]، وعلى هذا استقر عمل المسلمين طوال العصور.

ومما جاء في عهد النبي ﷺ لأهل نجران:" ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف عن سقيفاه ولا راهب عن رهبانيته ولا واقف عن وقفانيته، وأشهد على ذلك شهودا منهم أبو سفيان بن حرب والأقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة(...) وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي ﷺ حتى قبضه الله صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه وسلامه. " [2]

وفي عهد عمر رضي الله عنه بعث إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أن: "امنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحلها."[3]

1- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص15

2- ابن سعد، الطبقات: ج1، ص 288

3- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص15

حماية الأعراض

حقوق الإنسان في الإسلام واحدة، فيجب كف الأذى عن الذمي وتحرم غيبته كالمسلم[1]، فلا فرق بين المسلم والذمي في عِرضه وكرامته، فكما يحمي عِرض وكرامة المسلم يحمي الذمي، لذلك قرر الفقهاء في مختلف المذاهب والعصور أنه (لا يجوز لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل، أو يشنع عليه بالكذب، أو يغتابه، ويذكره بما يكـــره، في نفسه، أو نسبه، أو خَلْقِه، أو خُلُقه أو غير ذلك مما يتعلق به.)[2]

وإلى ذلك يشير القرافي في قوله: "إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقًا علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمايتنا) وذمتنا وذمة الله تعالى، وذمة رسول اللهﷺ، وديـــن الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة، فقد ضيَّع ذمة الله، وذمة رسوله ﷺ، وذمة دين الإسلام." [3]

بل لقد ذهب التشريع الإسلامي ودولته إلى أبعد من ذلك، إذ كفلـــت لغـــير المسلمين العيش الكريم، لهم ما لجماعة المسلمين، وعليهم ما على المسلمين. واعتبرت ذلك من مجموع مسؤولياتها التي يجب أن تقوم بها على أكمل وجه تطبيقا لأمر رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه ابن عمر رضي الله عنه: " كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته." [4] هذا إن كانوا قادرين على العمل والبذل ودفع الجزية والخراج. وإن بلغ بهم العجـــز مبلغه، أيموتون جوعا، وإهمالا دون مأوى بحجة أنهم يخالفوننا الدين ؟

طبعا لا !..لقد ضمنت لهم دولة الإسلام التأمين الشامل عند العجز والشيخوخة والفقر، وحتى لا يكون هذا ضربا من الخيال أو التبجح، فالتاريخ الإسلامي أصـــدق إنباء من التقوُّل. فعقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحـــيرة بـــالعراق وكانوا من النصارى شاهدا على ذلك، كتب لهم يقول: "(...) وجعلتُ لهم، أيُّمـــا شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، وصار أهـــل

1- محمد بن علي الحصكفي:الدر المختار على تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت،ط2، 1386 ،ج4، ص171

2-المرجع السابق ص16

3- القرافي، الفروق: ص 14، (الفرق 119)

4- متفق عليه

دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعِيل من بيت مال المسلمين هو وعياله، ما أقام بدار الهجرة، ودار الإسلام. "[1] (وكان هذا في عهد أبي بكر الصِّدِّيق، وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الصِّدِّيق و لم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يُعَد إجماعًا.)[2]

وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ مرّ بباب قوم وعليه سائل يسأل: " شيخ كبير، ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه و قال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: ما ألجأك إلى هذا ؟ قال: أسأل الجزية و الحاجة و السن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل. ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم:"إنما الصدقات للفقراء والمساكين"[3]، والفقراء هم المسلمون،وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ثم وضع عنه الجزية وعن ضربائه." [4]

ومن تلك الأمثلة أيضا كتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى عامله في البصرة " عدي بن أرطأة " يوصيه قائلا: " أما بعد، فانظر أهل الذمة فارقق بهم، وإذا كبر الرجل منهم، وليس له مال، فأنفق عليه، فإن كان له حميم فمر حميمه ينفق عليه."[5]

(وبهذا تقرر الضمان الاجتماعي في الإسلام، باعتباره " مبدأً عامًا " يشمل أبناء المجتمع جميعًا، مسلمين وغير مسلمين، ولا يجوز أن يبقى في المجتمع المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج، فإن دَفْعَ الضرر عنه واجب ديني، مسلمًا كان أو ذميًا.)[6] كل هذه الحقوق ضمنت لهم بدءً بحرية التدين – كما بينا في المباحث

1- بسام داود عجك: ص 44

2- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص17

3- التوبة الآية 60

4- أبو يوسف، الخراج: ص 126

5- ابن سعد، الطبقات:ج 5، ص380

6- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص17

الأولى- وانتهاء بحرية العمل والكسب، وحرية الفكر والاعتقاد، (وكانت أول مظاهر تلك الحرية قد ظهرت في تطبيقات الرسول الكريم ﷺ إذ كان من ضمن الغنائم التي آلت إلى المسلمين بعد فتح خيبر-وهي قرى يهودية في شمال المدينة المنورة- مجموعة كبيرة من نسخ التوراة، فأمر النبي ﷺ بردها إلى أصحابها اليهود مباشرة.)[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هناك ضمانات على إثبات هذه الحقوق في الزمن الحاضر كما ثبتت و تحققت في الماضي عبر مختلف العصور الزاهية للحضارة الإسلامية.؟

إن من خصائص التشريع الإسلامي صلاحيته لكل زمان ومكان، وعليه ما صَلُح به أول هذه الأمة يصلُح به آخرها، فالأحكام الشرعية لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص، فحقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي محفوظة باقية ما بقيت مصادر الشريعة، القرآن و السنة...، وقد تولى الله حفظها بقوله تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ." [الحجر:9]فحقوق أهل الذمة محفوظة من منطلق عقدي صرف، وهذا ما فعلة أئمة الأمة في العصور الأولى، (وأشهر الأمثلة على ذلك قصة القبطي مع عمرو بن العاص والي مصر، حيث ضرب ابن عمرو ابن القبطي بالسوط وقال له: أنا ابن الأكرمين!، فما كان من القبطي إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المدينة وشكا إليه، فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه، وأعطى السوط لابن القبطي وقال له: اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى من ضربه التفت إليه عمر وقال له: أدرها على صلعة عمرو فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربتُ مَن ضربني. ثم التفت عمر إلى عمرو وقال كلمته الشهيرة: " يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟.)[2]

ومما يستحق التسجيل في هذه القصة: أن الناس قد شعروا بكرامتهم وإنسانيتهم في ظل الإسلام، حتى إن لطمة يُلطَمها أحدهم بغير حق، يستنكرها ويستقبحها، وقد

1- بسام داود عجك: ص49

2- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص27-28

كانت تقع آلاف مثل هذه الحادثة وما هو أكبر منها في عهد الرومان وغيرهم، فلا يحرك بها أحد رأسًا، ولكن شعور الفرد بحقه وكرامته في كنف الدولة الإسلامية جعل المظلوم يركب المشاق، ويتجشم وعثاء السفر الطويل من مصر إلى المدينة المنوَّرة، واثقاً بأن حقه لن يضيع، وأن شكايته ستجد أذنًا صاغية.

ومن مفاخر النظام الإسلامي ما منحه من سُلطة واستقلال للقضاء، ففي رحاب القضاء الإسلامي الحق، يجد المظلوم والمغبون - أيّاً كان دينه وجنسه- الضمان والأمان، لينتصف من ظالمه، ويأخذ حقه من غاصبه، ولو كان هو أمير المؤمنين بهيبته وسلطانه.[1]

ومن أمثلة الضمانات التي يقدمها جهاز القضاء في الإسلام، قصة القاضي شريح مع الخليفة إذ (سقطت درع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فوجدها عند رجل نصراني فاختصما إلى القاضي شريح . قال عليّ: الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب. فسأل القاضي ذلك النصراني في ما يقول أمير المؤمنين، فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى عليّ يسأله: يا أمير المؤمنين، هل لك من بيِّنة ؟ فضحك عليّ وقال: أصاب شريح، ما لي بيِّنة . وقضى شريح للنصراني بالدرع، لأنه صاحب اليدّ عليها، ولم تقم بينة عليّ بخلاف ذلك. فأخذها هذا الرجل ومضى، ولم يمش خطوات، حتى عاد يقول: أما إني أشهد أن هذه أحكام أنبياء! أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي لي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين، فخرجت من بعيرك الأورق. فقال عليّ ﷺ : أما إذ أسلمت فهي لك!).[2] وهي واقعة تغني عن كل تعليق.

1- المرجع السابق، ص 30

2- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية ، مكتبة المعارف- بيروت،ج 8، ص 4 - 5

المبحث الثاني: الحوار في الأصول الفكرية اليهودية

قبل بسط موضوع الحوار في الأصول الفكرية اليهودية تجدر الإشارة إلى تعريف لفظ " اليهودية ".

تدور معاني اليهودية في اللغة على التوبة والرجوع والعمل الصالح.

جاء في لسان العرب: أن " اليهودية" لفظ مشتق من الهَوْد:أي التَوْبَة، هَادَ يَهُودُ هَوْداً. وتَهَوَّدَ: تاب ورجع إلى الحق فهو هائدٌ، وقومٌ هودٌ: مثل حائلٍ وحُولٍ وبازِلٍ و بُزْلٍ. و التَّهَوُّدُ: التوبة والعمل الصالح.

و يَهُودُ: اسم للقبيلة، وقالوا "اليهود": فأدخلوا الألف واللام فيها علـــى إرادة النسب يريدون اليهوديين، ومنه قوله تعالى: "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ " [الأنعام:146].

و الهُودُ: اليَهود هَادُوا يَهُودُونَ هَوْداً، وسميت "اليهود" اشتقاقا من هَـــادُوا: أي تابوا وأرادوا باليهود اليهوديين. وهَوَّدَ الرجُلَ: أي حَوَّله إلى مِلَّة يَهُود.[1]

أما اليهودية اصطلاحا: فقد عرفها "معجم الإيمان المسيحي" على أنها:

" مجمل مؤسَّسات إسرائيل الدينيَّة، بما فيها الجماعة المرتبطة بها، بعد العودة من الجلاء.

بالمعنى الحصريّ: شريعة موسى التي تُطبَّق بحسب التقليد الربّاني.

بالمعنى العصريّ: الدين اليهودي، أحد الأديان التوحيدية الكبرى الثلاثـــة، إلى جانب المسيحيّة والإسلام."[2]

وعرفها "عبد الوهاب المسيري" بقوله: " يشير اليهود إلى عقيـــدتهم بكلمـــة

---

1 – ابن منظور، لسان العرب: ج 3، ص439

2 – حمودي صبحي و كوربون جان: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط 1، 1994، ص 550

"توراة". أما مصطلح "اليهودية"فيبدو أنه قد ظهر أثناء العصر الهيلـــيني للإشـــارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم. وقد ســـك هـــذا المصـــطلح "يوسيفوس فلافيوس" ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعـــة يهودا، مقابل "الهيلينية" أي عقيدة أهل "هيلاس" " Hellas "وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم.

أما الأصل العبري "يهدوت"، فيعود إلى العصور الوسطى.

وقد أصبحت كلمتا "يهودية" و"توراة" كلمتين مترادفتين، ولكن ثمة اختلافات دقيقة بينهما. فمصطلح "اليهودية" يؤكد الجانب البشري، بينمـــا يؤكـــد مصـــطلح "التوراة" الجانب الإلهي." [1]

1 – عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء1، الباب1، مدخل:اليهودية المصطلح

1- الحوار في العهد القديم

عند دارسة العهد القديم وبالتركيز فيه على الحوار وجدنا أنه يمكن تقسيم الدراسة إلى قسمين:

1- محاورة الربّ لبني إسرائيل سواء بحثّهم على التوحيد ومدحهم و تأييدهم عند الالتزام من جهة، أو تأنيبهم والأخذ على أيديهم في حالة العصيان من جهة أخرى.

2- أمر التوراة بالحوار مع الآخر من جهة، وبعدم الحوار معه من جهة أخرى.

ولدراسة هذا المبحث بهذا الشكل تم التركيز على نماذج من العهد القديم فحسب.

أ- محاورة الربّ لبني إسرائيل تأييدا ومدحا لهم عند الالتزام:

توحيد الربّ:

هذه بعض النصوص الحوارية من العهد القديم التي تأمر بتوحيد الربّ، وأنه ليس إله بني إسرائيل فحسب، بل هو رب العالمين، " **ليعلم كل شعوب الأرض أن الربّ هو الله، وليس إله آخر.**"[1]

وقوله: " أنا الأول والآخر، ولا إله غيري."[2]

و كذلك: "إن الربّ هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من تحت، وليس غيري."[3]

وقال أيضا: " الربّ إلهنا رب واحد، فتحب الربّ إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك."[4]

1- سفر الملوك الأول 8 : 60

2- أشعيا 4 : 6

3- سفر التثنية 4 : 39 .وانظر كذلك نفس المعنى في سفر يوشع 2 : 11

4- سفر التثنية 6 : 4- 5

ويُنزه عن الشبيه و التمثيل فلا يراه غيره كما في قوله: " **إني أنا الله، وليس غيري إلها، وليس لي شبيها.**"[1]

وكذا: " لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش..."[2]

وهناك بعض النصوص الحوارية الأخرى و التي تشير إلى اصطفاء بني إسرائيل وتأييدهم، علما أن هذا الاصطفاء والتأييد مشروط ومقيد بحفظ تعاليم الربّ، والاستجابة لرسله، وعدم التجافي عن توحيده بتقليد الأمم الوثنية بعبادة الأصنام والأوثان منها:

"وأما موسى فصعد إلى الله. فناداه الربّ من الجبل قائلا: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل. أنتم أريتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإنَّ لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تُكلم بها بني إسرائيل. "[3]

وقوله أيضا: "... ويجعلك الربّ رأسا لا ذنبا، وتكون في الارتفاع فقط ولا تكون في الانحطاط، إذا سمعت لوصايا الربّ إلهك التي أوصيك بها اليوم لتحفظ وتعمل. ولا تزيغ عن جميع الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم يمينا أو شمالا، لكي تذهب وراء آلهة أخرى لتعبدها.

ولكن إن لم تسمع لصوت الربّ إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتكدرك. ملعونا تكون في المدينة وملعونا تكون في الحقل. ملعونة تكون سلتك ومعجنك..."[4]

كما تشير بعض النصوص إلى أن اليهود هم شعب الله المقرب، منها:

1- سفر أشعيا 46 : 9 . وفي رواية أخرى (لأني أنا الله، وليس آخر،الإله ،وليس مثلي)

2- سفر الخروج 23 : 20 - 23

3- سفر الخروج 19 : 3-7

4- سفر التثنية 28 : 13- 18

" أنتم أولاد للرب إلهكم، لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الربّ لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض."[1]

و تذهب بعض النصوص في تذكية العنصرية وتفضيل اليهود على غيرهم إلى درجة أمر الآخر- غير اليهودي - بالسجود لليهودي ولعق حذائه.

" هكذا قال السيد الربّ ها إني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي. فيأتون بأولادك في الأحضان و بناتك على الأكتاف يُحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيّداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يَسجُدُون لك ويَلحَسُونَ غُبَار رجليك فتعلمين أني أنا الربّ الذي لا يَخزَى مُنتظروه." [2]

وتصف التوراة أن شعب إسرائيل مبارك من الربّ، منها: " **مباركك مبارك ولاعنك ملعون**."[3]

وكذلك قوله: " مبارك تكون فوق جميع الشعوب."[4]

وقوله أيضا:" ويعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب الذين يرونهم، يعرفونهم، أنهم نسل بركة الربّ."[5]

ولهذا ليس غريبا أن تذكر التوراة أن الربّ يحب بني إسرائيل حبا خاصا، " **لأن الربّ أحب إسرائيل إلى الأبد**."[6]

الوصايا العشر:

هناك نصوص حوارية أخرى لبني إسرائيل، تأمرهم بتطبيق الشريعة، وعلى رأسها الوصايا العشر كما جاء في سفر الخروج: " **لا يكن لك آلهة أخرى أمامي،لا**

1- سفر التثنية 14 : 1- 3

2- سفر أشعيا 49 : 22- 23

3- سفر العدد 24 : 9

4- سفر التثنية8 : 14

5- سفر أشعيا 21 : 9

6- سفر الملوك الأول 10 : 9

تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الربّ إلهك إله غيور، افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مُبغضيَّ. واصنع إحسانا إلى ألوف من مُحبيَّ وحافظي وصاياي.لا تنطق باسم الربّ إلهك باطلا.لأن الربّ لا يُبرئ من نطق باسمه باطلا. أذكر يوم السبت لتقدسه...لأن في ستة أيام صنع الربّ السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع...أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الربّ إلهك. لا تقتل، لاتزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك."[1]

الملاحظ أن هذا النص يشمل جملة من الأحكام العقدية و الأخلاقية.

فالعقدية منها تدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك كصناعة التماثيل والأوثان أو أي صور شركية لعبادتها، أو تقديسها بأي شكل من الأشكال كالسجود إليها، ذلك لأنه اله غيور...

كما تطرق النص لبعض المسائل الغيبية فدعا إلى تقديس يوم السبت واعتباره يوم راحة، لأن الربّ - حسب زعمهم- استراح لما فرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[2]

ثم عرج إلى ذكر بعض الأحكام الأخلاقية، فبين أن الأولاد مسئولون عن ذنوب الآباء،[3] كما أمر بعدم استعمال اسم الربّ والنطق به باطلا.

ومن جهة أخرى فالنص(تضمن الأمر بالتزام عدد من الأخلاق الإنسانية

1- سفر الخروج 20: 3- 18 ،أنظر أيضا سفر التثنية 5 : 6- 22

2- ردّ القرآن على هذا الزعم والكفر الصريح بقوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " [ق: 38]

3-هناك نص يناقض هذا النص وهو في سفر حزقيال 18:20، ونصه:" النفس التي تخطيء فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب،والأب لا يحمل إثم الابن. " وهذا النص يوافق النظرة الإسلامية، قال تعالى: " أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى." [النجم:38

الأساسية، وهي كالتالي: برّ الوالدين، عدم القتل، المحافظة على العفاف، عدم السرقة، والتنزه عن شهادة الزور، وعدم الطمع فيما يملكه الأقرباء، من بيت أو امرأة أو غير ذلك.)[1]

دعاء الربّ ومناجاته:

من الأشكال الحوارية أيضا الدعاء والمناجاة، وهو خطاب رجاء الأدنى في الأعلى، وهذا عموما ما يقوي الصلة بين العبد وسيده الخالق العظيم.

ومن الأدعية التي تطلب من الخالق الهداية والسداد في ضعف وتذلل وخوف منه، وثناء على عدله: " لكلماتي أصغ يا رب. تأمل صراخي. استمع لصوت دعائي يا ملكي و إلهي لأنيّ إليك أصلي. يا ربُّ بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجه صلاتي نحوك و أنتظر. لأنك أنت لست إلها يُسرُ بالشرّ. لا يُساكنُكَ الشرير. لا يقف المفتخرون قُدام عينيك. أبغضت كل فاعلي الإثم. تُهلك المتكلمين بالكذب. رجل الدماء و الغش يكرهه الربّ. أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجُدُ في هيكل قدسكَ بخوفكَ. يا ربّ اهدني إلى برّكَ، بسبب أعدائي، سهِّل قُدامي طريقكَ..." [2]

وقوله أيضا: " يا ربّ لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بغيظكَ. ارحمني يا ربّ لأني ضعيفٌ. اشفني يا ربّ لأنَّ عظامي قد رجفت ونفسي قد ارتاعت جدا. وأنت يا رب فحتى متى، عد يا رب. نج نفسي. خلِّصني من أجل رحمتك. لأنه ليس في الموت ذكركَ. في الهاوية من يحمدك؟ تعبتُ في تنهُّدي. أُعَوِّمُ في كل ليلة سريري بدموعي أُذَوِّبُ فراشي. ساخت من الغم عيني. شاخت من كلّ مُضَايِقيَّ..." [3]

ومثال دعاء التوكل على الخالق و الاحتماء به أيضا:

" بك يا ربُّ احتميتُ فلا أخزَى إلى الدهرِ. بعدلك نجني و أنقذني. أمل إليَّ

1- عابد توفيق الهاشمي: التربية في التوراة ،العهد القديم (عرض وتقويم) بميزان الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2000، ص 117

2- سفر المزامير 5 :1- 8

3- سفر المزامير 6 : 1 - 7

أُذنك وخلّصني. صخرةَ ملجأ أدخله دائما. أمرتَ بخلاصي لأنك صخرتي و حصني. يا إلهي نجّني من يد الشرير من كف فاعل الشرّ والظالم. لأنك أنت رجائي يا سيدي الربّ متكلي منذ صباي. عليك استندت من البطن، وأنت مُخرَجي من أحشاء أُمي، بك تسبيحي دائما. صرتُ كآية لكثيرينَ. أما أنت فملجئي القويّ. يمتلئُ فمي من تسبيحك اليوم كله منْ مجدكَ. لا ترفضني في زمن الشيخوخة. لا تتركني عند فناء قوتي، (...) يا الله لا تَبْعُدْ عنّي يا إلهي إلى معُونتِي أسرِع."[1]

ومن المناجاة قوله أيضا: " الربّ لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟ الربّ لي بين معينيَّ وأنا سأرى بأعدائي. الاحتماء بالربّ خير من التوكل على إنسانٍ. الاحتماء بالربّ خيرٌ من التوكل على الرؤساءِ، (...) آه يا رب خلّص.آه يا ربّ أنقذ..."[2]

1- سفر المزامير 70 : 1 - 13

2- سفر المزامير 118 : 6 - 35

ب- نماذج من تأنيب الربّ لبني إسرائيل والأخذ على أيديهم :

توعَّد الربّ بني إسرائيل بمحاورات شديدة اللهجة، إنهم عصوه و لم يسمعوا الأوامر فكان الفضح والتقريع والإبعاد منها قوله:

" أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة. البركة إذا سمعتم لوصايا الربّ إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصيا الربّ إلهكم، وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها."[1]

وقال أيضا: " إن انقلبتم و أبناؤكم من ورائي، ولا تحفظون وصاياي وفرائضي التي جعلتها أمامكم، بل وتذهبون وتعبدون آلهة أخرى، وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مَثَلاً وهُزأَةً في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة. كل من يمر عليه يتعجب و يَصْفُرُ ويقولون: لماذا عمل الربّ هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا الربّ إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهةٍ أُخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب الربّ عليهم كل هذا الشرّ.[2]

(والحق أن بني إسرائيل بالرغم من تشدقهم بعبادة الله، وأنهم قد اختصوه بهذه العبادة وحده حتى استحقوا أن يختصهم بعهده، فإنهم كانوا أكثر الشعوب كفرا به وتمردا عليه وتذمرا على رسله.. والنصوص التوراتية تؤكد هذا وتوثقه.) [3]

" وعاد بنوا إسرائيل يعملون الشر في عيني الربّ وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الربّ و لم يبدوه فحمي غضب الربّ على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين، وبيد بني

1- سفر التثنية 11 : 26 – 29

2- سفر الملوك الأول 9 : 6 – 9

3- الشرقاوي عبد الله: الكنز المرصود في فضائح التلمود، دار عمران، بيروت، ط 1، 1993، ص 79

عمون..." [1]

وجاء في نبوءة أرميا حوارات شنيعة منها:

" ... الذين أبوا أن يسمعوا كلامي وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها. قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم. لذلك هكذا قال الربّ. هاأنذا جالب عليهم شرا لا يستطيعون أن يخرجوا منه ويصرخون إليَّ فلا أسمع لهم. فينطلق مدن يهوذا وسكان أُورشليم ويصرخون إلى الآلهة التي يُبَخرون لها فلن تُخلصهم في وقت بليَّتهم. لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ! وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزي ومذابح للتبخير للبعل."[2]

وقال: " حقا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل."[3]

وقال لهم: " إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد، وأطلتم الزمان في الأرض، وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا، صورة شيء ما، و فعلتم الشر في عيني الربّ إلهكم لإغاظته، أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها لا تطيلون الأيام عليها، بل تهلكون لا محالة، ويبددكم الربّ في الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم التي يسوقكم الربّ إليها."[4]

بل يذهب بهم التقريع والتوبيخ إلى أبعد حدوده وهم يدّعون أنهم شعب الله المختار:

" قال الربّ لموسى: رأيتُ هذا الشعب وإذا هو شعبٌ صلبُ الرقبة. فالآن اتركني ليَحمَى غضبي عليهم وأفنيَهم."[5]

" وقال الربّ لموسى: حتى متى يهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقونني؟

1- سفر القضاة 10 : 6 – 7. أنظر كذلك القضاة 3: 5 – 8

2- سفر إرميا 11 : 10 – 13

3- سفر إرميا 3 : 20

4- سفر التثنية 4: 25 – 27

5- سفر الخروج 32: 9 – 10

بجميع الآيات التي عملت في وسطهم إني أضربهم بالوباء وأبيدهم... "[1]

"وكلم الربّ موسى وهارون قائلا: حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليَّ.؟ قد سمعتُ تذمر بني إسرائيل الذي يتذمرونه عليَّ. قل لهم حيّ أنا، يقول الربّ لأفعلنَّ بكم كما تكلمتم في أذنيَّ. في هذا القفر تسقط جثثكم، (...) أنا الربّ قد تكلمتُ لأفعلنَّ هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة عليَّ. في هذا الفقر يفنون وفيه يموتونَ."[2]

وعلى ذلك فإن بني إسرائيل قد نقضوا العهد، فلم يعبدوا الله وحده، ولم يقوموا بواجب الالتزام الخلقي العام الذي هو في التوراة، وهما الشرطان اللذان يتم بهما وفاء الله بهذا العهد كما يقولون.[3]

بل كيف تخلد لهم الخيرية والربّ يصفهم بأبشع الأوصاف وعلى رأسها الحماقة وقلة الفهم والحكمة، أيجعلهم خير الأمم وهم على هذه الشخصية التي استحقرها بقوله:

" لأن شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا. هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين. هم حكماء في فعل الشرِّ ولعمل الصالح ما يفهمون." [4]

و قد أكد صراحة على غبائهم وانطماس بصيرتهم الفردية والجماعية قائلا:

" جيل أعوج، يا شعبا غبيا غير حكيم."[5]

وقال: " إنهم أمة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم. "[6]

(إن الأمة التي يحكم كتابها عليها بأنها عديمة الرأي و لا بصيرة فيها، ولا إدراك لها، لا ينبغي لها أن تدعي العقل والفهم، وقد عطلت السمع والبصر عن الوعي،

1- سفر العدد 14: 11 – 12

2- سفر العدد 14: 26- 35

3- أنظر الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 81

4- سفر إرميا 4: 22

5- سفر التثنية 32: 5

6- سفر التثنية 32: 28

وعطلت القلب عن الخشية، فهي أمة مكر وغدر.)[1]

ولهذا قال لهم: " اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم، الذين لهم أعين ولا يبصرون. لهم آذان ولا يسمعون. أإياي لا تخشون، يقول الربّ.(...)مثل قفص ملآن طيورا، هكذا بيوتهم ملآنة مكرا. من أجل ذلك عظموا واستغنوا. سمِنوا لَمَعُوا. أيضا تجاوزوا في أمور الشرّ..." [2]

1- عابد توفيق الهاشمي، التربية في التوراة: ص 89

2- سفر إرميا 5 :21 - 28

ج- أمر التوراة بالحوار مع الآخر وحسن التخلق معه :

بعد الحديث عن الصلة بين الربّ وأتباع التوراة تأييدا وذما، نعرج للحديث عن الصلة بين الإنسان والإنسان أو بالأحرى بين اليهودي والآخر.

لا يخل العهد القديم من الحديث عن الأخلاق والحث على إحسان الصلة بالآخرين بالعدل، والرحمة، وطيب النفس، ومثال ذلك:

قوله: " لا تدع الرحمة والحق يتركانك. تقلدهما على عنقك، اكتبهما على لوح قلبك، فتجد نعمة و فطنة صالحة في أعين الله و الناس."[1]

علما أنه من اتصف بالرحمة اتصف بلين الجانب والحديث، لذا ينصحهم قائلا:

" الجواب اللّين يصرف الغضب، والكلام الموجع يهيج السخط. لسان الحكماء يُحسن المعرفة، وفَمُ الجهَّال يُنبعُ حماقة. "[2]

وقوله أيضا: " تواضع الروح مع الودعاء خير من قسمة الغنيمة مع المتكبرين.(...) حكيمُ القلب يُدعى فهيما، وحلاوة الشفتين تزيد علما."[3]

وكذا قوله:" مخافة الربّ أدب وحكمة، وقبل الكرامة التواضع."[4]

كما نهت نصوص أخرى عن النفاق والحسد و الاعتداء على المحتاج والبائس الفقير، منها:

قوله: " لا تسلب الفقير لكونه فقيرا، ولا تسحق المسكين في الباب. لأن لربّ يقيم دعواهم ويسلب سالبي أنفسهم."[5]

1- سفر الأمثال 3: 3- 4

2- سفر الأمثال 15: 1- 2

3- سفر الأمثال 16: 19 - 21

4- سفر الأمثال 15: 33

5- سفر الأمثال 22: 22 - 23

وكذا قوله: " لا يحسدن قلبك الخاطئين."[1]

ومن النصوص التي تُثَمن الأخلاق وترفع قدر المتصف بها وتصنف الناس حسب أخلاقهم إلى صدّيق وشرير، منها:

قوله: " الصدّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه."[2]

وقوله عن الأشرار:" أما نسل الأشرار فينقطع(...) أما الأشرار فيبادون جميعا. عقب الأشرار ينقطع."[3]

ولإقامة علاقة طيبة بين الشعب والتوراة، (جاء النهي عن التكبر والكذب وسفك الدماء وخبث الطويَّة، والمسارعة إلى الأذى وشهادة الزور وزرع الخصومة بين الإخوة)[4]، كل هذه الأخلاق السيئة تضمنها النص التالي:

" (...)و سبعة هي مكرهة نفسه، عيون متعالية، لسان كاذب، أيدٍ سافكة دما بريئا، قلب ينشيء أفكارا رديئة، أرجل سريعة الجريان إلى السوء، وشاهد زور يفوه بالأكاذيب، وزارع خصومات بين إخوةٍ."[5]

بالتركيز على لفظ " الإخوة " في النص يلاحظ وكأن الابتعاد عن هذه الأخلاق القبيحة هو سلوك خاص بتعامل " اليهودي مع أخيه اليهودي "، إذ الناظر إلى نصوص أخرى يلحظ أن الربّ يأمر بعكس هذه الأخلاق والصفات تماما، من عدم الحوار مع الآخر و احتقاره بل الدعوة الصريحة إلى إبادته بمختلف الوسائل الوحشية، وعليه(فقد تم تضييق النطاق الدلالي لبعض الكلمات، مثل " أخيك " و " رجل "، التي تشير إلى البشر ككل بحيث أصبحت تشير إلى اليهود وحسب وتستبعد الآخرين، فإن كان هناك نهي عن سرقة " أخيك " فإن معنى ذلك يكون في

1- سفر الأمثال 23: 17

2- سفر المزامير37: 29- 32

3- سفر المزامير 37: 28- 39

4- عابد توفيق الهاشمي، التربية في التوراة: ص 119

5- سفر الأمثال 6: 16- 19

الواقع " أخيك اليهودي".)[1] كما سنبينه لاحقا.

د- الأوامر المفتراة على الربّ بأن لا حوار ، ولا مصالحة مع الآخر :

الناظر للنصوص السابقة مبتورة- ومجردة- نظرة موضوعية، يلحظ أن أغلبها من بقايا الوحي الذي لم تمتد إليه يد التبديل والتحريف، لما فيها من دعـــوة للأخـــلاق الفاضلة التي توافق المنظور الإسلامي والإنساني على السواء.

لكن المقارن لها بنصوص أخرى - والتي سنعرضها- يلاحظ حجـــم التنـــاقض الذي طرأ على العهد القديم من جراء التحريف ! حتى ولو أخذنا بعين الاعتبـــار أن اليهودي المؤمن بالتوراة لا يعاني هو الآخر فراغا تشريعيا، فكما هو مأمور بالتعامـــل بالتي هي أحسن مع المسالمين الوديعين، مأمور أيضا بالتكشير عن الأنياب، والضـــرب ضربة لازب على يد كل متكبر جبَّار، دفاعا عن النفس والحقـــوق، ورغـــم ذلـــك فوضوح مضامين النصوص يَنفي كلّ هذه التأويلات المبنية على حسن الظن. وحتى لا نفسر التضارب والتناقض بين النصوص تفسيرا ذاتيا تآمريا، نعرضها بمواضيعها وهـــي تخبر عن فحواها.

الآخر الغريب نجس ولا كرامة له :

تصوِّر النصوص التوراتية الآخر- غير اليهودي- لليهودي أنه إنسان من الدرجة الثانية ما خُلق إلا لخدمته، فهي بذلك تبيح إذلاله بقدر استغلاله، حتى تنمحي كرامته، وما تسميه إلا بألقاب الاغتراب والإبعاد والتنجس، كل ذلك تم بأمر الربّ ومباركته.

فقال- على زعمهم-: " يقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريـــب حَرَّاثيكم وكرَّاميكم. أما أنتم فتدعون كهنة الربّ تُسَمَّونَ خُدام إلهنا. تأكلون ثـــروة الأمم وعلى مجدهم تتأمَّرون."[2]

وقال أيضا:" (...) يكفيكم كل رجاساتكم يا بيت إسرائيل بإدخالكم أبنـــاء

1- عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب15،مدخل: الأغيار،الجوييم

2- سفر إشعيا 60: 5 - 7

الغريب الغُلْف القلوب الغُلْف اللحم، ليكونوا في مقدسي، فينجسوا بيتي..."[1]

وقال: " ابن الغريب أغلف القلب وأغلف اللحم، لا يدخل مقدسي من كل ابن غريب."[2]

وقال أيضا: " وتأكل الشعوب الذين الربّ إلهك يدفع إليك، لا تشفق عينـــاك عليهم (...) ويدفعهم الربّ إلهك أمامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا. ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحوا اسمهم من تحت السماء. لا يقف إنسان في وجهـــك حـــتى تفنيهم."[3]

مصاهرة غير اليهودي خيانة للربّ

إلى هذا الحد يبغض العهد القديم الآخر، بل إنه يأمر أتباعه بعدم مصاهرة غـــير اليهود، ويؤكد ذلك قوله: " والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد، لكي تتشددوا وتأكلوا خير الأمم، وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد (...) أفنعود ونتعدى وصاياك، ونصاهر شعوب هذه الرجسات! أمـــا تسخط علينا حتى تفنينا، فلا تكون بقية ولا نجاة." [4]

بل إن مصاهرة الشعوب الأخرى تعد خيانة للربّ بعقيدة التوراة:

" إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة، لتزيدوا على إثم إسرائيل."[5]

(وقد ساهم حاخامات اليهود في تعميق هذا الاتجاه الانفصالي من خلال الشريعة الشفوية التي تعبِّر عن تزايد هيمنة الطبقة الحلولية داخل اليهودية، فنجدهم قد أعـــادوا تفسير حظر الزواج من أبناء الأمم الكنعانية السبع الوثنية [تثنية 7 / 2- 4]، ووســـعوا نطاقه بحيث أصبح ينطبق على جميع الأغيار دون تمييز بين درجات عليا ودنيا. وقـــد

1- سفر حزقيال 44: 6- 7

2- سفر حزقيال 44: 9

3- سفر التثنية 7: 16- 24

4- سفر عزرا 9: 12 - 15

5- سفر عزرا 10: 10

ظل الحظر يمتد ويتسع حتى أصبح يتضمن مجرد تناول الطعام -حتى ولو كان شرعيا- مع الأغيار، بل أصبح ينطبق أيضاً على طعام قام جوي (غريب) بطهوه، حتى وإن طبَّق قوانين الطعام اليهودية. كما أن الزواج المُختلَط، أي الزواج من الأغيار، غير مُعترَف به في الشريعة اليهودية، ويُنظَر إلى الأغيار على اعتبار أنهم كاذبون بطبيعتهم، ولذا لا يؤخذ بشهاداتهم في المحاكم الشرعية اليهودية، ولا يصح الاحتفال معهم بأعيادهم إلا إذا أدَّى الامتناع عن ذلك إلى إلحاق الأذى باليهود.)[1]

إسترقاق الجار

كما تدعو نصوص العهد القديم إلى جواز استرقاق الآخر ولو كان جارا، وهذا ما يجعلنا نؤمن بعد ملاحظة وتقصي أنه لا مجال لتحرير العبيد في الشريعة اليهودية. ولا أدل على ذلك من النصوص التالية:

قال: " وبنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك."[2]

أما الحرّ الرافض للخضوع والخنوع فإن جزاءه الموت والإبادة.

قال: " لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد، وخرابا تخرب الأمم."[3]

أما العلاقة مع الجار فحددها بقوله: " أما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك، فمن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون عبيدا وإماءً، وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم، فمنهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم، وتتملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك، تستعبدونهم إلى الدهر. وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسانٌ على أخيه بعنف."[4]

1- عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب15 مدخل: الأغيار،الجوييم

2- سفر إشعيا 60 : 10

3- سفر إشعيا 60: 12

4- سفر الاويين 25: 44- 47

الطرد والإبادة لمن لا يطيع اليهود

نصوص كثيرة تلك التي تصف الربّ بأنه عدواني، متعطش للدماء، إذ يدعو اليهود بإلحاح شديد إلى قتل الآخر وإبادته بدل دعوته إلى الإيمان والتوحيد واتباع نور هدايات السماء.(إذ يرون أن ذلك تكريم خاص بهم، دون الآخرين، وأن غير اليهود لا يستحقون في نظرهم أن يرتبطوا بتعاليم التوراة.(...) وإلى يومنا هذا، يأنف اليهود أن يدعوا غيرهم إلى دينهم، والسبب في ذلك عنصريتهم. فالديانة عندهم تتوارث عبر النسل اليهودي فحسب، من الناحية التوراتية، النظرية على الأقل.)[1]

معنى الصلح التوراتي

الصلح في اللغة: اسم من المصالحة وهي المسالمة بعد المنازعة وفي الشريعة عقد يرفع النزاع.[2]

ولا يكاد يخفى على أحد - في اعتقادنا- أن من معاني الصلح: القضاء على الأسباب الحقيقية التي تولد عنها الخلاف بين طرفين بوسيلة مشروعة.[3]

إلا أن هذا المعنى لا تطرحه نصوص العهد القديم البتة. ذلك أن الصلح في الاصطلاح التوراتي معناه: الاستسلام والخضوع والاستعباد والاسترقاق. وكل من يرفض الصلح بهذا المعنى فمصيره حد السيف بعد محاصرته.[4] ولا أدل على هذا المعنى مما جاء في نصوص العهد القديم منها:

" حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكلّ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير و يُستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الربّ إلهك إلى يدك

1- عابد توفيق الهاشمي، التربية في التوراة: ص 147

2- الرازي، مختار الصحاح: ج 1، ص 154

3- ابن منظور، لسان العرب: ج2، ص 517، وانظر أيضا، الجرجاني علي: التعريفات، دار الكتاب العربي-بيروت، ط1، 1405، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج1، ص 176

4- الناظر للممارسات الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني يلاحظ التطبيق الفعلي لهذه النصوص والتعاليم التوراتية

فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربّ إلهك. هكـذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مـدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الربّ إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما."[1]

ومن النصوص التي تدعو إلى حروب الإبادة الشاملة على الآخر، قوله:

" ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حَصُور وضرب ملكها بالسـيف. لأن حصور كانت قبلا رأس جميع تلك الممالك. وضربوا كل نفس بها بحـد السـيف. حَرَّمُوهم. ولم تبق نسمة. وأحرق حاصور بالنار. فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف. حرَّمهم كما أمر موسى عبد الربّ. (...) وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم. وأما الرجال فضربوهم جميعـا بحد السيف حتى أبادوهم. ولم يبقوا نسمة. كما أمر الربّ موسى عبده هكـذا أمـر موسى يوشع وهكذا فعل يوشع. لم يهمل شيئا من كل ما أمر به الربّ موسى."[2]

ومن الوصايا التي ينسبونها للربّ، أن رحمته لا تنزل عليهم إلا بكثـرة القتـل والذبح والحرق لأعدائهم. منها:

" (...) فضَرباً تَضرب سكان تلك المدينة - أريحا- بحد السيف وتحرّمها بكـل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتُحرق بالنـار المدينة، وكلّ أمتعتها كاملة للربّ إلهك تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعدُ.(...) ويعطيك رحمةً. يرحمك ويُكثرُكَ كما حلف لآبائك..."[3]

حتى الأطفال والحوامل لا مجال لرحمتهم لذا قال:

1- سفر التثنية 20: 10 - 16

2- سفر يشوع 11: 10 - 15 . أنظر الإصحاح 12 و13 من نفس السفر. والملاحظ أن هذه هي المسائل التي لا يهملها بنو إسرائيل، أما مسألة ذبح البقرة كما أمر الله- لكشف القاتل- فجوابهم:"إن البقر تشابه علينا...و ما كادوا يفعلون"[البقرة:69-70]

3- سفر التثنية 13: 15- 18

" تُجازى السامرة لأنها قد تمردت على إلهها. بالسيف يسقطون. تحطم أطفالهم والحوامل تُشق."[1]

وقال أيضا- على لسان صمموئيل لشاؤول-:" فالآن اذهب واضرب عماليق وحرِّموا كلَّ ماله ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلا وامرأة. طفلا ورضيعا. بقرا وغنما. جملا وحمارا."[2]

وحتى يتصالح الربّ مع شعبه ويهدأ غضبه يأمر موس عليه السلام أن يصلب جميع رؤساء الأعداء الأسرى عند الشمس:

"(...) فحمي غضب الربّ على إسرائيل. فقال الربّ لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلّقهم للربّ مقابل الشمس فيرتدّ حُمُوُّ غضب الربّ عن إسرائيل."[3]

خلاصة واستنتاج

عند مقارنة النصوص الداعية للحوار ومعاملة الآخر معاملة حسنة، بالنصوص التي تدعو إلى عدم الحوار معه ومعاملته بلغة السيف والقتل، نلاحظ تناقضا صارخا، يعبر عن ازدواجية في الخطاب وكأنها نتاج إرادتين مختلفتين تماما، و لا يمكن إزالة هذا النشاز والتناقض إلا بأمر واحد وهو أن المخاطب بتلك الأخلاق الفاضلة لا يمكن أن يكون إلا يهوديا. أما الآخر فهو عدوٌّ ابتداءً تطبق عليه كل الأحكام العدائية. وما يؤيد هذا الطرح هو النصوص التوراتية نفسها، إذ أن هناك كثير من النصوص و في موضوعات شتى تجعل التعامل مع اليهودي مخالف تماما للتعامل مع غيره. والنصوص التالية توضح ذلك بجلاء:

أكل الربّا

يَحرُم في اليهودية أكل الربّا لما فيه من مفاسد اجتماعية واقتصادية وإنسانية،

1- سفر هوشع 13: 16

2- سفر صموئيل الأول 15: 3- 4

3- سفر العدد 25 : 3 - 5

كما يُحرَم المتعامل به بركات الربّ. إلا النصوص خصصت وقيدت تحريمه على اليهودي مع أخيه اليهودي فقط دون الآخر الإنساني. وهذا تناقض فاضح، فالضرر الذي يقع على اليهودي من جرّاء الربّا يقع على غيره بالضرورة، فكيف يُحرم مع هذا ويُباح مع الآخر لولا الشعور بالاستعلاء عليه، وأنه دون اليهودي قدرا ومنزلة.؟

والنص الدال على ذلك قوله:

" لا تُقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا. للأجنبي تُقرض بربا ولكن لأخيك لا تُقرض بربا، لكي يباركك الربّ إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها."[1]

شهادة الزور

الشاهد: هو العالم بالشيء و الذي يُبين ما علمه، وهو الذي لا يغيب عن علمه شيء والشهيد الحاضر[2]، من المشاهدة وهو من رأى شيئا أو سمعه ولا يتحقق ذلك إلا بالحضور والمعاينة.

الزور: هو الكذب والباطل وقيل شهادة الباطل، رجل زور، وقوم زور، وكلام مزور متزور مموه بكذب.[3]

وعليه تكون شهادة الزور هي تزييف وتزوير لحقيقة مشهودة أو مسموعة، وهذا لعمرك فعل شنيع لا يليق بالإنسان عموما يهوديا كان أو غير يهودي. إلا أن الدارس لنصوص العهد القديم يلاحظ أن هذا الفعل الهابط يحرم أن يفعله اليهودي مع أخيه اليهودي فقط، أما الآخر فيجوز الكذب عليه ومراوغته باسم الربّ الذي زعموا أنه قال:" **لا تشهد على قريبك شهادة زور**"[4] أي مع غير قريبك يُرفع هذا التحريم ويصبح جائزا.

1- سفر التثنية 23: 19 - 20

2- ابن منظور، لسان العرب: ج 3، ص 239- 240

3- المرجع السابق: ج 4 ، ص 333

4- سفر الخروج 20: 16

السرقة

بالنظر إلى الوصايا العشر نجد أن السرقة محرمة قطعا بقوله:" **لا تسرق.**"[1] ولكن الناظر للتوراة يجد عكس هذا التحريم، بل يجد الأمر بالسرقة والكذب والغدر[2]، وهذا تناقض صارخ، إذ تروي النصوص أنه قبل خروج بني إسرائيل من مصر، استعاروا بأمر الربّ، أمتعة وذهبا وفضة من المصريين وهربوا بها عند الخروج في أكبر سرقة عالمية، فزعموا أنه قال: "(...) **تكلّم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكلّ امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب. وأعطى الربّ نعمة للشعب في عيون المصريين.**"[3]

وقال في موضع آخر:" **وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً.وأعطى الربّ نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين...**"[4]

الزنى والإباحية

الدارس للوصايا العشر يجد أن الزنى محرم أيضا بصريح قوله " **لاتزن** "[5]. إلاّ أن المتصفح في ثنايا العهد القديم يجد عكس هذا النهي الصريح، بأمر صريح آخر يأمر فيه الربّ -حسب زعمهم- بالزنى والتحلل الجنسي والأخلاقي، وهذا تناقض وافتراء على الله عزّ وجلّ. فقد ورد أن الربّ أمر نبيه " هوشع " في أول اتصال به - وحيا — في أول إصحاح بأن يتخذ لنفسه زانية مشهورة بين اليهود، فقال: " **أول ما كلم الربّ هوشع قال الربّ لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأةَ زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركةً**

1- سفر الخروج 20: 15

2- أنظر التربية في التوراة ،مرجع سابق ص 127

3- سفر التكوين 11: 2- 3

4- سفر التكوين 12: 35- 37

5- سفر الخروج 20:14

الربّ..."[1]

كيف يأمر الربّ نبيا أن يتزوج من زانية معها أولاد زنى؟ هذا إذا أحسنا الظن بالنص واعتبرنا أن معنى "خذ " الواردة المقصود بها " تَزوَّج " !.

أما إذا أخذنا النص على ظاهره فيصبح المقصود أمر بالزنى، ولا غرابة في ذلك لأن هناك نص آخر يأمر فيه " هوشع " بأن يتخير امرأة أخرى فاسقة محبوبة لغيره وزانية معه ليقيم هو معها علاقة جنسية آثمة[2].

قال الربّ لهوشع- على لسان هوشع-: "وقال الربّ لي: اذهب أيضا أحبب امرأةً حبيبةَ صاحبٍ وزانيةً كمحبة الربّ لبني إسرائيل..."[3]

إباحة الكفر والخيانة

إن المتدبر في نصوص العهد القديم ليصاب بالذهول والدهشة أمام بعض الوصايا التي تأمر صراحة بسوء الأخلاق مع الآخر، (ومن هذه الوصايا الرذيلة، إباحة الغدر حين التعامل مع الآخرين، فتبيح التوراة المحرفة لبني إسرائيل أن يستتروا بالخداع والخيانة، لينالوا من خصومهم! " **يجوز لكم أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار، ويجوز لكم أيضا أن تدينوا بدينهم، وتقرون إليهم، وتضربون الأوتاد في أصداغهم، حتى تنفذَ إلى الأرض.**")[4]

هذه النصوص وغيرها هي التي ترسم الشخصية اليهودية وتطبعها بهكذا أخلاق وميزات، فكيف يحسن غيرهم الظن فيهم فيأمنوهم، أم كيف يحسنون هم الظن بغيرهم فيعاشروهم معاشرة إنسانية مفعمة بالودّ والحوار.؟

1- سفر هوشع 1: 2 - 3

2- أنظر التربية في التوراة ،مرجع سابق ص 126

3- سفر هوشع 3: 1 - 3

4- التربية في التوراة ،مرجع سابق ص 127

2- الحوار في التلمود

قبل التطرق إلى الحوار في التلمود تجدر الإشارة إلى تعريفه، وبيـــان مصـــدره، وقوانينه، ومنزلته في حياة الفرد والمجتمع اليهودي.

أ- تعريف التلمود :

" التلمود Talmoud" : مشتقة من كلمة " لامود Lamoud " التي تعني تعاليم. وبالمجاز المرسل تعني الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية، فهو الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه.[1]

ويعرفه معجم الإيمان المسيحي بأنه: "كلمة عبرية تعني التعليم، وهي تدل علـــى مجمل مؤلفات اليهودية القانونية، يلخّص فيها تقليدهم الذي جاء بعد الكتب المقدّس. إنها عبارة عن مجموعات قانونية وأخلاقية ضخمة تتضمن "المشنه" وتفسّرها، أُلفـــت على عدّة مراحل بعد القرن الثالث باللغة الآرمية."[2]

ويعرفه الشرقاوي عبد الله بأنه:" الكتاب الذي يحتوي على التعـــاليم اليهوديـــة الشفوية، أو بعبارة أخرى أكثر تحديدا هو: الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب الإسرائيلي وتعاليمه وقوانينه الأخلاقية وآدابه."[3]

ومما تجدر الإشارة إليه أن " التلمود " يعد من أندر الكتب الموجودة في واقعنا. ويكشف لنا هذه الندرة قول شوقي عبد الناصر: " التلمود من أندر الكتب الموجودة في عالمنا على الإطلاق، وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه في العالم أجمع أكثر مـــن خمس نسخ، إحداها موجودة في الجمهورية العربية المتحدة، محفوظة حفـــظ الوثـــائق الشديدة الأهمية، وقد استلزم وصولها من مكانها الأصلي إلى الجمهورية العربية المتحدة وضع خطة أشبه بخطط الجاسوسية التي نقرأ عنها في الكتب البوليسية، استغرق تنفيذها

1- آي.بي.برنايتس: فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1985، ص 21

2- معجم الإيمان المسيحي، مرجع سابق، ص 153- 154

3- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 11

- بصبر وحرص وتكتم شديد- ثلاث سنوات كاملة."[1]

و يُلاحَظ أن التراث التلمودي وكتب التفسيرات الضخمة "الشريعة الشفوية" التي تحاول أن تحتفظ لليهودية بهويتها، لم تكن معروفة عملياً للعامة من أعضاء الجماعات اليهودية. وكانت هذه الكتب، أو على الأقل الرؤى التي تتجسد من خلالها، تؤثر بغير شك في سلوك اليهودي. لكن هذا التأثير لم يكن يماثل، بأية حال، أثر التراث الحضاري لبلدهم الذي يتفاعلون معه ويبدعون من خلاله ويدورون في إطاره ويدركون العالم ككل من خلاله. وعلى كلٍّ، لا يمكن فصل الشريعة الشفوية ذاتها عن سياقها الحضاري، وقد ازداد اليهود جهلاً بهذه الكتب في العصر الحديث.[2]

ب- أصل التلمود

يعتبر "الرابيُّون Rabbins " [3] أن موسى عليه السلام هو المؤلف الأول للتلمود، ويؤكدون أنه بعد أن سلمه الربّ القانون المكتوب على ألواح من الحجر والمسمى عند اليهود " توراه شيبكتاب Torah shebiktab"، سلمه أيضا تفسيرات وشروح هذا الكتاب والقانون، في كتاب آخر وهو ما يسمى بالقانون الشفوي، و يُعرف عندهم باسم" توراه شيبيل بيه Torah shebeal peh "و يقال أن موسى عليه السلام نقل هذا القانون الشفوي إلى "جوشوا Joshwa"والذي نقله بدوره إلى " الشيوخ السبعين " والذين نقلوه بدورهم إلى" كبير اليهود "، ثم تناقل عبر الأجيل حيث كانت شروحات علماء القانون اليهودي تُدون على لوائح خاصة للمساعدة على استيعابها لدى الدارسين، وحين جمعت هذه الشروحات تكوّنت منها أسس التلمود اليهودي.[4]

لقد اكتمل جمع التلمود وشرحه وتفصيله عبر فترة زمنية طويلة، عرفت كل

1- ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس ، بيروت، ط 6 ، 1985، ص49

2- أنظر عبد الوهاب المسيري: المجلد3، الجزء2،الباب الأول، مدخل:تراث الجماعات اليهودية الديني

3- جمع مفرده " رابّي Rabbi ": وهي كلمة عبرية وآرمية معناها " معلّمي" وبها يوجّه الكلام إلى علماء الشريعةاليهودية،فهي تسمية لرجل الدين اليهودي. أنظر معجم الإيمان المسيحي، مرجع سابق، ص 230، وكذا برنايتس، فضح التلمود: ص 21

4- برنايتس، فضح التلمود: ص 22، وانظر كذالك الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 12

حقبة منها باسم فئة من العلماء: عصر التنائيم، عصر الأمورائيم، عصر السبورائيم، عصر الغاؤونيم، عصر الفتاوى و المجامع الدينية والمدوّنات الفقهية...[1]

ج- أقسام التلمود

يتكون التلمود من " المشنا Mishna "[2] أي التثنية والإعادة، يفيد اللفظ في العبرية الحفظ والتعليم، ويشكل الجزء الأول من التلمود، وهو تقنين للروايات الشفوية المتواترة، ورتبت مادتها حسب المسائل وصُنِّفت تباعا إلى ثلاث وستين عنوانا، و من "الجيمارا Gemarah"وهي كلمة آرمية تفيد الإتمام، والمشنا يشكل النص والمتن، في حين تمثل الجيمارا الشرح والتفسير، ويشمل " المشنا " على الشريعة المعروفة باسم " هالاخاه Halakha " من الفعل Halakha ويعني الإتيان، وهي الإضافات التي أضافها الآباء الأولون إلى التوراة وهي تكون الشريعة غير المكتوبة أعني التي جاءت عن طريق التواتر والرواية. وقد جمعت " المشنا " في حوالي عام 200م، أما " الجيمارا " فشرح على المشنا وهما معا يكونان مجموعة كاملة من الفتاوى الشرعية.[3]

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك نوعان من " الجيمارا ": (جمارا أورشليم "فلسطين"، وجمارا "بابل".

جمارا أورشليم (أو فلسطين): هو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين- أو بالأخص علماء مدارس طبرية- لشرح أصول المشناه. ويرجع تاريخ جمعه إلى عام400م.

وجمارا بابل: هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه، دوّنها علماء بابل اليهود، وانتهوا من جمعه سنة 500م تقريبا.

1- فتاح عرفان: اليهودية ،عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار،عمان، دار البيارق، لبنان، ط1، 1998، ص 83- 84

2- اعتمد اليهود في كل مكان هذا الكتاب على أنه المرجع الرسمي الموثوق به لقانونهم.أنظر: برنايتس، فضح التلمود: ص23

3- أنظر فتاح عرفان، المرجع السابق: ص 85. وكذا، ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه: ص 11

فمشناه مع شرحه جمارا أورشليم يُسمى " تلمود أورشليمي"، ومشناه مع شرحه جمارا بابل يُسمى" تلمود بابل". وكلاهما يُطبع على حده.)[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أن نسخة جمارا أورشليم (القدس) لم يُعتدَّ بها (نظرا لغموضها وتميزها بالاختصار الشديد، بينما اعتمد اليهود، في المقام الأول وفي جميع الأزمان والظروف، نسخة بابل.)[2]وذلك لاشتماله على النص الكامل للمشناه من جهة، ومن جهة أخرى لأنه كتب في فترة اتسمت بالهدوء والاستقرار وجوّ الحرية الذي سمح بظهور المدارس الدينية، في تلك الحقبة من التاريخ اليهودي.

لذا كان أسمى وأفضل من سُميِّ به "الأورشليمي" في اعتبارات التنظيم والترتيب والمضمون. علما أن التلمود ينقسم إلى كتب وأقسام تعرف بـ" السيدريم sedarim " يعالج كل سيدر منها موضوعا من مواضيع الشريعة، وعدد السيدريم ستة: وينقسم كل سيدر إلى عدد من الفصول مجموعها ثلاثة وستون فصلا.[3]

1- ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه: ص 11- 12

2- برنايتس، فضح التلمود: ص25

3- فتاح عرفان، اليهودية: ص 86. وانظر تفصيل ذلك أيضا في المرجع السابق ص 26- 27

د- منزلة التلمود وأهميته عند اليهود :

ترفض كل من فرقة القرائين و الصادوقيين والسامريين وغيرها التلمود، في حين يتشدد الفريسيين في تطبيقه والعمل به[1]، (وقد اعتبرت " اليهودية الأرثوذكسية "- وريثة الفريسيين وحاملة لوائهم اليوم- طائفة القرائين، ضالين، وهذه الأرثوذكسية- حسب ما جاء في دائرة المعارف اليهودية العامة- تؤمن بالتلمود إيمان الفريسيين به، (...) ومما يجدر ذكره هنا أن " الأرثوذكسية اليهودية " المتشددة هي الحاكمة اليوم في إسرائيل، وهي التي تملك النفوذ على كافة الطوائف اليهودية في العالم وهي راعية الصهيونية في العالم اليوم.)[2]

ومن ذلك تظهر منزلة التلمود جلية بعد تأكيد الرابيين والحاخامات[3] أن أصل التلمود رباني محض، إذ أنزل على موسى عليه السلام وأصّلُوا لذلك بتفسيرهم لبعض نصوص العهد القديم، فهم (يروُون عن الحاخام " ليفي لبن شما Chema" عن الحاخام "سيمون بن لاكيش Lakish " أنه قال مفسرا نص سفر الخروج 24 : 12 من التوراة : **" إنا سنعطيك ألواح الحجر وقانونا ووصايا كتبناها لتعلمها لهم "** :

إن المراد بالألواح: الوصايا العشر.

والقانون: هو القانون المكتوب.

والوصايا: هي المشناه.

و" **كتبناها** " يعني: الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة[يتناقلها اليهود].

" **ليتعلمها** " معناه: الجمارا.

1- راجع ذلك عند ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه: ص 31- 34.وكذلك، الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص32-34

2- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 33- 34

3- جمع مفرده حاخام و«حاخام» كلمة عبرية معناها «الرجل الحكيم أو العاقل». وكان هذا المُصطلَح يُطلَق على جماعة المعلمين الفريسيين «حاخاميم»، ومنها أُخذت كلمة «حاخام» لتدل على المفرد.أنظر عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب13،مدخل: الحاخام (بمعنى القائد الديني للجماعة اليهودية)

فهذا يعلمنا أن هذا كله أعطى لموسى في طور سيناء.)[1]

و يصرح التلمود نفسه في أحد كتبه أنه أهم من الكتاب المقدس، (ففي كراس "بابها ميتسيا Babha Metsia " نقرأ :" أولئك الذين يُكرّسون أنفسهم لقراءة الكتاب المقدس Bible ، يؤدون فضيلة لا ريب فيها، لكنها ليست كبيرة. أولئك الذين يدرسون الميشناه، يؤدون فضيلة، سوف ينالون المكافأة عليها. لكن أولئك الذين يأخذون على عاتقهم دراسة الجمارا، يؤدون فضيلة سامية جدا.")[2]

ويروي التلمود في كتاب" إيروبهين Eroubhin " عن الحاخام روسكي قوله: " التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى" التوراة".[3]

ويروى أيضا عنه في كراس " سانهيدرين Sanhadrin " قوله:" ذلك الذي يخالف أوامر الكتبة، يرتكب خطيئة مميتة أكثر مما لو خالف أوامر القانون."[4]

ويشرح هذا المعنى كتاب شاغيجا: " من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، وليس كذلك من احتقر أقوال التوراة..ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط... لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى."[5]

هذا وقد جاءت وصايا الحاخامات وعلماء اليهود مطابقة لهذا المبدأ، فقال الرابي بشاي:" لا يلزم أن تختلط بمن يدرس التوراة والمشناه دون الجمارا."[6]

وكذلك فإنه عندما يتعارض القانون " الشريعة " مع آراء علماء الدين، يجب اعتبار القانون " الشريعة " وآراء العلماء على أنها جميعا- وعلى حد سواء- من أوامر الله وكلماته.[7]

1- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 12

2- برنايتس، فضح التلمود: ص41

3- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص13

4- برنايتس، فضح التلمود: ص41

5- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 14

6- المرجع السابق

7- المرجع السابق

من هذه النصوص وغيرها كثير، تتفق بعض الفرق اليهودية قديما وحديثا على رأي واحد ذكره التلمود في كراس " ميزبيتش Mizbeach " قوله:" ليس هناك ما هو أسمى مقاما من التلمود المقدس." وبالطريقة ذاتها تقريبا، يتحدث المدافعون المعاصرون عن " التلمود".[1]

يقول د. فابيان: " الحياة اليهودية، حتى هذا اليوم، مؤسسة إلى حد كبير، على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا Liturgie، وقوانين زواجنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة: مستخرجة مباشرة، من التلمود. والتلمود هو الذي تعزى إليه الصفات التي يتميّز بها اليهودي..."[2]

وينقل "فابيان" عن "جيتربرج L.Ginzberg " قوله: " أعطى التلمود اليهودي جنة روحية خالدة، يلجأ إليها كيفما شاء، هاربا من العالم الخارجي بكل ما فيه من حقد ومظالم. وعلى صفحات التلمود وجدت أجيال اليهود المتعاقبة إشباعا لأعمق أمانيها الدينية، وكذالك وجد اليهود في التلمود نافذتهم لأسمى استلهاماتهم الفكرية، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية، فإن التلمود لا يزال - بعد التوراة - القوة الروحية والأخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية."[3]

ومما تجدر الإشارة إليه أن التلمود هُوجم هجوما شديدا خاصة في القرون الوسطى، باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التي أدت إلى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحي سرا وعلانية.

ولا يخفي التاريخ معاداة الفريسيين ومعارضتهم الشديدة لعيسى عليه السلام، إلى درجة أن كثيرا من الملوك والقساوسة المسيحيين أمروا بإحراق نسخ التلمود، عبر عصور متعددة، منها الفاتيكان، إذ أمر بإحراق كل نسخ التلمود المطبوع سنة 1520م بسبب ما تَكَشَّفَ من عقائد اليهود، والنشاط العدائي الذي ظهر بينهم واحتقارهم

1- برنايتس، فضح التلمود: ص 42

2- ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه: 34- 35

3- المرجع السابق

للشعوب الأخرى ودياناتها وعلى وجه أخص المسيحية.[1]

وقد ظل التلمود مجهولاً تقريباً في أوربا المسيحية، ولم يكتشفه المسيحيون إلا في أواسط القرن الثالث عشر، وذلك عن طريق اليهود المتنصرين. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح التلمود محط سخط السلطات الدينية لأنها كانت تراه كتاب خرافات مسئولاً عن عدم اعتناق اليهود المسيحية، كما كانت ترى أنه يحتوي على ملاحظات مهينة ضد المسيحية كعقيدة، وضد شخص المسيح. ومما يذكره التلمود عن المسيح أنه كان يهودياً كافراً، وأن تعاليمه كفرٌ بيِّن، وأن المسيحيين كَفَرة مثله، وأن أمَّه حملت به سِفاحاً من جندي روماني يُدعى بندارا.[2]

ويضم التلمود، فضلاً عن ذلك، أجزاء عن محاكمة المسيح في السنهدرين، ويُقر بأن اليهود هم الذين صلبوا المسيح، وأنهم يتحملون المسئولية كاملة عن ذلك. وقد كانت الكنيسة تنظم مناظرات علنية يشترك فيها عادةً يهود متنصرون ملمون بالتلمود ويعرفون جوانبه السلبية. ومن أهم المناظرات، وربما آخرها، تلك المناظرة التي تمت في بولندا في جوان 1757 وجويلية 1759 بين أتباع يعقوب فرانك وممثلي المؤسسة الحاخامية. وقد كانت الكنيسة تحرق نسخ التلمود التي تُضبَط من آونة إلى أخرى.[3]

وإذا كانت صهيون الوطن الوهمي البعيد، فإن التلمود أصبح الوطن المتنقل. وتنحو الجماعات اليهودية منحى حلولياً - في إيمانها بأنها موضع القداسة وفي موقفها المنكر للزمان والمكان-. وقد ساهم هذا بكل تأكيد في تَزايُد شيوع التلمود بين أعضاء الجماعات اليهودية.[4]

ومما ساعد التلمود على اكتساب مركزية في الفكر الديني اليهودي جهل أوربا المسيحية بوجوده حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وهو ما يعني أنه أصبح الرقعة

1- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 35- 39. أنظر أيضا ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه: ص 32 و40- 49. وكذلك برنايتس، فضح التلمود: ص 42- 46.

2- عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب6،مدخل :التلمود:تاريخ، ص2

3- المرجع السابق

4- المرجع السابق

اليهودية الخالصة، بعد أن اعتبرت الكنيسة العهد القديم -كتاب اليهود المقدَّس- أحد كتبها المقدَّسة. ولكل هذا، حل التلمود محل التوراة في العصور الوسطى باعتباره كتاب اليهود المقدَّس الأساسي، حتى أن كثيراً من الحاخامات كانوا يعرفون التلمود أساساً ويعرفون العهد القديم بدرجة أقل. وقد تركزت في التلمود، بعد تدوينه، كل السلطة الدينية والروحية في اليهودية، حتى أن كل قرار في الحياة اليهودية، مهما علا شأن هذا القرار أو صَغُر، قد جرى اتخاذه وفقاً للسلطة التلمودية.[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب6مدخل : التلمود:تاريخ

هـ- علاقة التلمود بالربّ

المتتبع لما يرويه التلمود من قصص وأخبار تحدد علاقة الربّ بالتلمود، تأخذه الرهبة والدهشة لوقع ما يقرأ.

يقول نصر الله يوسف: " جاء في التلمود: إن النهار اثنتا عشرة ساعة: في الثلث الأول منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس يلعب مع الحوت ملك الأسماك."[1]

بل ويبالغ التلمود في وصف شغل الربّ في الليل والنهار، قال " مناحم ": " إنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع " اسموديه " ملك الشياطين في مدرسة السماء، ثم ينصرف (اسموديه) منها بعد صعوده إليها كل يوم.

والحوت كبير جدا يمكن أن يدخل في حلقة سمكة طولها 300 فرسخ بدون أن يضايقه، وبالنسبة لحجمه الكبير رأى الله أن يحرمه من زوجته، لأنه إن لم يفعل ذلك لامتلأت الدنيا وحوشا أهلكت من فيها، ولذلك حبس الله الذكر بقوته الإلهية، وقتل الأنثى، وملّحَها وأعدّها لطعام المؤمنين في الفردوس. ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها، وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلا: تبا لي لأني صرَّحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي، وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعدما ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان !!. ولما يَسمع الباري تعالى تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول: ما أسعدَ الملك الذي يُمدحُ ويبجل مع استحقاقه لذلك، ولكن لا يستحق شيئا من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء."[2] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

1- نصر الله يوسف: الكنز المرصود في قواعد التلمود، دار القلم- دمشق، ودارة العلوم- بيروت، الطبعة الثانية، 1999، ص55-56

2- المرجع السابق

و- التلمود والآخر

يعبِّر بعض الباحثين عن لفظة " الآخر" بالغير أو(" الأغيار" وهي المقابل العربي للكلمة العبرية "جوييم"، وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية "جُوي" التي تعني " شعب" أو " قوم "، وقد انتقلت إلى العربية بمعنى"غوغاء" و"دهماء". وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود ولكنها بعد ذلك استُخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، ومن هنا كان المُصطلَح العربي "الأغيار". وقد اكتسبت الكلمة إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها " الغريب " أو " الآخر ". والأغيار درجات أدناها العكوم، أي عبدة الأوثان والأصنام، بالعبرية: " عوبدي كوخافيم أو مزالوت " أي "عبدة الكواكب والأفلاك السائرة "، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون. وهناك أيضاً مستوى وسيط من الأغيار " جيريم " أي " المجاورين " أو " الساكنين في الجوار " مثل السامريين.) [1]

وهناك أسماء يطلقها التلمود على المسيحيين خاصة وغير اليهود عامة منها[2]:

- عابوداه زاراه Abbodah Zarah
- آكوم (أو عاكوم) Akoum
- أوبدي إيلياليم Obhde Elilim
- مينيم Minime
- نوخريم Nokhrim
- إيدوم Edome
- آم ها آرتس Amme Haaretz
- أبيقوروسيم Apikorosime
- كوثريم Kouthrime

1- عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب15، مدخل: الأغيار، الجوييم. وأنظر أيضا، الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص234

2- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 261

اليهودي جزء من الله

يعتبر التلمود اليهودي أفضل من الملائكة، لدرجة أن سيطرة الحاخامات على اليهود جعلتهم يعتقدون أن اليهودي جزء من الله، كما أن الإبن جزء من أبيه.[1] هذا الاعتقاد جعل اليهودي ينظر إلى الآخر نظرة احتقار ودونية، وينظر لنفسه نظرة اختيار ورفعة، وذكى التلمود هذا المعنى إذ ورد في بعض كتبه (سنهدرين ص2 ر58) أنه:" إذا ضرب أمي إسرائيليا فالأمي[2] يستحق الموت."[3]

بل ذهب التلمود إلى درجة أن وجود البركة في الأرض مقرونا بخلق اليهودي إذ ورد في الكتاب السابق منه أنه:" إذا لم يخلق اليهود، لانعدمت البركة من الأرض، ولما خُلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش.!!"[4]

1- علق الله في القرآن على هذا الاعتقاد بقوله تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. " [المائدة: 18]

2- الأميّ أو الأممي تعبير أورده القرآن على لسان اليهود في وصف تعاملهم مع الآخر، قال تعالى: "(...) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ." [آل عمران:75]

3- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص200

4- المرجع السابق

غير اليهود : كلاب وحمير وخنازير

إضافة على الصورة الاستعلائية السابقة التي ميزت علاقة الربّ باليهود، كـرّس التلمود هذا المفهوم باعتبار اليهودي أكثر إنسانية من غيره، فالفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب. فاليهودي إنسان أمـا باقي الناس فهم حيوانات في صورة إنسان.

يقول كيريثوت ص 72 ب 6: " تعاليم الربّانيين هي: من يصب زيتـا فـوق غوي، وفوق أجساد ميتة، يُعفى من العقاب، هذا شرعي بالنسبة للحيوان، لأنه ليس بشرا، لكن كيف يمكن القول أن من صب الزيت على غوي يُعفى من العقاب، مع أن الغوي هو أيضا من البشر؟ إن ذلك ليس صحيحا ولا شرعيا، حسب ما هو مكتوب: أنتم قطيعي، وقطيع مرعايّ هم بشرا، أنتم إذن تُدعَون بشرا، لكـن الغـويم ليسـوا كذلك."[1]

في كراس ماكوث ب7: يقال أنه مذنب ذلك الذي يقتل" إلا في حالة أنه قصد قتل حيوان، فقتل إنسانا بالخطأ، أو أنه قصد قتل غوي فقتل إسرائيليا." [2]

نلاحظ هذا الجمع بين الحيوان والغوي، فوجه الخطأ في القتل أنه من أراد قتـل أحدهما – وهو مباح – فقتل إسرائيليا عن غير قصد ذاك هو القتل الخطأ.

بل إن الآخر غير اليهودي (الأغيار) لا يختلف عن الحيوان إلاّ في الشكل فقط، وما خلق على هذه الصورة غير المفزعة، أي (على هيئة الإنسان إلا ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلا ونهارا حيوان وهو على صورته الحيوانية !! كلا ثم كلا فإن ذلك منابذ للذوق و الإنسـانية كـل المنابذة. فإذا مات خادم يهودي أو خادمة وكانا من المسيحيين، فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنسانا ولكن بصفة كونه فقد حيوانا من الحيوانات المسخرة

1- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 206

2- المرجع السابق

له.)[1]

يقول " أيور دايا ": " لا تعز أحدا بسبب وفاة خادمه أو خادمته. كل ما يمكنك أن تقوله (عوَّضك الله عن فقيدك)، تماما كما لو أنك تتحدث إلى رجل فقد بقرته أو حماره." [2]

و يقول ميدراس تالبيوث: " خلقهم الله في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل، إلا أن الآكوم (أو العكوم) خلقوا لغاية وحيدة هي لخدمتهم (أي بني إسرائيل) ليل نهار. وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة. ومن اللائق أن يقوم على خدمة ابن ملك (إسرائيلي) حيوانات بأشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمه."[3]

(وجاء في تلمود أورشليم : " أن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان !! (...) وجاء في التلمود أن اليهودي ينجس إذا لمس القبور، طبقا لما جاء في التوراة، ما خلا قبور من عداهم من الأمم، لأنهم يعدونهم بهائم لا أبناء آدم. !! "بياموت البند6 "، (...) و ذكر في كتب أخرى:" أن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم !!"، والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلابا بل حميرا أيضا. وقال الحاخام" أبارابانيل ": " الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير !!"، ولا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود، لأنهم أشبه بالحمير. ويعتبر اليهود بيوت عبادة باقي الأمم نظير زرائب للحيوانات!!، ولما قدم بختنصر ابنته إلى ابن " سيرا " قال له هذا الأخير: " إني من بني آدم ولست من الحيوانات.")[4]

وقال الرابي " مناحم ": أيها اليهود، إنكم من بني البشر، لأن أرواحكم

1- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 206

2- المرجع السابق: ص 238

3- المرجع السابق: ص 200- 202

4- المرجع السابق: ص 75

مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة." وكان هذا رأي الحاخام " أريل " أيضا لأنه كان يعتبر الخارجين عن الدين اليهودي خنازير نجسة تسكن الغابات، (...) فالخارج عن دين اليهود حيوان على العموم، فسمه: كلبا، أو حمارا أو خترير!! والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان.[1]

الآخر نجس

إن نجاسة الآخر لا تكون بلمسه، أو الأكل معه مثلا، بل بمجرد رؤيته!!، ولا أدل على ذلك- إضافة على النصوص السالفة الذكر- من إلزام الحاخامات بشروحاتهم للتلمود المرأة من أن تعيد الاغتسال إن هي خرجت من الحمام وكان أول شيء وقع على ناظرها شيئا نجسا كالكلب أو الحمار أو الخترير أو الحصان أو المجنون أو الأمي مهما كانت ديانته.

يقول أيورديا هاغاه: " حين تخرج النسوة اليهوديات من الحمام من واجبهن الحرص على الالتقاء بصديق أولا، لا بأي شيء نجس أو مسيحي. إذ أن المرأة إذا فعلت ذلك، وأرادت في الوقت نفسه أن تبقى مقدسة، فعليها أن تعود وتستحم مرة أخرى."، والجدير بالملاحظة أن القائمة التالية للأشياء النجسة تجدها في" بيور هتيت"، وهو عبارة عن تعليق على الشلوشان آروخ: " على المرأة أن تحمم نفسها إذا رأت أي شيء نجس، ككلب، أو حمار، أو سكان عالم الحياة الفانية، مسيحي (أكوم)، خترير، حصان، ومجذوم."[2]

1- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 75

2- المرجع السابق: ص 205

عدم الشفقة على الآخر

يعتبر التلمود غير اليهودي عدوا لله وعدوهم، وهذا ما ينفي عنه صفة الآدمية، وبالتالي لا يصح استعمال الرأفة والشفقة وكل معاني الرحمة معه، بل أن كل غضب الله موجه إليه.

(وذكر في التلمود " سنهدرين1 ر 92 ":" غير جائز أن تشفقوا على ذي جنة."

وقال الرابي" جرسون": " ليس من الموافق أن تأخذ الشفقة الرجل الصالح على الرجل الشرير."

وقال الحاخام " أباربانيل ": ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم.")[1]

جواز الغش والنفاق وسرقة الآخر

جوّز التلمود لبني إسرائيل التعامل مع الآخر غير اليهودي بالغش والاحتيال، بل وبكل سيء الأخلاق، لا لشيء إلا لأنهم كفار لا ذمة لهم، جاء مكتوبا في التلمود: " يلزم أن تكون طاهرا مع الطاهرين، ودنسا مع الدنسين."[2] وما دام غير اليهود دنَّسهم الكفر، فهم المقصودون بالخطاب، ولأن اليهود وحدهم هم الأطهار.

كما تغرس بعض نصوص التلمود في عقلية اليهودي ونفسيته مبدأ " ازدواجية الأخلاق" في التعامل مع الآخر، فيتعامل مع " أخيه اليهودي" بغير ما يتعامل به مع غيره. فتبيح له التعامل بالغش والخداع و أكل الربّا الفاحش دونما حرج، فقد جاء في التلمود: " مسموح غش الأميّ، وأخذ ماله بواسطة الربّا الفاحش، لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئا فلا تخدعه ولا تغشه.!!"[3]

وتذهب أحكام التلمود إلى إباحة التعامل بالقواعد الميكيافيلية- (العاية تبرر

1- نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص 76

2- المرجع السابق.

3- المرجع السابق، ص 81

الوسيلة)- فالغاية أن يربح اليهودي حتى ولو داس على كل القيّم الإنسانية وعلى رأسها العدل، مادام أن الأمر يتعلق بالآخر الأممي الذي لا حرمة له، إذ جاء في التلمود: " إذا جاء أجنبي و إسرائيلي أمامك بدعوى، فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحا فافعل، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا - إذا حصل ذلك في مدينة يحكم فيها اليهود-. وإذا أمكنك ذلك وفقا لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحا، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك. فإذا لم تتمكن من كلا الحالين، - بأن كان اليهود لا يحكمون البلد، والشريعة الأجنبية لا تعطي الحق لليهودي- فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودي." [1]

إن تعاليم التلمود تشكل شخصية اليهودي وتطبعها بمسوح الغموض والريبة إلى درجة أنها تسهل عليه الكذب والنفاق والمراوغة وتبيح له استعمال الحيلة بلؤم ومكر حتى تصبح تلك الطباع سمة أساسية فيه، ولا أدل على ذلك مما يوصي به الحاخامات من خلال شروحاتهم وإضافاتهم و تعاملاتهم مع الآخرين والمدونة في التلمود، والتي كان من المفروض أنها تدعو إلى عمل الخير وخير العمل، إلا أنها على العكس تماما. وإذا كان أكبر مرجعيات الأمة الدينية توجهها إلى هكذا أخلاق تجاه الآخر فكيف سيكون تعامل العامة معه؟. وهذه بعض تلك التوجيهات الحاخامية التي أوردها نصر الله يوسف نذكر منها ما يلي [2]:

- قال الرابي إسماعيل طبقا لتعاليم الحاخام " أكيبا ": " يلزم اليهودي أن لا يجاهر بقصده الحقيقي، حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم."

- وقالت الحاخامات: " إن من يضبط متلبسا بجنحة السرقة أو الكذب يضر بالدين ضررا بليغا. " ومعنى الكلام أنه يجوز لك أن تسرق وأن تكذب، ولكن لا يجوز لك أن تضبط متلبسا بهما حتى لا تضر بالدين!!.

وقال الحاخام " رشي ": " مصرَّح لك أن تغش مفتش الجمرك الخارج عن

1- نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص 81

2- المرجع السابق: ص 81، وما بعدها

الديانة اليهودية، وتحلف له يمينا كاذبة على شرط أن تنجح في ما لفقته من الكذب. "

- وجاء في التلمود: " إن الرابي صموئيل – أحد الحاخامات المهمين – كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاسا، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط، وهو ثمن بخس، وسرق درهما أيضا من البائع."

- واشترى الرابي " كهانا " مائة وعشرين برميلا من النبيذ و لم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة منها فقط!!.

- وباع أحد الربّيين لأجنبي شجرا معدا للكسر، ثم نادى خادمه وأمره أن يكسر بعضها ويسرقه، لأن المشتري وإن كان يعرف عددها لكنه يجهل حجم كل قطعة منها.

- وقال الرابي موسى – ونظر في ذلك لعواقب الأمور-: " إذا غلط أجنبي في حِسْبة فعلى اليهودي أن لا يغشه، بل يقول له: " لا أعرف "، لأنه من الجائز أن يكون الأجنبي فعل ذلك عمداً لامتحان اليهودي وتجربته."

- وقال الرابي " برنز " في كتابه المسمى " بودنيلج ": "يجتمع اليهود كل أسبوع بعد ما يغشون المسيحيين، ويتفاخرون على بعض ما فعل كل منهم من أساليب الغش، ثم يفضُّون الجلسة بقولهم: " يلزمنا أن نترع قلوب المسيحيين من أجسامهم ونقتل أفضلهم."

لا تدعو تعاليم التلمود إلى التباهي بالغش والغدر والسرقة فحسب، بل إنها تحرم ردّ الأشياء المفقودة، واعتبار ردِّها من أشنع الذنوب التي لا يغفرها الله.[1] فقد جاء في التلمود (سنهدرين ص 67): " إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يردّ للأميّ ماله المفقود، وغير جائز ردّ الأشياء المفقودة من الأجانب."[2]

1- إذا كان ردّ الأشياء المفقودة لأصحابها محرم في شريعة التلمود، فما بالك بالأشياء المغتصبة، وعلى رأسها أرض فلسطين؟

2- المرجع السابق ص 83

وقال الحاخام " رشي ":" من يرد شيئا مفقودا لأجنبي فقد اعتبره في درجة الإسرائيلي."

وقال " ميمونيد " : " يذنب اليهودي ذنبا عظيما إذا ردَّ للأميّ ماله المفقود، لأنه بفعله هذا يقوي الكفرة، ويظهر اليهودي بذلك أنه يحب الوثنيين، ومن أحبّهم فقد أبغض الله!!."[1]

قتل غير اليهودي مباح

بعد قطع هذه الأشواط من النصوص و التعاليم التلمودية، المعرِّفة و المشكِّلة لصورة الآخر وقيمته في الوعي اليهودي، ندرك جيدا أن مسار حركة هذه النصوص سيؤول حتما إلى تنامي ثقافة الحقد تُجاه الآخر، والوصول بها إلى إباحة إهدار دمه دون أدنى حرج ولا كبير عناء.

فهذا الرفض للآخر(قد تحوَّل إلى عدوانية واضحة في التلمود الذي يدعو دعوة صريحة – في بعض أجزائه المتناقضة – إلى قتل الغريب، حتى ولو كان من أحسن الناس خلقاً. وقد سببت هذه العدوانية اللاعقلية كثيراً من الحرج لليهود أنفسهم الأمر الذي دعاهم إلى إصدار طبعات من التلمود بعد إحلال كلمة "مصري" أو "صدوقي" أو "سامري" محل كلمة "مسيحي" أو "غريب".)[2]

والنصوص التلمودية التي تدعو إلى قتل الآخر كثيرة منها:

" اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومُحرَّم على اليهودي أن يُنجِّي أحدا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها[3]، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين."[4] وجاء في صحيفة أخرى منه: " إذا وقع أحد من الوثنيين في حفرة

1- انظر المرجع السابق، ص 83 – 84

2- عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب15 مدخل: الأغيار،الجوييم

3- لعل هذا ما يفسر منع قوات الاحتلال الإسرائيلية للطواقم الطبية وسيارات الإسعاف الفلسطينية من الوصول إلى الجرحى الفلسطينيين وتركهم ينزفون حتى الموت.

4- انظر نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص 90

يلزمك أن تسدها بحجر."[1]، وإلى ذات المعنى تدعو أحكام الحاخامات، منها: أنه غير مصرَّح للكاهن أن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصا ولو حصل القتل خطأ أو ندم الكاهن بعد ذلك. ولكن الحاخام " شار" قال :" إنه يمكنه أن يبارك الشعب بتلك اليدّ إذا كان المقتول غير يهودي ولو حصل القتل بقصد وسبق إصرار."[2]

فينتج من ذلك أن قتل غير اليهودي لا يُعدّ جريمة عندهم البتة، بل إن فعل ذلك مما يرضي الله بالمفهوم التلمودي.!

إن شريعة تدعو إلى إبادة الآخر لا لشيء إلا أنه يخلفها في المعتقد، يجعل الأمر أكثر صعوبة وخطورة من الناحية التطبيقية، وهذا ما يوضح لنا بعض الصور القمعية التي يسلطها الاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني. وسنتطرق إلى التطبيق العملي لهذه التعاليم والأحكام بالتفصيل عند الحديث عن الصهيونية وممارساتها في الفصول المقبلة، وكمثال نموذجي على(أطرف تطبيقات هذا المفهوم في الوقت الحاضر، القرار الذي أصدره مؤتمر الدراسات التلمودية الثامن عشر الذي عُقد في القدس عام 1974 وحضره رئيس الوزراء "إسحق رابين"، والذي جاء فيه ضرورة منع "قيام الطبيب اليهودي بمساعدة المرأة غير اليهودية على الحمل". ومن المعروف أن الشرع اليهودي قد تناول بشيء من التفصيل قضية: هل يجوز للطبيب اليهودي أن يعالج غير اليهودي؟ وقد كان الرد هو النفي في جميع الأحوال، إلا إذا اضطر اليهودي إلى ذلك. وينبغي أن تكون نية الطبيب دائماً هي أن يحمي الشعب اليهودي ونفسه، لا أن يشفي المريض. وقد أجاز بعض الفقهاء اليهود مثل "جوزيف كارو" في كتابيه: " بيت يوسف والشولحان عاروخ": أن يجرب الأطباء اليهود الدواء على مريض غير يهودي، وهي فتوى كررها "موسى إيسيرليز" في تعليقه على الشولحان عاروخ. وقد وردت كل الحقائق السابقة في مقال كتبه "إسرائيل شاهاك"، ولم ترد نقابة الأطباء الإسرائيلية على اتهاماته.)[3]

1- نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص 90

2- المرجع السابق

3- عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب15 مدخل: الأغيار،الجوييم

الفصل الثاني: أساليب الحوار

المبحث الأول: أسلوب التواصل

المطلب الأول: نماذج من التواصل الاجتماعي

المطلب الثاني: نماذج من التواصل السياسي

المبحث الثاني: أسلوب الصراع

المطلب الأول : بعض مظاهر الصراع قبل البعثة

المطلب الثاني: بعض مظاهر الصراع بعد البعثة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: أسلوب التواصل

1- نماذج من التواصل الاجتماعي

لقد ضبط الإسلام العلاقة مع الآخر، مهما كانت ديانته أو عرقه أو جنسه، بما في ذلك اليهود – كما قدمنا في الفصول السابقة – وكان لذلك كبير الأثر على الناحية الواقعية، إذ ما التديّن إلا تفاعل الإنسان مع القواعد الدينية، فكان من تديُّن المسلم أن يعامل الآخر وفق الشريعة أي بالحُسنَى، و إلا صار ناقص التديّن إن لم نقل مغشوش التديّن، كل ذلك ما لم يصدر الظلم والتعدي من الآخر.[1]

والدارس للتاريخ الإسلامي يجد أن ذاك الذي كان في معظم الحقب التاريخية، رغم ما يتخلل بعضها من فتن وتعدي لها أسبابها التاريخية [2]، لكن رغم ذلك فقد عاش غير المسلمين، في المجتمع الإسلامي بكل حرية، حيث ضمنت لهم جملة من الحقوق والحريات، في ممارسة الشعائر الدينية، وحرية الكسب و التنقل...، وحتى لا يكون ذلك مجرد كلام، فها نحن نستقصي التاريخ آخذين منه بعض النماذج هنا وهناك، في مجالات عدة مركزين في ذلك على اليهود دون غيرهم لما يقتضيه مجال الدراسة.

1- أنظر : النجار عبد المجيد: في فقه التدين فهما وتنزيلا ، كتاب الأمة، العدد(22)، محرم- 1410 هـ ، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر.

2- انظر: آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، الدار التونية للكتاب- تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر،ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج1، ص 100

أ- الحرية الدينية :

لقد ضمن الإسلام لأهل الذمة جملة من الحقوق -كما بينا آنفا-[1] بما فيها حق التديّن وممارسة الشعائر التعبدية، بصريح نصوص القرآن، منها قوله تعالى:" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ." [البقرة:256]

وعليه كان اليهود - كما كان أصحاب الأديان والملل الأخرى- يمارسون أنشطتهم الدينية بكل حرية بداية ببناء دور العبادة (الأديرة).

يقول " أدم متز "[2]: " لم تكن الحكومة الإسلامية تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة، بل يبلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويأمرهم بصيانتهم، وفي حالة انقطاع المطر كانت الحكومة تأمر بعمل مواكب ويسير فيها النصارى ، وعلى رأسهم الأسقف، و اليهود ومعهم النافخون في الأبواق [3]، وكذلك ازدهرت الأديرة في هدوء..."[4]

ب- التوزيع السكاني :

لم يكن يوجد في المدن الإسلامية أحياء مختصة لليهود والنصارى بحيث لا يتعدونها، وإن آثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين. وكانت الأديرة المسيحية واليهودية منتشرة في كل مكان بحيث لا تخلوا منها ناحية [5] ، وعليه فلا الإسلام كتشريع، ولا واقع المسلمين كتطبيق، أجبرا أهل الديانات والملل الأخرى أن يكون لهم

1- أنظر الفصل الأول من هذا البحث.

2- أستاذ اللغات الشرقية بجامعة " بازل " سويسرة، له مجموعة من المقالات و الدراسات عن الحضارة الإسلامية، منها: "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري".

3- من حيث المبدأ لم يكن لليهود ولا للنصارى الحق أن يحملوا في مواكبهم الرايات والصلبان والمشاغل، أو يخرجوا بسلاح، ولكن هذا لم يكن ينفذ عمليا.

4- آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج 1، ص 82

5- المرجع السابق: ص 86

مكان خاص يتمركزون فيه للحياة و الإقامة، إلا ما اتخذوه هم برغبة منهم حتى عرفوا به، وهو ما يعبر عنه "حارة اليهود "، أي الحارة والشارع الذي يكون معظم سكانه يهودا.

و لم يكن هناك تخصيص لمكان بعينه لدين بعينه إلا في المقابر، في غير حالات الكوارث، إذ (كان موتى المسلمين وأهل الذمة يُدفنون كل على حدة، ولكن يُحكى أنه في عام 319 هـ/931 م جاء إلى تكريت[1]، سيل كبير فغرّق منها أربعمائة دار وغرق خلقا كثيرا من الناس، ودُفن المسلمون والنصارى مجتمعين لا يُعرف بعضهم من بعض.) [2]

كما يروي لنا التاريخ أن عدد اليهود الذين عاشوا في العراق زمن الفاطميين مثلا كان كبيرا، (قدرهم" الربّي بتاحيا "[3] بما يزيد عن حوالي ستمائة ألف (600000)يهودي، حيث كانوا يتوزعون في مختلف المدن والقرى، وقد كانوا كثيرين على نهر دجلة بنوع خاص، (يقول الربّي بتاحيا: " وثمّ يهود في جميع المدن والقرى التي بين نينوى ودجلة". وكان في جزيرة "ابن عمر" أربعة آلاف(4000)، وفي "الموصل" سبعة آلاف(7000)، وفي مدينة "حربة" بأقصى الشمال في العراق خمسة عشر ألفا(15000)، وفي "عبكرى"و "واسط" عشرة آلاف(10000)، ولكن من العجيب أنه لم يكن يوجد ببغداد إلا ألف(1000) يهودي، وكانت المدن التي بها يهود كثيرون على الفرات هي مدينة " الحلة"، وكان بها عشرة آلاف(10000)، و"الكوفة"، وكان بها سبعة آلاف(7000)، و" البصرة" وكان بها ألفان(2000)، وفي أوائل القرن الرابع الهجري كان اليهود هم أكثر أهل مدينتي " سورا" و "نهر ملك" من بين أجزاء العراق الأخرى. وكلما تقدمنا شرقا زاد عدد اليهود، فكان "بهمذان" ثلاثون ألفا(30000)، و"بأصفهان" خمسة عشر ألفا(15000)، و "بشيراز" عشرة

1- تكريت: مدينة عريقة تقع في جنوب العراق

2- المرجع السابق، ص 86

3- رحالة يهودي كان في العراق حوالي سنة 1185 ، أنظر آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1 ، ص 76

آلاف(10000)، و"بغزنة" ثمانون ألفا(80000)، و"بسمرقند" ثلاثون ألفا(30000)[1].

ويقول المقدسي في القرن الرابع ما يؤيد هذا فيذكر أن "بخرسان" يهودا كثيرين ونصارى قليلين، وأن بالجبل يهودا أكثر من النصارى، وكان بالمشرق أيضا المدينتان الوحيدتان اللتان أطلق عليهما اسم اليهودية: إحداهما قرب أصفهان والأخرى شرقي مرو. وكذلك وجد المقدسي إقليم "خوزستان" قليل النصارى غير كثير اليهود أو المجوس، وكذلك في فارس وجد المجوس أكثر من اليهود، وبه نصارى قليل، وكذلك الحال في جزيرة العرب فاليهود أكثر من النصارى، وهم الغالب على مدينة قرْح، ثانية مدن الحجاز عمارة وتجارة. أما مصر (...) فكان بالقاهرة سبعة آلاف (7000)، وبالإسكندرية ثلاثة آلاف(3000)، وبمدن الدلتا نحو ثلاثة آلاف(3000)، وثمّ ستمائة(600) في المدن التجارية بالصعيد.)[2]

إلى هذا الحد كان هذا العدد الهائل من اليهود في العراق وما حوله فقط، وفي هذه الحقبة من الزمن- القرن الرابع الهجري- فقط فما بالك لو أخذنا كل الفترات التاريخية، وكل العالم الإسلامي من "طنجة" بالمغرب الأقصى إلى "جاكارتا" شرق آسيا؟.

كما يشير لنا التاريخ أنه لا يكاد يُفرَق بين المسلمين وغيرهم من حيث بنية المجتمع، باستثناء ما يعرفون به كاللباس ونحوه، كما حدث في مدينة شيراز، (وقد عجب المقدسي من أنه لم ير فيها على مجوسي غيارا يميزه، ومن أن الأسواق تُزين في أعياد الكفار. وفي عام 371 هـ/981م مات أحد كبار الصوفية، فمشى في جنازته المسلمون واليهود والنصارى.)[3]

ولا أدل على هذا التلاحم وعفوية التواصل مما رواه أبو بكر محمد بن عباس المكي قال:" سمعت الوركاني جار أحمد بن حنبل قال: أسلم يوم مات أحمد بن حنبل، عشرون ألف من اليهود والنصارى والمجوس، قال: وسمعت الوركاني: يقول يوم مات

1- شيراز، وهمذان، وأصفهان، وسمرقند ... كلها مدن فارسية تحت سيادة الدولة الإسلامية.

2- آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1 ، ص 77- 78

3- المرجع السابق، ص 80

أحمد بن حنبل وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف من النـــاس، المســـلمين واليهـــود والنصارى والمجوس."[1]

ومما يحكيه التاريخ أيضا من مظاهر هذا التقارب بين المسلمين وأهـــل الذمـــة، خروج الناس بكثافة للاستسقاء بالصحراء لتوقف النيل عن الزيادة، إذ (خرج قاضى القضاة "شرف الدين يحيى المناوى" إلى الصحراء، ماشيا من داره بين الخلائـــق مـــن الفقهاء والفقراء والصوفية، إلى أن وقف بين تربة الملك "الظاهر برقوق"، وبين قبـــة "النصر"، قريبا من الجبل، ونصب له هناك منبر وحضر الخليفة وبقية القضاة، وصاروا في جمع موفور، من العالم من سائر الطوائف، وخرجت اليهود والنصارى بكتبـــهم، وصلى قاضى القضاة المذكور بجماعة من الناس ركعتين خفيفتين، ودعا الله ســـبحانه وتعالى بإجراء النيل، وأمَّن الناس على دعائه، وعظم ضجيج الخلائـــق مـــن البكـــاء والنحيب والتضرع إلى الله تعالى، ودام ذلك من بعد طلوع الشمس إلى آخر الســـاعة الثانية من النهار المذكور، ثم انصرفوا على ما هم عليه من الدعاء والابتـــهال إلى الله تعالى، فكان هذا اليوم من الأيام التي لم نعهد بمثلها.)[2]

ومما يرويه لنا التاريخ أيضا تناصح المجتمع فيما بينه، دون التفرقة بـــين اليهـــود والمسلمين، كالتحذير من الفسقة والزنادقة وأفعالهم، سواء كان المتصف بها يهوديا أو مسلما، ولقد نصح اليهود المسلمين يوما محذرينهم من أحد الزنادقة، الذين يحـــاولون تحطيم الدين وتحريفه بمقولاتهم الإلحادية، كما حدث مع (أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين البغدادي، المعروف "بابن الراوندي الماجن"، المنسوب إلى الهزل والزندقة، كان أبوه يهوديا فأسلم هو، فكانت اليهود تقول للمسلمين: احذروا أن يفسد هذا عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا كتابنا، وصَنَفَ أحمد هذا في الزندقة كُتباً كثيرة منـــها: كتاب "بعث الحكمة" وكتاب "الدامغ للقرآن"، وغير ذلك، وكان زنـــديقا وكـــان يقول: إنا نجد في كلام "أكثم بن صيفي" أحسن من" إنا أعطيناك الكوثر" و "قل أعوذ

1- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية-بيروت، ج 4، ص 422

2- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ج 15، ص 424

برب الفلق"، وإن الأنبياء وقعوا بطلسمات، كما أن المغناطيس يجذب الحديد، (...) ولهذا التعيس الضال، أشياء كثيرة من هذا الكفر البارد، الذي يسئم أسماع الزنادقة، لعدم طلاوة كلامه، وأمره في الزندقة والمخرقة أشهر من أن يذكر -عليه اللعنة والخزي-، ولما تزايد أمره صلبه بعض السلاطين وهو ابن ست وثمانين سنة.)[1]

ويروي لنا التاريخ فيما يروي عن استشعار غير المسلمين في المجتمع المسلم بروح المواطنة أي أنهم جزء من الوطن الذي يعيشون فيه، دون شعور منهم بالغربة والإقصاء، فيفرحون بقدوم رئيس الدولة وملكها، كما يفرح أي مواطن في بلده، ويخرجون لاستقباله كما يخرج الآخرون دونما شعور بالنقص، أو الاغتراب. ومثال ذلك أنه في عام 692هـ نزل الملك" الظاهر برقوق" قاصدا الديار المصرية، فخرج لاستقباله الأعيان، من العلماء والأمراء و حتى الفقراء، كما خرج الأشراف مع السيد "الشريف علي" نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بأعلامها وأذكارها، وكذا مشايخ الصوفية، وخرجت العساكر المصرية بلبوسها الحربية، وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل، ومعهم الشموع المشتعلة، وخرج من الناس ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وعندهم من الفرح والسرور ما لا يوصف، وهم يصيحون بالدعاء له حتى لقوه وخاطبوه.[2]

ومما يثبت روح المواطنة عند أهل الذمة أيضا، في بعض محطات التاريخ الأخرى، ما حدث في القرن التاسع عشر (19) مثلا، حيث رفض اليهود والنصارى مقررات "مؤتمر الأستانة"، والمنعقد في 5 أكتوبر سنة 1876م، حيث عرض وزير خارجية إنكلترا على باقي الدول المنتحلة لنفسها حق التدخل في شؤون الدولة العليّة، اجتماع مؤتمر في مدينة "الأستانة"، لتسوية حالة مسيحيي الدولة بكيفية ثابتة، منعا لحصول الحرب بينها وبين روسيا التي كانت شارعة في جمع جيوشها والاستعداد للحرب، فجمعت الدولة — العلية- مجلسا عاما من ذوات الدولة وأعيانها ورؤساء الديانات في 18 يناير سنة 1877 وعرضت عليهم اقتراحات المؤتمر، فقال الكل بوجوب رفضها،

1- جمال الدين يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة: ج 3 ، ص 176

2- أنظر المرجع السابق، ج 12، ص 3

ومن الغريب أن وكيل "بطريرق الأرمن" و"حاخام اليهود" كانا من أشد المعارضين في قبولها وقالا بما مؤداه: أن جميع أبناء طوائفهم مستعدون للدفاع عن شرف الدولة العلية واستقلالها استعداد المسلمين لذلك، إذ الكل صاروا عثمانيين متساويين أمام القانون طبقا للقانون الأساسي.[1]

ج- التجارة والحرفية:

لقد أعطى الإسلام لغير المسلمين حرية العمل والكسب، بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي، شأنهم في ذلك شأن المسلمين.

كما منع أهل الذمة من بيع الخمور والخنازير على الأراضي الإسلامية، وفتح الحانات فيها لشرب الخمر وتسهيل تداولها أو إدخالها إلى أمصار المسلمين على وجه الشهرة والظهور، ولو كان ذلك لاستمتاعهم الخاص، سدًا لذريعة الفساد وإغلاقًا لباب الفتنة. أما عدا هذه الأمور، فقد قرر الفقهاء أن أهل الذمة في البيوع والتجارات والصناعات والحرف المختلفة، وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين تماما.[2]

علما أن حرية الملكية و التجارة التي ضمنت لهم مكّنتهم -كما يروي التاريخ - من استحواذهم على بعض الحرف والمهن فكانت مقصورة عليهم دون غيرهم، وهذا دَرَّ عليهم أموالا طائلة.

يقول آدم متز:"لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدرّ الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارًا وأصحاب ضياع وأطباء، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم، بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة في الشام مثلاً يهودًا. على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى. وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود

1- أنظر محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس- بيروت، الطبعةالثانية1403هـ، تحقيق د. إحسان حقي، ج1، ص 615-617

2- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص 22

وجهابذتهم عنده."[1]

إن التسامح الإسلامي مع الآخر صنع أجواء نظيفة، تقدّس العمل وتثمنه، وتسمح بالتنافس والثراء المشروع، فكان لليهود - كما كان لغيرهم — حظ وافر في الغنى وجمع ثروات هائلة، بفضل انفتاح السوق أمام الآخر من جهة، وبفضل إتقانهم لفنون التجارة والصناعة من جهة أخرى، إذ لما تهيأت لهم الظروف، ووُفرَت لهم - و لغيرهم- الإمكانات المادية والقانونية تفتقت مواهبهم، وقدراتهم في هذا المجال، فكانوا فيه — وليزالون — من أغنى الناس، وكل ذلك كان سببه الأمن على الأموال والأنفس، دون الخشية عليها من أن تسلب لا من طرف الراعي، ولا من طرف الرعيّة.

ومما يرويه لنا التاريخ في ذلك أن اليهود كانوا أكبر منافس لأهل العراق وفارس، ففي القرن الرابع الهجري مثلا، يذكر المؤرخون أن معظم التجار بمدينة "تَسْتَر" كانوا يهودا، علما أن "تستر" هي من أكبر المراكز لصناعة السُجّاد و البُسُط الفارسية.[2]

وقد أُعطيَّ اليهود ما لم يُعطه غيرهم، منها: أن الذي كان يُستخرج و يُقبض من اللؤلؤ في شواطيء جزيرة العرب يعود لسيطرة رجل من اليهود. وحتى الأسواق المغلقة في وجه التجار الأجانب كبلاد كشمير مثلا، حيث كانت القلة القليلة التي تدخلها، هي من اليهود.[3]

وكان في العراق كما يذكر "آدم متز" رجلين من جهابذة اليهود، أحدهما يسمى " يوسف بن فنحاس"، و الآخر "هارون بن عمران"، يقرضان الوزير عشرة آلاف (10000) دينار، لتسيير شؤون الدولة، وكان ذلك في مطلع القرن الرابع الهجري. كما ذكر أنه في القرن الخامس الهجري، كان هناك رجلا من اليهود يُسمى " أبا سعد" له مال كثير لدرجة أنه كان على سقف "سرايته"، 300 جرة من الفضة، في كل واحدة منها شجرة مثمرة محمّلة.[4]

1- آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1 ، ص 80- 81

2- المرجع السابق: ج 2، ص 796.

3- المرجع السابق .

4- المرجع السابق.

2- نماذج من التواصل السياسي

أ- حرية القضاء :

لقد ظلت الحضارة الإسلامية لقرون تضرب أروع الأمثلة والصور في فن التعامل مع الآخر، فالقضاء مثلا إنما هو حكم بالشريعة الإسلامية، ولا يطلب من غير المسلم أن يُحكم بما لا يؤمن به. ولما كان الشرع الإسلامي خاص بالمسلمين، فقد خلت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيُّون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون. وكانت أحكامهم تشمل جوانب كثيرة، كالزواج والميراث والمنازعات التي تخصهم كيهود أو كمسيحيين فيما بينهم وحدهم مما لا شأن للدولة به، أي في خصوصياتهم الدينية يحكم شرعهم، ويجوز للذمي أن يلجأ إلى المحاكم الإسلامية فيحكم فيه بالشريعة الإسلامية، وكان ذلك يُغيظ كثيرا من رؤساء اليهود والنصارى.[1]

أما في الأندلس فكان اليهود والنصارى يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم، ولم يكونوا يلجأون للقضاء الإسلامي إلا في مسائل القتل، ويقول" الربّي بتاحيا":" إن رؤساء اليهود في الموصل كانوا هم الذين يعاقبون مرؤوسيهم، حتى ولو كان أحد طرفي الخصومة مسلما، وكان في " الموصل" سجن يسجن فيه اليهود."[2]

ومعنى ذلك أن جهاز القضاء بما في ذلك إدارة السجون كان مستقلا عن حكم الدولة وسلطانها، فلكل دين أحكامه الخاصة به.

و كان من حقوق الدولة وأحكامها الواجبة على أهل الذمة دفع الجزية، وهي أشبه بضريبة للدفاع الوطني، وقد حددت الشريعة مقاديرها، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح، ولا تؤخذ من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم، ولا من

1- أنظر تفصيل ذلك عند آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1 ، ص 86 - 88

2- المرجع السابق

مسن ولا من صاحب عاهة مستديمة، ولا من فقير معدم ولا من راهب متبتّل عابد.[1]

وقد بلغ تسامح المسلمين ذروته فيما يخص أخذ الجزية، إذ رُوي عن " الربّي بتاحيا" قوله[2]: " إن اليهود في العراق لا يدفعون شيئا للخليفة، وإنما يدفع الواحد منهم في كل عام دينارا واحدا لرأس الجالوت."[3]

أي لا تدخل الأموال إلى خزينة الدولة، وإنما تذهب لرئيس اليهود، وهذا نوع من الاستقلالية في التسيير الذاتي، ولا يُعد ذلك ازدواجية في الحكم، ولا ضعفا في أجهزة الدولة، وإنما هو من باب إعطاء حرية أكبر للآخر لتسيير شؤونه، رغم أن الدولة تحميه من الأخطار الداخلية والخارجية. وهذا تسامح نادر الوقوع، من الأجدر أن يكتبه الآخر بماء الذهب.

ب- رجال الدولة:

لقد كان لأهل الذمة الحق في تولي وظائف الدولة كالمسلمين. إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة ورئاسة الدولة والقيادة في الجيش، والقضاء بين المسلمين، والولاية على الصدقات ونحو ذلك (...) وماعدا ذلك من وظائف الدولة يجوز إسناده إلى أهل الذمة إذا تحققت فيهم الشروط التي لا بد منها من الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة.[4]

ومما يعجب له بعض الباحثين، إعتلاء كثير من أهل الذمة مناصب عليا في الدولة الإسلامية، يقول آدم متز:"من الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال (الولاة وكبار الموظفين) والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام والشكوى من تحكيم أهل الذمة في أبشار المسلمين

1- أنظر تفصيل ذلك عند القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص 31 - 43

2- آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1، ص 89

3- رأس الجالوت: لقب لرئيس الطائفة اليهودية ببغداد، في دولة الفاطميين، يلقبه المسلمون " بسيدنا "، ولقد كان انقسام دولة الخلافة إلى خلافة ببغداد وأخرى بالقاهرة أثره في تنظيم المجتمع اليهودي، إذ نجد بالقاهرة رئيسا آخر لليهود يُلقب "سر هسّاريم"، أي أمير الأمراء. أنظر تفصيل ذلك عند آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1، ص 76

4- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ص 23

و أموالهم شكوى قديمة."[1]

ومن أمثلة ذلك "أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي"، الذي تولى الوزارة بالقاهرة ثلاث سنوات من عام 436هـ إلى 439هـ/1044م-1047م، علما أنه كان يهوديا ثم أسلم، وكان يدير الدولة معه " أبو سعد التستري" اليهودي ولذلك قال الشاعر المصري الحسن بن خاقان:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا

العزُّ فيهم والمال عندهمو ... ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إني نصحت لكم ... تهوَّدوا، قد تهوّد الفلك [2]

ومما يرويه لنا التاريخ أيضا ثقة الدولة الإسلامية بأيمان اليهود والنصارى خاصة عند تنصيبهم في مناصب الدولة، فكان (المتصرِّفون النصارى واليهود يقسمون اليمين، شأنهم شأن المسلمين، وقد جاءت في كتاب ديوان الإنشاء الذي أُلِّف عام 840هـ/ 1436م صيغة اليمين الذي كان يقسمه اليهود في ذلك العهد، وذكر أيضا أن أول من استحدث هذا اليمين لأهل اليهودية: "الفضلُ ابن الربّيع" وزير الرشيد، أحدثها كاتب عنده، ومنها استُنبطت هذه الألفاظ.) [3]

ويروي لنا التاريخ أيضا عن بعض الوزراء اليهود الذين استوزروا في الدولة الإسلامية إلا أنهم انحرفوا عن طريق الجادة فكلفهم ذلك حياتهم وبعض الأحيان حياة من استوزروهم، ومن أمثلة ذلك :

"إسماعيل بن يوسف بن نغرله اليهودي": من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، آل أمره إلى أن استوزره "باديس ابن حبوس" ملك غرناطة، فاستهزأ بالمسلمين وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغني بها، فآل أمره إلى أن قتلته صنهاجة

1- آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1، ص 97

2- المرجع السابق: ج1، ص 108

3- المرجع السابق: ج1، ص 97

أصحاب الدولة بغير أمر الملك.[1]

وفي سنة 867هـ، عين السلطان عبد الحق بن أبي سعيد يهوديان على رياسة أهل فاس وهما: "هارون" و"شاويل"، وما إن أخذا منصبيهما حتى (شرعا في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال، واعتز اليهود بالمدينة وتحكموا في الأشراف والفقهاء فمن دونهم، وكان اليهودي "هارون" قد ولى على شرطته رجلا يقال له "الحسين"، لا يألو جهدا في العسف واستلاب الأموال، واستمر الحال على ذلك والناس في شدة. (...) ثم إن اليهودي عمد إلى امرأة شريفة من أهل "حومة البليدة"[2] فقبض عليها، فانحنى عليها بالضرب، ولما ألهبتها السياط جعلت تتوسل برسول الله، فحمى اليهودي وكاد يتميز غيظا من سماع ذكر الرسول، وأمره بالإبلاغ في عقابها، وسمع الناس ذلك فأعظموه، وتمشت رجالات "فاس" بعضهم إلى بعض، فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه " أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي" وكانت له صلابة في الحق وجلادة عليه، بحيث يلقي نفسه في العظائم ولا يبالي، وقالوا له: ألا ترى إلى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم إلى ما سمعت، فنجع كلامهم فيه، وللحين أغراهم بالفتك باليهود، وخلع طاعة السلطان عبد الحق، وبيعة " الشريف أبي عبد الله الحفيد" فأجابوه إلى ذلك، واستدعوا الشريف المذكور فبايعوه والتفت عليه خاصتهم وعامتهم.)[3] ولما عاد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد الذي كان غائبا، نزع منه خاتم الملك، وضربت عنقه بعد قتل اليهوديين "هارون" و"شاويل".

ومما يرويه لنا التاريخ أيضا عن بعض المواقف السياسية لبعض حكام المغرب، والتي أعادوا بها الأمة إلى الالتزام بقواعد التعامل مع الآخر - وخصوا اليهود - وفق أحكام الشريعة، من ذلك أنه لما كانت وقعة "تطاوين"، ودهم الناس ما دهمهم من أمر

1- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، دار المعارف- القاهرة، الطبعة الثالثة،1955، تحقيق، د. شوقي ضيف

2- البليدة: حومة بفاس قالوا: وكانت بدار الكومى قرب درب جنيارة. أنظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، ط 1،1997، تحقيق،جعفر الناصري و محمد الناصري، ج 2، ص99.

3- المرجع السابق، ص 99 .

الحمايات، وأكثر من تعلق بها اليهود، إذ لم يقتصروا على ذلك بل راموا الحرية تشبها بيهود مصر ونحوها، فكتبوا إلى يهودي من كبار تجارهم "باللوندرة" اسمه "روشابيل"، وكان هذا اليهودي قارون زمانه، وكانت له وجاهة كبيرة في دولة الإنجليز، لأنها كانت تحتاج إليه فيسلفها الأموال الطائلة، وله في ذلك أخبار مشهورة، فكتب يهود المغرب إليه أو بعضهم، يشكون إليه ما هم فيه من الذّلة والصغار، ويطلبون منه الوساطة لهم عند السلطان، في الإنعام عليهم بالحرية، فعيّن هذا اليهودي صهرا له للوفادة على السلطان في هذا الغرض وفي غيره، وأصحبه هدايا نفيسة، وسأل من دولة الإنجليز، أن يشفعوا له عند السلطان ويكتبوا له في قضاء غرضه، ففعلوا، وقدم على السلطان "بمراكش" وقدم هداياه وسأل تنفيذ مطلبه، فتجافى السلطان عن ردّه مخفقا، وأعطاه "ظهيرا"، فتمسك به اليهودي، يتضمن صريح الشرع وما أوجب الله لهم من حفظ الذمة وعدم الظلم والعسف، ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى[1]، ونص الظهير المذكور بالطابع الكبير كما يلي:

" بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

نأمر من يقف على كتابنا هذا، – أسماه الله وأعز أمره، وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره – من سائر خدامنا، وعمالنا، والقائمين بوظائف أعمالنا، أن يعاملوا اليهود الذين بسائر إيالتنا بما أوجبه الله تعالى، من نصب ميزان الحق، والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام، حتى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم، ولا يضام، ولا يناهم مكروه ولا اهتضام، وأن لا يتعدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم لا في أنفسهم ولا في أموالهم، وأن لا يستعملوا أهل الحرف منهم، إلا عن طيب أنفسهم، وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم، ولا في حق غيرهم، ولا نرضاه، لأن الناس كلهم عندنا في الحق سواء، ومن ظلم أحدا منهم أو تعدى عليه فإنا نعاقبه بحول الله، وهذا الأمر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقررا ومعروفا محررا، لكن زدنا هذا المسطور تقريرا

1– أبو العباس الناصري، كتاب الإستقصاء: ج 3، ص 113

وتأكيدا، ووعيدا في حق من يريد ظلمهم وتشديد، ليزيد اليهود أمنا إلى أمنهم، ومن يريد التعدي عليهم خوفا إلى خوفهم، صدر به أمرنا- المعتز بالله- في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ثمانين ومائتين وألف (1280)."[1]

ولما مكنهم السلطان من هذا الظهير، أخذوا منه نسخا وفرقوها في جميع يهود المغرب، وظهر منهم تطاول وطيش، وأرادوا أن يختصوا في الأحكام فيما بينهم، لاسيما يهود "المراسي"، فإنهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك، ثم أبطل الله كيدهم، وخيب سعيهم، لأن السلطان لما أحس بطيش اليهود، عقب ذلك الظهير بكتاب آخر، بيَّن فيه المراد، وأن ذلك الإيصاء إنما هو في حق أهل المروءة والمساكين منهم، المشتغلين بما يعنيهم، وأما صعاليكهم، المعروفون بالفجور والتطاول على الناس، والخوض فيما لا يعني، فيعاملون بما يستحقونه من الأدب.[2]

ج- بعض العلماء والأطباء :

ومما يرويه لنا التاريخ أن كثيرا من الملوك والأمراء عبر مختلف عصور الدولة الإسلامية — بعد الخلافة الراشدة -كان لهم أطباء يهود، علما أن طبيب الخليفة أو الأمير كان بمثابة وزير، فهو من عداد رجال الدولة، ومن بين هذه الحقب التاريخية نجد الدولة الفاطمية، التي أظهرت تسامحا عجيبا مع أهل الذمة، إذ يسلم المسلمون أرواحهم وأبدانهم لهم دونما حرج ولا حيطة، (فقد كان للخلفاء الفاطميين أطباءُ من اليهود، ولم يحتج هؤلاء الأطباء إلى تغيير دينهم، وعَظُم نفوذهم حتى صار لا يُعمل شيء في بلاط " المُعز " إلا بمعونة اليهود، وعرف ذلك الوزير الداهية " ابن كلّس " الذي كان يهوديا،فأسلم وصار يتحيز إلى إخوانه في الدين من قبل.- أي اليهودية-)[3]

في عام 524هـ كان للخليفة في مصر، الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد

1- المرجع السابق: ج 3، ص 114

2- المرجع السابق.

3- آدم متز، الحضارة الإسلامية: ج1 ، ص 103

ابن الأمير أبي القاسم محمد[1]، طبيبان يهوديان يقال لأحدهما " أبو منصور"، وللآخر " ابن قرقة "، وكان الخليفة على خلاف مع أحد أبنائه الذي أراد زحزحته عن الحكم، فلم يجد الخليفة بُدا إلا أن يقتل ابنه باستعمال الطبيبين اليهوديين، وكان "ابن قرقة" خبيرا بالاستعمالات ذكيا، فحضر الخليفة إلى "أبي منصور" قبل "ابن قرقة"، ففاوضه في عمل السقية القاتلة لولده، فتحرّج من ذلك وأنكر معرفته، وحلف برأس الخليفة وبالتوراة أنه لا يعرف شيئا من هذا، فتركه ثم حضر ابن قرقة ففاوضه في السقية فقال: الساعة، ولا يتقطع الجسد بل تفيض النفس لا غير، فأحضرها في يومه، وألزم الخليفة ولده "حسنا" على شربها فشربها ومات. وانكشف أمر الخليفة وطبيبه فقتلا ... ثم أنعم الخليفة الجديد على أبي منصور وجعله رئيس اليهود وحصلت له نعمة ضخمة.[2]

ومن أسماء الشخصيات اليهودية المشهورة في الطب، والتي كانت تحض بجميل الثناء و الإكبار عند المسلمين سواء خلفاء، أو أمراء، أو عامة الناس:

أبو المعالي بن تمام: هو أبو المعالي تمام بن هبة الله بن تمام، يهودي غزير العلم، وافر المعرفة، وكان مشهورا في الدولة موصوفا بالفضل مشكورا بالمعالجة، وكان مقيما بفسطاط مصر، وأسلم جماعة من أولاده، وكان أبو المعالي قد خدم بصناعة الطب، الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وحظي في أيامه برعاية خاصة، وخدم أيضا بعد ذلك لأخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ولأبي المعالي بن تمام من الكتب تعاليق ومجربات في الطب.[3]

1- الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد:هو ابن الأمير أبي القاسم محمد ابن الخليفة، المستنصر بالله معد بن الظاهر بالله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المصري الثامن من خلفاء مصر من بني عبيد والحادي عشر منهم ممن ولى من آبائه بالمغرب. استمر الحافظ خليفة من سنة 524 هـ إلى جمادي الآخرة سنة 544 هـ . أنظر جمال الدين يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة: ج 5، ص 237 - 245

2- أنظر المرجع السابق: ج 5، ص 244.

3- موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة- بيروت، تحقيق: د.نزار رضا، ج 1 ، ص 583

الرئيس موسى: وهو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، يهودي عالم بسنن اليهود ويعد من أحبارهم وفضلائهم، وكان رئيسا عليهم في الديار المصرية[1]، وهو أوحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها، متفنن في العلوم، وله معرفة جيدة بالفلسفة، وكان السلطان "الملك الناصر صلاح الدين" يرى له ويستطبه، وكذلك ولده "الملك الأفضل علي"، وقيل أن الرئيس موسى كان قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم أنه لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاط مصر ارتد.[2]

إبراهيم بن الرئيس موسى: هو أبو المُنَى إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون، منشؤه بفسطاط مصر، وكان طبيبا مشهورا عالما بصناعة الطب جيدا في أعمالها، وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، ويتردد أيضا إلى البيمارستان الذي بالقاهرة من القصر ويعالج المرضى فيه، روي عنه أنه كان طويلا نحيف الجسم حسن العشرة لطيف الكلام متميزا في الطب.[3]

أبو البركات بن شعيا: ولقبه " الموفق"، شيخ مشهور، كثير التجارب مشكور الأعمال في صناعة الطب، وكان يهوديا قراءً عاش 86 سنة، وتوفي بالقاهرة وخلف ولدا يقال له "سعيد الدولة أبو الفخر"، وهو طبيب أيضا، ومقامه بالقاهرة.[4]

الأسعد المحلي: هو أسعد الدين يعقوب بن إسحاق، يهودي من مدينة المحلة، من أعمال ديار مصر، متميز في الفضائل وله اشتغال بالحكمة و الاطلاع على دقائقها، وهو من المشهورين في صناعة الطب، والخبيرين بالمداواة والعلاج، وأقام

1-أنظر ترجمته بالتفصيل عند عبد الرزاق أحمد قنديل: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث بالقاهرة بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط، 1984، ص 246

2- وللرئيس موسى من الكتب اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس، مقالة في البواسير وعلاجها، مقالة في تدبير الصحة، صنفها للملك الأفضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، مقالة في السموم والتحرز من الأدوية القتالة، كتاب شرح العقار،كتاب كبير على مذهب اليهود. أنظر موفق الدين السعدي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج 1، ص 583 .

3- موفق الدين السعدي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج 1 ، ص 583.

4- المرجع السابق.

بالقاهرة وسافر في أول سنة 598 هـ إلى دمشق، وأقام بها مدة، وجرت بينه وبين بعض الأفاضل من الأطباء بها مباحث كثيرة، ورجع بعد ذلك إلى الديار المصرية وتوفي بالقاهرة.[1]... فهؤلاء وغيرهم كثير فحسبنا هذه النماذج.

كما يروي التاريخ، أنه حتى في حالة إقصاء بعض اليهود من بعض وظائف الدولة، فأقل منصب يمكن لهم اعتلاؤه، أن يكونوا أطباء، سواء للخليفة أو للأمراء، ففي حوالي عام 295هـ مات الخليفة المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد بالله أحمد،[2] وبويع بالخلافة بعده أخوه "جعفر المقتدر" الذي أمر ألا يُستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا في الطب والجهبذة فقط.)[3]

والدارس لتاريخ التواجد اليهودي في الأندلس يجدهم حظوا بنفس الرعاية، حتى أن كثيرا من المؤرخين بما فيهم اليهود يصفون هذه الفترة بالفترة الذهبية لليهود في ظل الدولة الإسلامية.

وشهد القرنان العاشر والحادي عشر الميلاديان تَشرُّب اليهود الحضارة العربية الإسلامية، وتَحسُّن أحوالهم المعنوية والروحية والمادية، وتعريب أسمائهم ولغتهم ورؤيتهم، وَتأثُّر آدابهم الدنيوية والدينية بالتراث العربي الإسلامي. وقد وصل اليهود في الفترة نفسها إلى مكانة عالية رفيعة، فعملوا في الوظائف الإدارية والمالية حيث كان يعمل بعضهم في وظيفة يهود البلاط، واشتغلوا بالتجارة المحلية والدولية التي كانت تصل حتى حدود الصين أو كانت تدخل إلى أوربا، واحتكروا بعض أنواع التجارة مثل تجارة العبيد (ومنهم العبيد والجواري البيض) الذين كانوا يحضرونهن من بلاد

1- المرجع السابق.

2-المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد بالله أحمد، ابن ولي العهد طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس العباسي الهاشمي. ولد سنة أربع وستين ومائتين وكان يضرب المثل بحسنه في زمانه كان معتدل القامة دري اللون أسود الشعر حسن اللحية جميل الصورة، بويع بالخلافة بعد موت والده المعتضد في جمادي الأولى سنة 289 هـ ، وكانت خلافته ستة أعوام ونصفا وبويع بالخلافة بعده أخوه جعفر المقتدر. انظر جمال الدين يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة: ج 3، ص 262.

3- المرجع السابق: ج 3 ، ص 265

"الصقالبة"، واشتغلوا بالحرف مثل الصباغة كما اشتغلوا بالزراعة.[1]

وقد برز اليهود في وظائف محددة مثل التجارة الدولية والترجمة بسبب وضعهم وثقافتهم، فقد كانوا يجيدون العربية والعبرية وبعض اللغات الأوربية، الأمر الذي حوَّلهم إلى حلقة وصل وجماعة وظيفية وسيطة بين العالمين الإسلامي والمسيحي، وخصوصاً أنهم كانوا ينتقلون بسهولة ويسر بين إسبانيا المسلمة وإسبانيا المسيحية، فكان اليهودي ينشأ في إسبانيا المسيحية مثلاً ثم ينتقل إلى إسبانيا المسلمة أو العكس. وقد تَركَّز اليهود في المدن مثل "قرطبة" و"طليطلة" و"أشبيلية" و"سرقسطة". ووصل بعض اليهود إلى أعلى الوظائف الحكومية بما في ذلك أعلى مراتب الوزراء كما هو الحال مع "حسداي بن شفروط" الذي كان يعمل طبيباً ودبلوماسياً في بلاط عبد الرحمن الثالث (912 ـ 961) والحكم الثاني (961- 972).[2]

وقد تحوَّلت الأندلس إلى أهم مراكز اليهودية في العالم. وتمثَّل هذا في قيام عدة حلقات دراسية دينية مستقلة عن العراق (في" قرطبة" و"غرناطة" و"طليطلة" و"أشبيلية"). وقد أُسِّست هذه الحلقات التلمودية بتشجيع من الطبقات الثرية اليهودية في شبه جزيرة "أيبريا" التي كانت في حاجة إلى حلقات تصدر فتاوى تتفق مع أوضاعها الجديدة وتنازع العراق (المركز التقليدي للحلقات) في القيادة. كما أن الحلقات كانت محطة أساسية في الشبكات التجارية. وكانت الفتاوى والسلع تعبر من خلال القنوات نفسها. ومن أهم الحلقات، تلك التي أسسها "حسداي بن شفروط" في قرطبة عاصمة الأمويين والتي عيَّن لها العالم اليهودي الإيطالي" موسى بن حانوخ" رئيساً.[3]

وقد اندمجت النخبة اليهودية في محيطها العربي تماماً، واستوعبت أعداد كبيرة، منها الفلسفات العقلانية والدنيوية التي كانت الأندلس تربة خصبة لها. وتذهب بعض الدراسات إلى أنه، نتيجةً لهذا، فقدت الجماعة اليهودية أية هوية دينية واضحة، وأنه

---

1 - عبد الوهاب المسيري: المجلد 4، الجزء2، الباب2، مدخل: اسبانيا الإسلامية(الأندلس)

2- المرجع السابق

3- المرجع السابق

لذلك لم يَعُد هناك من اليهودية (عند استرداد المسيحيين إسبانيا) سوى قشرة رقيقة كان من السهل على النظام المسيحي الجديد أن يقنع أعضاء الجماعة بطرحها جانباً، من خلال القسر أحياناً ومن خلال الإغراء أحياناً أخرى، فتنصرت أعداد كبيرة منهم. ولكن يمكن القول أيضاً بأن ما حدث هو أن اليهودية، باعتبارها نسقاً دينياً، اكتسبت أبعاداً حضارية إسلامية كما هو واضح في فلسفة "موسى بن ميمون".[1]

ومع تفكك الخلافة الأموية والحكم المركزي في إسبانيا، انقسمت إسبانيا إلى دويلات وإمارات إسلامية صغيرة فيما يُعرَف بحكم الطوائف (1008م). فاستخدم الأمراء كثيراً من اليهود مثل "صمويل بن نغريلة" وزير أمير "غرناطة". وكان اليهود يعملون مستشارين ماليين وسياسيين، وفي البعثات الخارجية للدول، ويهود بلاط، وملتزمي ضرائب. وبعد استيلائهم على سدة الحكم عام 1086م، قام المرابطون بتطهير جهاز الدولة من اليهود، فتدهورت أحوالهم لبعض الوقت، ولكن الأمور عادت إلى نصابها بعد قليل. ومع صعود أسرة " الموحدين" عام 1146م، لم يَعُد اليهود يتمتعون بذلك الوضع الممتاز، ومُنعت اليهودية في الأندلس، كما أخذ الحكم الإسلامي في الانحسار التدريجي بعد ذلك التاريخ. ويُقال إن العصر الإسلامي في الأندلس كان يمثل العصر الذهبي لليهود إذ ازدهر الفكر اليهودي الديني والفلسفي نتيجة الاحتكاك بالمسلمين العرب. واكتسبت اللغة العبرية أعماقاً جديدة من خلال علاقتها بالعربية، ودخلت عناصر الحياة على الشعر العبري كما هو واضح في أشعار " يهودا اللاوي" (هاليفي) و"موسى بن عزرا". وكتب المؤلفون اليهود "موشحات" لم تكن تحاكي الموشحات العربية بشكل عام وحسب وإنما قلدت موشحات عربية بعينها دون تعديل أو تحوير. ونشأ فن المقامة في العبرية وتُرجمت "مقامات الحريري" و"كليلة ودمنة"، وظهر "موسى بن ميمون" أهم المفكرين الدينيين اليهود على الإطلاق، الذي كان لفكره العربي الإسلامي اليهودي أعمق الأثر في الفكر اليهودي في كل أنحاء العالم.[2]

1- عبد الوهاب المسيري: المجلد 4، الجزء2، الباب2، مدخل: اسبانيا الإسلامية(الأندلس)

2- المرجع السابق

د- شهادات بعض اليهود

وحتى لا يبقى هذا التسامح مجرد خيال تاريخي لا محل لها في واقعنا المعيش، فهذه بعض شهادات العصر على اعتلاء اليهود مناصب سياسية في العصر الحديث ينقلها الباحث أحمد الزغبي إذ يقول:

" ففي العراق أصبح اليهودي " ساسون حسقيل "وزيرا للمالية عام 1924م- 1342هـ !

وفي المغرب أصبح اليهودي " هوليون بن زاكون "وزيرا للبريد والمواصلات، في أول حكومة شُكلت بعد الاستقلال عام 1956 م- 1375 هـ.[1]

كما أورد الباحث جملة من شهادات بعض اليهود المنصفين اعترافا بالإسلام والمسلمين فيقول: "ولذلك يعترف المنصفون منهم - وما أقلهم- بتلك المعاملات الحسنة لهم:

يقول العالم اليهودي الدكتور " إسرائيل ولفنسون": " لقد أنقذ الفاتحون المسلمون آلآفا من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومانية، وكانوا يقاسون ألوانا شتى من العذاب."

ويقول الكاتب اليهودي " داغوبيرد رونيس": "إن الإسلام حلَّ على اليهود في الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا مع مجيء الحكم الإسلامي، ولم يحلَّ بهم الدمار إلا على يدّ الصليبيين في فلسطين."

ويقول المؤرخ اليهودي "هيامسون": " وعمليا فيما يتعلق بيهود فلسطين، فإن المسلمين قد جاؤوا كمنقذين وليس كمضطهدين."

جاء في دائرة المعارف اليهودية العامة ": " إن فتح العرب للبلاد أنقذ فلسطين من الدمار الكامل."

1- الزغبي أحمد: العنصرية اليهودية وآثرها في المجتمع الإسلامي، مكتبة لعبيكان-الرياض، ط 1، 1418 هـ - 1998م، ج2، ص 505- 508

ويقول الكاتب اليهودي الأمريكي " ألفريد لينتال": " إن العصر الذهبي لليهودية امتد على القرون الماضية عام 711 م – 592 هـ عندما عاش اليهود متمتعين بالنفوذ والاحترام، تحت السلطة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال، وحين اضطر اليهود إلى الفرار من وجه مجالس التفتيش المسيحية، وجدوا ملجأ لهم في شمال أفريقيا والشرق الأوسط.ما يعرف في الغرب بالعداء للسامية لم ينشأ في العالم العربي يوما من الأيام.إن العرب لم يكونوا قط معادين لليهود. "

ويقول الكاتب اليهودي " أبراهام ليون": عامل الإسلام اليهودية بتسامح يفوق التسامح الذي لقيه هذا الدين من جانب المسيحية."

ويقول الكاتب اليهودي العراقي " نعيم قطان ": " الإسلام يؤكد نفسه كآخر دين للتوحيد، محمد المبعوث الأخير للإله، ليس عليه أن يقلب لا المسيحي، ولا اليهودي عن دينهم، إنه يعترف باستقلالهم الديني، ويقبل بوجودهم وبكيانهم كجماعة "دينية " منفصلة مستقلة، إنني كيهودي بالنسبة للمسلمين، لم يحاول أحد أبدا أن يحولني عن ديني...، إن عيشي بين المسلمين لا يهدد اعتقادي، ولا يحكم علي بالامتصاص أو الاختفاء."

(...) يقول الزعيم الصهيوني "حاييم وايزمان" في شهادة أدلى بها أمام " لجنة الأنجلو أمريكية لتقصي الحقائق في فلسطين"، عام 1946م –1365هـ: " إنني أفضل عدم اقتراف الظلم، لأن العالم الإسلامي يعامل اليهود بقدر كبير من التسامح...، ويجب على اليهود ألا ينسوا ذلك."[1]

هل يحفظ اليهود هذه الوصية وهذا الجميل فلا ينسوا...؟!

1- المرجع السابق

المبحث الثاني: أسلوب الصراع

1- بعض مظاهر الصراع قبل البعثة

أ- محاولات اليهود للكيد له عند ولادته

لم يتلق اليهود نبأ بعثته ﷺ بكبير ترحيب كما بين القرآن ذلك و أسلفنا ذكره، خاصة بعد أن كان من العرب و لم يكن من اليهود كما كانوا يتوقعون وينتظرون، فتنكروا له تنكرا شديدا منذ ولادته التي كانوا يعلمون ميقاتها، ومكانها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:"كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقالوا: والله ما نعلمه، قال: الله أكبر، أما إذا أخطأكم فلا بأس، فانظروا واحفظوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبيّ هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس، لا يرضع ليلتين وذلك أن عفريتا من الجن أدخل أصبعيه في فمه فمنعه الرضاع، فتصدع القوم من مجلسهم، وهم متعجبون من قوله وحديثه، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان أهله، فقالوا قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقالوا: هل سمعتم حديث اليهودي؟ وهل بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر، قال: فاذهبوا معي حتى أنظر إليه، فخرجوا حتى أدخلوه على آمنة، فقال: اخرجي إلينا ابنك، فأخرجته، وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودي مغشيا عليه، فلما أفاق قالوا: ويلك ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل، فرحتم بها يا معشر قريش، أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب. وكان في النفر يومئذ الذين قال لهم اليهودي ما قال: هشام بن الوليد بن المغيرة، ومسافر بن أبي عمرو، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعتبة بن ربيعة شاب فوق المحتلم، في

نفر من بني مناف وغيرهم من قريش."[1]

وعن بن عباس ﷺ قال:" كانت يهود "قريظة" و"النضير" و"فدك" و"خيبر" يجدون صفة النبي عندهم قبيل أن يبعث وأن دار هجرته بالمدينة فلما ولد رسول الله قالت أحبار اليهود: ولد أحمد الليلة هذا الكوكب قد طلع فلما تنبأ قالوا: قد تنبأ أحمد قد طلع الكوكب الذي يطلع، وكانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه إلا الحسد والبغي.[2]

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن نملة بن أبي نملة عن أبيه قال:" كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله في كتبهم ويعلمونه الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلينا فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوا وبغوا وقالوا ليس به."[3]

1- رواه الحاكم في مستدركه وعلق عليه: هذا حديث صحيح الإسناد

2- ابن سعد، الطبقات: ج1، ص 159-160

3- أنظر المرجع السابق : ج1، ص 160 – 163 وما بعدها

ب- محاولات القضاء عليه في صباه :

لما علم اليهود وتأكدوا من ظهور النبي الخاتم وأنه من العرب حاولوا بشتى الوسائل القضاء عليه، لكن الله حفظ نبيه ﷺ، ونجاه من غدرهم وكيدهم.

عن إسحاق بن عبد الله أن أم النبي ﷺ لما دفعته إلى السعدية التي أرضعته، قالت لها:" احفظي ابني، وأخبرتها بما رأت، فمر بها اليهود، فقالت: ألا تحدثوني عن ابني هذا فاني حملته كذا ووضعته كذا، ورأيت كذا، كما وصفت أمه قال: فقال بعضهم لبعض أقتلوه، فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا، هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا: لو كان يتيما لقتلناه! قال: فذهبت به حليمة وقالت: كدت أخرب أماني."[1]

ومما يؤكد حقد اليهود على النبي ﷺ في صباه، ومحاولاتهم القضاء عليه ما فعله الراهب " بحيرا "[2] مع عمه أبي طالب من تحذيره من اليهود، ومطالبته له بقطع سفره والرجوع به إلى مكة.

فعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال الراهب لأبي طالب:" لا تخرجن بابن أخيك إلى ما ههنا، فإن اليهود أهل عداوة، وهذا نبي هذه الأمة، وهو من العرب، واليهود تحسده، تريد أن يكون من بني إسرائيل، فأحذر على بن أخيك."[3]

1- ابن سعد، الطبقات: ج1 ، ص113

2- لم يصرح الترمذي والحاكم وغيرهما من أهل الحديث باسمه، وقالوا أنه راهب نصراني الديانة، وصرح ابن هشام في سيرته والطبري في تاريخه وغيرهما من أصحاب السير باسمه.

3- ابن سعد، الطبقات: ج1 ، ص 155

2- بعض مظاهر الصراع بعد البعثة

أ- موقف اليهود من نبوته ﷺ

القرآن وطبيعة الرفض اليهودي

منذ بعثة النبي ﷺ والقرآن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء، بعد أن أعطاهم كل ضمانات الأمان، من حرية المعتقد وممارسة الشعائر إلى حرية التنقل والكسب.[1] إلا أن عنادهم وإصرارهم على إنكار نبوته ﷺ كان ردهم وديدنهم رغم ما هو مكتوب من نعته وصفته عندهم في التوراة والإنجيل وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(146)الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147).﴾ [البقرة: 146-147]

(يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده .

(...) قال القرطبي: ويُروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدا كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء بنعته فعرفته، وإني لا أدري ما كان من أمه. قلت: وقد يكون المراد: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ من بين أبناء الناس كلهم لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم. ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإتقان العلمي " لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ " أي: ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ " وَهُمْ يَعْلَمُونَ ". ثم ثبت تعالى النبي ﷺ والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فقال: ﴿الْحَقُّ مِنْ

1- راجع الفصل الأول.

رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ.﴾ "[1]

ويذكر القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام بشر به وأخبر اليهود بذلك مصرحا باسمه " أحمد "، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(6)وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(7) ﴾ [الصف:6-7]

وفي نفس السياق أيضا قال تعالى:﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ(156)الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (157)﴾ [الأعراف: 156-157]

إنه لنبأ عظيم، يشهد بأن بني إسرائيل قد جاءهم الخبر اليقين بالنبي الأمي، على يدي نبيهم موسى ونبيهم عيسى – عليهما السلام – منذ أمد بعيد. جاءهم الخبر اليقين ببعثه، وبصفاته، وبمنهج رسالته، وبخصائص ملته. فهو النبي الأمي، وهو يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهو يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، وهو يضع عمن يؤمنون به من بني إسرائيل الأثقال والأغلال التي علم الله أنها ستفرض عليهم بسبب معصيتهم، فيرفعها عنهم النبي الأمي حين يؤمنون به. وأتباع هذا النبي يتقون ربهم، ويخرجون زكاة أموالهم، ويؤمنون بآيات الله. . وجاءهم الخبر اليقين بأن

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج1، ص242

الذين يؤمنون بهذا النبي الأمي؛ ويعظمونه ويوقرونه، وينصرونه ويؤيدونه، ويتبعون النور الهادي الذي معه أولئك هم المفلحون. .[1]

وبذلك البلاغ المبكر لبني إسرائيل - على يد نبيهم موسى عليه السلام - كشف الله سبحانه عن مستقبل دينه، وعن حامل رايته، وعن طريق أتباعه، وعن مستقر رحمته. . فلم يبق عذر لأتباع سائر الديانات السابقة، بعد ذلك البلاغ المبكر بالخبر اليقين. وهذا الخبر اليقين من رب العالمين لموسى عليه السلام - وهو والسبعون المختارون من قومه في ميقات ربه - يكشف كذلك عن مدى جريمة بني إسرائيل في استقبالهم لهذا النبي الأمي وللدين الذي جاء به. وفيه التخفيف عنهم والتيسير، إلى جانب ما فيه من البشارة بالفلاح للمؤمنين !

إنها الجريمة عن علم وعن بينة! والجريمة التي لم يألوا فيها جهداً. . فقد سجل التاريخ أن بني إسرائيل كانوا هم أألم خلق وقف لهذا النبي وللدين الذي جاء به. . اليهود أولاً والصليبيون أخيراً. . وأن الحرب التي شنوها على هذا النبي ودينه وأهل دينه كانت حرباً خبيثة ماكرة لئيمة قاسية؛ وأنهم أصروا عليها ودأبوا؛ وما يزالون يصرون ويدأبون ![2]

و الذي يراجع - فقط - ما حكاه القرآن الكريم من حرب أهل الكتاب للإسلام والمسلمين يطلع على المدى الواسع المتطاول الذي أداروا فيه المعركة مع هذا الدين في عناد لئيم !

وجاء أيضا في تفسير هاتين الآيتين:(أن رحمته تعالى كتبها للذين يتقون الذنوب ويؤتون الزكاة المفروضة "وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ " أي يصدقون ويذعنون لها. ثم بين سبحانه هؤلاء الذين كتب لهم هذه الرحمة ببيان أوضح مما قبله وأصرح فقال:" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ" وهم من بني إسرائيل خاصة وقال الجمهور هم جميع الأمة سواء كان منهم أو

1- قطب سيد، الظلال: ج 3 ص 1378

2- المرجع السابق

من غيرهم " الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ " وهو محمد ﷺ بإجماع المفسرين فخرجت اليهود والنصارى وسائر الملل " الَّذِي يَجِدُونَهُ" يعني اليهود والنصارى أي يجدون نعته " مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ" وهما مرجعهم في الدين.)[1]

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (وهذه صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته و لم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم. كما روى الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي، حدثني رجل من الأعراب، قال: جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعهن منه. قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها، يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها، فقال رسول الله ﷺ :" أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ " فقال برأسه هكذا، أي: " لا "، فقال ابنه:" إي والذي أنزل التوراة، إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فقال: " أقيموا اليهودي عن أخيكم" ثم تولى كفنه والصلاة عليه." هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس.)[2]

1- زيدان عبد الكريم: موجز الأديان في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1998، ص 55

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج2، ص317

اليهود وذهنية العناد والاستكبار

رغم كل هذه الحقائق التي كان يعرفها كل اليهود حتى أبناؤهم إلا أن عنادهم واستكبارهم ورفضهم غير المبرر جعلهم يرفضون سبل السلام وفضلوا الظلمات على النور، مما دعا القرآن إلى تذكيرهم ودعوتهم إلى إظهار كثير مما كانوا يخفون من الوحي الصحيح، الذي ينم عن كثير من الحقائق والتي امتدت إليها يد التبديل والتحريف والتغيير، ورغم ذلك يعرض لهم القرآن العفو عن كثير مما اقترفوا، بل ولا يفصّل فيها حتى لا يفضحهم، علّهم يعودون. ولكن أهل الكتاب كانوا يستكثرون أن يدعوهم إلى الإسلام نبي ليس منهم، نبي من الأميين الذين كانوا يتعالون عليهم من قبل ويرونهم دونهم لا لشيء إلا لأنهم هم أهل الكتاب وهؤلاء أميون ! فلما أراد الله إكرام هؤلاء الأميين بعث منهم خاتم النبيين، وجعل فيهم الرسالة الأخيرة، الشاملة للبشر أجمعين. قال تعالى: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ(15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(16) ﴾ [المائدة: 15-16]

لقد طلب القرآن الكريم من النبي ﷺ أن ينادي الدنيا بأعلى صوته: ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(64).﴾ [آل عمران:64]

أي (يا أهل الكتاب، إن هناك كلمة سواء بيننا وبينكم وهي حقيقة مطلقة في التوراة الحقة والإنجيل جاء بها القرآن الكريم طاهرة نقية، وبهذه الكلمة تلتقي الأهداف ويتحدد المسار الطويل للرسالة الإلهية ويصبح بها المضمون العقائدي المستهدف حقيقة

واقعة بيننا وبينكم وهي:" أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا "وينتهي القرآن إلى قضية اجتماعية وسياسية واقتصادية بهذه الكلمة " أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا " منطلقها أن المعتقد إذا كان هكذا، لا عبادة إلا لله فإن المنطقي أن تبرأ الإنسانية من معبود غير هذا الإله الفرد الصمد، وتصبح القضية الجديدة المطروحة في النهج القرآني وهو يطرح الدعوة الإسلامية أمام اليهود:" وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ "، قضية العدل والحب..والخير والمساواة.

ومن العجب أنه رغم كل هذه الجهود القرآنية التي تحاول أن تستنطق اليهود للسير معا نحو الهدف المبتغى والمستهدف فإن القرآن يفترض الرفض اليهودي، وعند ذلك:" فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ..."[1]

والدارس للقرآن يجده المصدر الوحيد الذي صرّح أن اليهود حتى عصر الدعوة الإسلامية كان لديهم مما يتداولونه من كتب التوراة بعض الحق الذي يمكن أن يثوبوا إليه وأن يكون البداية لتصحيح ما هم عليه.[2] فإن اتبعوا بعض هذا الحق المتبقي فإنهم حتما سيؤمنون بالنبي ﷺ الذين هم بحاجة ماسة إلى اتباعه حتى يعرِّفهم ربَّهم الذي أشركوا به، وغيروا آياته وطمسوها، "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ." [لقمان:13] وعلى ذلك فلا حجة لهم عند ربّهم ولا عذر، وأنهم سيتعرضون إلى لعنته وعذابه لأنه كان لديهم ومعهم ما يلزمهم بالاستجابة لدعوة النبي ﷺ إلا أنهم رفضوا الهدى استكبارا وحسدا من أنفسهم. وقد صرَّح الله لهم بهذه الحقائق بقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا(47)إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

1- طعيمة صابر: بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 24

2- أنظر المرجع السابق، ص 25

ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا(48)﴾[النساء:47-48]

ومن الملاحظ أنه بعد التهديد والوعيد فتح الله لهم باب التوبة على مصراعيه إن هم آمنوا برسول الله ﷺ، ودعاهم إلى عدم المقاومة والمراوغة. فما كان ردّ أكثرهم إلا أن أعرض وقاوم، فكان الخطاب لرسوله ﷺ بقوله تعالى:﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)﴾[آل عمران:20]

ويكشف القرآن الكريم بسؤال إنكاري عن سبب رفض أهل الكتاب – يهودا ونصارى– للإسلام والمسلمين بقوله:﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ(59)﴾[المائدة:59]

(إن أهل الكتاب لم يكونوا ينقمون على المسلمين في عهد الرسول ﷺ وهم لا ينقمون اليوم على طلائع البعث الإسلامي – إلا أن هؤلاء المسلمين يؤمنون بالله؛ وما أنزله الله إليهم من قرآن؛ وما صدق عليه قرآنهم مما أنزله الله من قبل من كتب أهل الكتاب. . إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون ! لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى. ولأن أهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزله الله إليهم؛ وآية فسقهم وانحرافهم أنهم لا يؤمنون بالرسالة الأخيرة وهي مصدقة لما بين أيديهم – لا ما ابتدعوه وحرفوه – ولا يؤمنون بالرسول الأخير، وهو مصدق لما بين يديه؛ معظم لرسل الله أجمعين.

إنهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء؛ التي لم تضع أوزارها قط، و لم يخب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام؛ منذ أن قام للمسلمين كيان في المدينة؛ وتميزت لهم شخصية؛ وأصبح لهم وجود مستقل؛ ناشيء من دينهم المستقل، وتصورهم المستقل، ونظامهم المستقل، في ظل منهج الله الفريد.)[1]

1– قطب سيد، الظلال: ج 2 ص924

حسدهم للمسلمين

لقد لفت القرآن الانتباه إلى حقيقة تتعلق بالطبع اليهودي وهي البغي والعدوان والغل والحقد، ولقد أعمى الحسد بصائرهم لدرجة أنهم يودُّون - من كل شغاف قلوبهم – لو يتنازل المسلمون عن دينهم حتى ولو عادوا لجاهلية الشرك وعبادة الأوثان. قال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ.﴾ [البقرة:109](فحسدهم لم يكن عن شبهة دينية أو غيرة على حق يعتقدونه، وإنما هو خبث النفوس ولذلك قال تعالى:" مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ." أي بالآيات التي جاء بها النبي ﷺ وبانطباق ما يجدونه في كتبهم عليه.)[1]

وقال تعالى أيضا: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.﴾ [البقرة:105]

أي أن أهل الكتاب والمشركين (يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن يترل عليكم من شيء من الوحي والله يختص برحمته أي بالنبوة من يشاء (...) هذه الآية فيها بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون إنزال الخير عليهم من عند الله تعالى. وقد قيل بأن "الخير" هو الوحي، وقيل غير ذلك، والظاهر أنهم لا يودون أن يترل على المسلمين أي خير كان فهو لا يختص بنوع معين كما يفيده وقوع هذه النكرة " خير " في سياق النفي وتأكيد العموم بدخول "من " المزيدة عليها وإن كان بعض الخير أعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص " وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ " أي يميز " مَنْ يَشَاءُ " تمييزه.)[2]

1- رضا رشيد: تفسير المنار(تفسير القرآن الحكيم)، دار المعرفة، بيروت، ط2، ج 1، ص 252

2- زيدان عبد الكريم، موجز الأديان في القرآن: ص 53

إنكارهم ما عند خصومهم من حق

بين القرآن الكريم أن من صفات اليهود والنصارى تنكر كل طائفة منهما لما عند الأخرى من حق و صواب، وهذا خلق ذميم، لأن القاعدة الأخلاقية تقتضي الاعتراف بالحق مهما كان مصدره مادام أنه حق. وقد نهى القرآن عن طمس الحقائق ولو صدرت من المخالفين فالحق أحق أن يُتبع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. ﴾ [الشعراء:183]

إلا أن هذه الحقيقة الأخلاقية مغيبة تماما بين اليهود والنصارى، وكما غيباها بينهما يغيبانها مع غيرهما، بما في ذلك الإسلام ورسوله ﷺ، وقد وصف القرآن هذا الخلق الذميم منهم، ليحذر المسلمين من الوقوع فيه، فقال تعالى:﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(113) ﴾[البقرة: 113]

فبين الله بهذا الخطاب تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم ورفضهم للآخر لا لشيء إلا أنه يخالفهم في المعتقد، وكما قال محمد بن إسحاق: "عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالإنجيل وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله في ذلك من قولهما ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ قال: إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به أن يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق

موسى وما جاء من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه."[1]

ب- مواقف اليهود مع النبي ﷺ بعد البعثة

من الانتظار والترقب إلى الرفض والتنكر

كان اليهود قبل ظهوره ﷺ يهددون أهل يثرب، خاصة الأوس و الخزرج، بقرب موعد ظهور النبي – الذي كانوا يظنون أنه من اليهود – ويقاتلونهم به، فلما كان من العرب تنكروا له ونفوا ما كانوا يتوَعَّدون به.

روى ابن هشام في السيرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا:" إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، لما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به. ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة:﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.﴾ [البقرة:89]. قال ابن هشام يستفتحون يستنصرون ويستفتحون أيضا يتحاكمون وفي كتاب الله تعالى:﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [الأعراف:89]﴾ [2]

علما أنه كان لليهود وزن ثقيل في يثرب أيام الجاهلية، بسبب كثرة عددهم و تحكمهم في الموارد المالية و الاقتصادية، وقد كانت بينهم وبين الأوس والخزرج

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 1، ص 194، وانظر زيدان عبد الكريم، موجز الأديان في القرآن: ص53

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج2، ص 37

حروب كثيرة انتهت لصالح العرب يومئذ، ثم حدثت هدنة بين الفريقين، وهي الفترة التي دعا فيها الرسول ﷺ أهل يثرب إلى الإسلام.

روى كعب بن مالك ﷺ، قال:"(...) فذكر حديث بيعة العقبة الثانية، ثم قال: " فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنوعني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر، قال: فاعترض القول- والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها- يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني فالشجرة من حاربتم، وأسالم من سالمتم."[1]

وروى ابن هشام في السيرة وابن جرير في تفسيره بالسند إلى ابن عباس ﷺ قال:" قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود: يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا قط، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما:﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾ [المائدة:19].[2]

1- المرجع السابق: ج 2، ص 191- 192

2- المرجع السابق: ج 3، ص 102

أسئلة الحرب الباردة

كان أول رد فعل اليهود عند استقرار النبي ﷺ في المدينة بعد مبايعة أهلها لـه، شنّهم لحرب باردة ضد الدعوة للإسلام، وكان سلاحها الأسئلة التي يراد بها إفحام النبي ﷺ وإيقاعه في مواقف الحرج ومحاولة إثارة البلبلة والاضطراب في صفوف المسلمين، ونشر فتنة الشك ليصرفوا عنه القلوب والعقول، ولكن أنى لهم ذلك وهو المؤيد بالوحي قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ(41)لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(42)﴾[فصلت:41-42]

عن عبد الله بن عباس ﷺ قال:" حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ يوما فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على نبيه لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الإسلام، قالوا: فذلك لك، قال: فسلوني عما شئتم، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، كيف يكون الذكر منه، وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم، ومن وليّه من الملائكة؟ قال: فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني؟ قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم أشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وان ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله، وان علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله، قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم أشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم، قال:

اللهم أشهد عليهم، قالوا: وأنت الآن، فحدثنا من وليّك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أونفارقك، قال: فإن ولي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه، قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك، قال: فما يمنعكم من أن تصدقوه، قالوا: إنه عدونا، قال: فعند ذلك قال الله عز وجل ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ.. ﴾ إلى قوله عز وجل ﴿...كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فعند ذلك باؤا[1] بغضب على غضب الآية." [2]

عن بن عباس رضي الله عنه قال:" أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت، فأخبرنا عما حرّم إسرائيل على نفسه، قال: اشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها، فلذلك حرمها، قالوا صدقت.[3]

رغم أنهم يصدقونه، ويقرون بأن جوابه كان صحيحا، وباعترافهم أن الجواب لا يعرفه إلا نبي، ورغم ذلك لا يؤمنون بنبوته، بل يُصَعِّدون درجة صعوبة الأسئلة علّهم يورطون النبي ﷺ لو يجيب، وحتى يُوجِدوا لأنفسهم ولو مبررا واحدا يصدّهم عن الإيمان به، ومن ذلك كان سؤالهم للرسول ﷺ عن الساعة و الروح رغم علمهم مسبقا أنه لا يعرف حقيقتهما إلاّ الله.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة[4]، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض، سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه،

1- ورد خطأ في الآية والصحيح " فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ " (البقرة: 90)

2- رواه أحمد

3- رواه الترمذي

4- خرب المدينة: جمع خربة والخرب ضد العامر، وفي رواية للبخاري ومسلم وغيرهما: " حرث المدينة "

فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه فقمت، فلما انجلى عنه، قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.﴾ [الإسراء:85].[1]

أما سؤالهم عن الساعة، قال جبل بن أبي قشير وشمويل ابن زيد لرسول الله ﷺ:"يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول؟ فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.﴾ [الأعراف:(187)].[2]

يؤيد الله نبيه بالوحي في التوِّ واللَّحظة قاطعا أمام اليهود كل سبل التعجيز بل يعجزهم بيان القرآن، وشريعة الإسلام لدرجة أن بعضهم يشهدون له سرا بعيدا عن أنظار قومهم أنه ﷺ نبي مرسل، وتفضح ألسنتهم اعتراف قلوبهم لكن المكابرة والحسد حال بينهم وبين الإيمان به.

عن صفوان بن عسال ﷺ قال:" قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال صاحبه: لا تقل نبي إنه لو سمعك كان له أربعة أعين[3] فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهم: لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربّا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت، قال: فقبَّلُوا يَدهُ ورجلَه، فقالا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود دعا ربَّه أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن

1- رواه البخاري

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 108

3- يعني يسر بقولك هذا النبي سرورا يمد الباصرة فيزداد به نورا على نور كذى عينين أصبح يبصر بأربع، فإن الفرح يمد الباصرة كما أن الهم والحزن يخل بها. أنظر محمد المباركفوري: تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7، ص 435

تبعناك أن تقتلنا اليهود."[1]

كثرت أسئلة اليهود التعجيزية، وبدؤوا يسيئون الأدب مع رسول الله ﷺ في أسلوب الخطاب أثناء السؤال، وكان ﷺ يجيبهم بحجة وأدب جمّ، علّهم يثوبون إلى طريق الجادة فيسلموا، إلا أن ذلك كان يزيدهم وقاحة، فتطاولت ألسنتهم على ذات الله عزّ وجلّ بأسئلة استفزازية أثارت سخط النبي ﷺ وغضبه لربّه، من ذلك ما روي عن سعيد ابن جبير رضي الله عنه أنه قال:" أتى رهط من يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى انتقع لونه، ثم ساورهم[2] غضبا لربه، قال: فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال: خفض عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1)اللَّهُ الصَّمَدُ(2)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4)﴾ [الإخلاص:1-4] قال: فلما تلاها عليهم، قالوا: فصف لنا يا محمد كيف خلقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله ﷺ أشد من غضبه الأول وساورهم، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه يقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.﴾[الزمر:67].[3]

(وحين أعيتهم الحيل، وطرقوا أبواب كل نوع من الأسئلة، و لم يُجْدِ ذلك فتيلا و لم يحصلوا على شيء مما أرادوا، اتجهوا إلى القرآن الكريم، فقالوا: إنه غير متناسق!!وحين دمغتهم الحجج الصارمة سلكوا سبيل العاجزين، حيث طلبوا المعجزات من رسول الله ﷺ.)[4]

قال ابن إسحاق:" أتى رسول الله ﷺ "محمود بن سَيْحان" و"نعمان بن أضاء" و"بَحري بن عمرو" وعزير ابن أبي عزير" و"سلام بن مشكم"، فقالوا: أحق يا محمد أن هذا

1- رواه الترمذي

2- أصل السورة: ثورة الغضب وشدته.

3- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 110

4- الشقاري عبد الله، اليهود في السنة المطهرة :ج 1، ص 239

الذي جئت به الحق من عند الله؟ فإنا لا نراه مُتَّسِقاً كما تتسق التوارة، فقال لهم رسول الله ﷺ: أما والله إنكم تضمروا أنه من عند الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوارة، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به، فقالوا: عند ذلك- وهم جميع-" فنحاص" و"عبد الله بن صوريا" و"ابن صلوبا"، و"كنانة بن الربّيع بن أبي الحقيق" و"أشيع" و"كعب بن أسد" و"شمويل بن زيد" و"جبل بن عمرو بن سكينة": يا محمد، أما يُعلّمك هذا إنس ولا جن؟ قال، فقال لهم رسول الله ﷺ: أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وأني لرسول الله تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة، فقالوا: يا محمد، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء، ويقدره منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه، و إلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا: ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:88]"[1]

وقد حاول بعض اليهود النيل من القرآن الكريم بمحاولة استعمال بعض النصوص التي يكون فحواها لصالحهم، لبيان أنها متناقضة مع نصوص أخرى، في محاولة منهم لإثبات التناقض المنفيّ عن كتاب الله المعصوم وذلك للنيل من النبي ﷺ. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[النساء:82]

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:" لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالت أحبار اليهود: يا محمد أرأيت قولك:﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا تريد أم قومك؟ قال:كُلّاً، قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو اقمتموه، قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.﴾[لقمان:27]، أي أن

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 109

التوراة في هذا من علم الله قليل.[1]

إعلان العداء وبداية المواجهة

بعد طرح ما جال في خاطر اليهود من أسئلة، وأجوبة النبي ﷺ عليها، نستطيع الجزم — في اعتقادنا – أن المقصود من طرحها ليس طلب الحقيقة ولا الاعتراف بها، وإنما كان السبب يختلف باختلاف الأسئلة، فبعضها مقصود به استدراج النبي ﷺ وجره إلى معتقدات معينة، وبعضها لتعجيزه عن الإجابة لإثبات عدم نبوته، وإثارة البلبلة في أوساط المسلمين لتذكية نار الفتنة القائمة على الشك، وكان بعضها ليتأكدوا فعلا أنه النبي المنتظر لكن دون التصديق به ولا اتباعه، كما يُحمل بعضها على أنه استعراض للعضلات فقط، فيكون مقصودا لذاته لإظهار كمّ المعلومات، حتى يُعرفوا بين المسلمين وغيرهم أنهم أرباب علم وبيان وفرسان دراية وعرفان، عسى ولعل ذلك أن يؤثر في قلوب المسلمين لعلهم ينحرفوا، أو على الأقل يخففوا من غلوائهم في حبّ هذا الدين الجديد، من جهة وعسى ذلك يفر غيرهم من الإقبال عليه من جهة أخرى.[2]

لا شيء من كل ذلك حدث، فأمام حجة الإسلام ونصاعته تهاوت كل معتقدات الجاهلية وخرافاتها و لم تصمد، وبدأ كيان المجتمع الإسلامي يتكون في المدينة، بل وينمو وتكون له بدائله التشريعية التي تحكمه وتنظمه، لإرساء قواعد وأركان الدولة الإسلامية. وتيقن اليهود أن الأمر لم يعد مجرد ادعاء، يكفي لاضمحلاله القليل من الوقت أو اليسير من الدسائس والشكوك، لقد بدأ المهاجرون الوافدون من مكة يتأقلمون مع أجواء المدينة خاصة بعد توفير الأحضان الهادئة التي تسمح ببناء هكذا مجتمع، وخاصة بعد بناء المسجد، والمآخاة بين المهاجرين والأنصار، فاقتسموا معهم الزاد والمتاع، باسم الإيمان والأخوة الإسلامية. وصف الله نبل هذه الأخلاق فقال: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

1- المرجع السابق: ج 2 ، ص 149

2- لمزيد من التفصيل أنظر الشقاري عبد الله، اليهود في السنة المطهرة: ج 1، ص 243 و ما بعدها.

حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (9)"[الحشر: 9]

عند ذاك أحس اليهود بالخطر الداهم، فطوروا وسائل الدسائس وصَعَّدوا من مواقف العداء، خاصة بعد تحول النبي ﷺ - بأمر من الله – عن قبلة اليهود "بيت المقدس " إلى المسجد الحرام.

حادثة تحويل القبلة وموقف اليهود من ذلك

(تكاد تكون حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة هي الفاصل بين الحرب الكلامية وحرب المناوشات والتدخل الفعلي من جانب اليهود، لزعزعة هذا الكيان الإسلامي الناشيء)[1]

عن البراء بن عازب رضي الله عنه:" أن النبي ﷺكان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده – أو قال أخواله – من الأنصار، وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك." [2]

ويعود السبب في تحويل القبلة أن النبي ﷺ أحب قبلة إبراهيم من جهة، ومن جهة أخرى ليتميز عن اليهود، بتحطيم تصورهم الخاطيء عنه حيث كانوا يزعمون أنه قلدهم في القبلة وسار على نهجهم، خاصة لما قالت اليهود:" يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا" ولما بلغه قولهم أيضا:" والله ما درى محمد – ﷺ – وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم"، فكره ذلك النبي ﷺ، ورفع وجهه إلى السماء فقال جلّ ثناؤه:﴿ قَدْ نَرَى

1- المرجع السابق، ص 258

2- رواه البخاري ومسلم وغيرهما

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.﴾[البقرة:44][1]

وقد ثارت ثورة اليهود، وغلت مراجل الحقد في قلوبهم بعد أن نفّذَ الرسول ﷺ أمر ربِّه بفرح وسرور، فتحول إلى القبلة التي يحب " الكعبة "، فأرادوا فتنته من جديد، إذ ساوموه على تغيير القبلة مرة أخرى إلى بيت المقدس، مقابل أن يصدِّقوه ويتَّبعوه.. ولو فعل ذلك لاتهموه أن الأمر بالتحول عن بيت المقدس لم يكن من عند الله ولكن لهوى في نفس النبي ﷺ.

روى ابن إسحاق وابن جرير بالسند إلى ابن عباس ﷺ قال:" ولما صرفت القبلة من الشام إلى الكعبة، وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، أتى رسول الله ﷺ "رفاعة بن قيس"، و" قردم بن عمرو"، و"كعب بن الأشرف"، و"رافع بن أبي رافع"، و"الحجاج بن عمرو" حليف "كعب بن الأشرف"، و"الربّيع بن الربّيع بن أبي الحقيق"، و"كنانة بن الربّيع بن أبي الحقيق"، فقالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها؟ وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم:﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(142)وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)﴾[البقرة:142-143][2]

1- ابن جرير الطبري، جامع البيان: ج 2، ص 19 - 20

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 86- 87. وانظر ابن جرير الطبري، جامع البيان: ج 3، ص 3 - 5

غزوة بني قينقاع

بعد الثبات على تحول القبلة إلى البيت الحرام، وأصبح صوت الأذان يتردد صداه في أجواء المدينة، وازداد سؤدد المسلمين وعزهم، وقوت شوكتهم، و أضحوا قوة كبرى بين العرب، خاصة بعد انتصارهم في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، على قريش أعظم قوة بين العرب آنذاك، بدأت الدعوة من منطلق قوة وثبات.

لم يستسغ اليهود هذا النصر، وقابلوه بعداء شديد، وبدأ التفكير في نقض العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، خاصة بعد عودة النبي ﷺ منتصرا من بدر، إذ جمع اليهود، ودعاهم مرة أخرى إلى الصراط المستقيم، فكان ردهم استفزازيا ينذر ببداية المواجهة، وهتك بنود الصلح والموادعة.

عن بن عباس رضي الله عنه قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشا يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا، قالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا [1]،لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عز وجل في ذلك﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ(13)﴾[آل عمران:12-13]. [2]

وتصف بعض المصادر التاريخية أن بني قينقاع كانت ذات صدارة في اليهود، فكانوا من أشجع اليهود، وأقواهم عددا وعدة، إذ تجاوز عدد مقاتليهم سبعمائة رجل،

1- أغمارا: الأغمار جمع غُمر – بالضم – وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور. أنظر ابن منظور، لسان العرب: ج5، ص 32

2- رواه أبو داود في سننه

أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، كانوا في حصون مجاورة للمدينة.[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أنهم لم يكونوا من الذين يشتغلون بالأرض والزراعة، بل كانوا أهل حرفة، يعملون في صياغة الحلي والمجوهرات، ومما يدل على سيطرتهم التجارية والمالية عموما، أنه كانت لهم سوق بالمدينة تحمل اسمهم "سوق بني قينقاع ".

سبب الغزوة ونتائجها

لم يكن النبي ﷺ ليأخذ بني قينقاع على حين غرة لمجرد أنه صار قويا وقد هزم قريشا، ولا لينقض العهد معهم لمجرد أنهم يخالفونه الرأي ويكيدون له المكائد، بل لقد صبر عليهم والتزم عهدهم، إلى أن نقضوه بمحض إرادتهم فكانوا أول اليهود الذين ينقضون العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، ويضربون بنود كتاب المعاهدة عرض الحائط، و ليت ذلك كان لكبير سبب، ولكن لسبب منحط انحطاط أخلاق الشهامة والرجولة، دال على عبثية أنفسهم.

قال ابن إسحاق:" وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد." [2]

وعن أبي عون قال:" كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ لها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع."[3]

(لقد كانت تلك الفعلة البشعة من يهود قينقاع علامة واضحة على نقضهم العهد، فقد حدثت في سوقهم، والفاعل رجل منهم، ولهذا لا غرابة أن اعتبر الرسول

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 90، وكذا ج 3، ص 89، وانظر، ابن سعد، الطبقات: ج 2 ، ص 28

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 314

3- المرجع السابق

ﷺ تلك الفعلة النكراء من فضح المرأة المسلمة وقتل الرجل المسلم نقضا للعهد والعقد من جانب اليهود.)[1]

فسار إليهم بجيش من المهاجرين والأنصار، قال ابن سعد: "في يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من مهاجره - أي في السنة الثانية للهجرة - وكانوا قوما من اليهود حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة فوادعوا النبي ﷺ ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين** ﴾[الأنفال:58] فقال رسول الله ﷺ: أنا أخاف بني قينقاع، فسار إليهم بهذه الآية، وكان الذي حمل لواءه يومئذ حمزة بن عبد المطلب، واستخلف على المدينة لبابة بن عبد المنذر العمري، ثم سار إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، فكانوا أول من غدر من اليهود، وحاربوا وتحصنوا في حصنهم فحاصرهم أشد الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول ﷺ. أن لرسول الله ﷺ أموالهم وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكتفوا، واستعمل رسول الله ﷺ على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي، من بني السلم رهط سعد بن خيثمة، فكلم فيهم عبد الله بن أبي سلول رسول الله ﷺ وألح عليه فقال: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم، وتركهم من القتل، وأمر بهم أن يجلو من المدينة وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت."[2]

ومن نتائج هذه الغزوة، أنه بعد نزول اليهود عل حكم رسول الله ﷺ كتفهم المسلمون، فتوسط لهم عبد الله بن أبي بن سلول، وألح على النبي ﷺ إلحاحا شديدا لإطلاق سراحهم، فخلى سبيلهم، ثم أمر بإجلائهم، ووَلَّى إخراجهم منها عبادة بن الصامت ﷺ، كما غنم رسول الله ﷺ والمسلمون ما كان لديهم من أموال- وكانوا

1- الشقاري عبد الله، اليهود في السنة المطهرة: ج 1، ص 279

2- ابن سعد، الطبقات: ج 2 ، ص 28 .وانظر ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 314

أهل صياغة وسلاح- وكان الذي وليَ قبض أموالهم جمعا وإحصاء محمد بن مسلمة."[1]

عن عاصم بن عمر بن قتادة قال:" فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه حين أمكنه الله منهم، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول فقال: يا محمد، أحسن في موالي، - وكانوا حلفاء الخزرج- قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه، فأدخل ابن أبيّ يده في جيب درع رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللا، ثم قال: ويحك أرسلني، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر، قال: فقال رسول الله ﷺ: هم لك."[2]

على عكس ما فعله عبد الله بن أبي بن سلول، تبرأ عبادة بن الصامت ﷺ من يهود بني قينقاع، وكان حليفهم أيضا، فخلع حلفهم الذي كان له معهم، وتبرأ منه ومنهم، وتولّى الله ورسوله والمؤمنين.

فعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال:" لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ - وكان أحد بني عوف - لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله رسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا

1- ابن سعد، الطبقات: ج 2 ، ص 29

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 315

عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ(56)﴾[المائدة:51-56]."[1]

غزوة بني النضير

بنو النضير فرقة من اليهود، كانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة، وكان غزوهم على رأس ستة أشهر من وقعة بدر. حاولوا الغدر بالنبي ﷺ فقاتلهم وهزمهم، فقبلوا بالجلاء و إلاّ قتلوا عن بكرة أبيهم، وكان لهم ما أقلّت الإبل من الأموال والأمتعة إلا السلاح، وأجلاهم رسول الله ﷺ قِبَل الشام، وأنزل الله عز وجل فيهم أوائل سورة الحشر.[2]

عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: " أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبي ابن سلول ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددا، وإنا نقسم بالله لتقتلنه أو لتخرجنه، أو لنستعن عليكم بالعرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك ابن أبي ومن معه من عبدة الأوثان، تراسلوا، فاجتمعوا، وأرسلوا، وأجمعوا

1- المرجع السابق، ج 3، ص 316

2- رواه أبو عوانة في مسنده، والحاكم في مستدركه

لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ فلقيهم في جماعة، فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش وكانت وقعة بدر، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: أنكم أهل الحلقة والحصون، وأنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء -وهو الخلاخل- فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرا، حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا. فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبرا من اليهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلا؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا وصدقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى ابن أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي ﷺ فساره بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم، يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة — والحلقة: السلاح - فجاءت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها، فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، وكان بنو النضير من سبط من

أسباط بني اسرائيل لم يصبهم جلاء منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ، فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كما عذبت بنو قريظة، فأنزل الله "سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم حتى بلغ:...والله على كل شيء قدير"، وكانت نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، فأعطاه الله إياها وخصه بها، فقال: "ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب" يقول: بغير قتال، قال: فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم، و لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ في يد بني فاطمة. "[1]

سبب الغزوة ونتائجها

مما تقدم ذكره في الحديث السابق، نلاحظ أن السبب المباشر لهذه الغزوة هو خيانة اليهود ومحاولة قتلهم النبي ﷺ غدرا، وذلك في محاولة منهم الخلوة به ﷺ وحده بين أحبارهم المدججين بالخناجر، لولا تدخل عناية الله وحفظه له، بتنبيه اليهودية – لابن أخيها الذي أسلم – بمراد أحبار اليهود من هذا اللقاء، والذي كان يظن ﷺ أنه لقاء تغمره أجواء الحوار الهادىء المبني على الحجة والبرهان، لذا قبل بشروطهم، فاختاروا هُمْ المكان والزمان، وحددوا عدد الحاضرين إلى ثلاثين رجلا، ثم غيروا العدد خوفا من استماتة الصحابة ﷺ في الدفاع عنه ﷺ وفدائهم له بأرواحهم، والنبي ﷺ سائر إليهم بكل ثقة وثبات لأنه لا يخشى الحوار ولا مواجهة الآخر بالحجة والبرهان، خاصة بعد أن رسموا له نتيجة الحوار والمتمثلة في إسلام كل بني النضير إن هو أقنع أحبارهم الثلاثة الذين اختاروهم لحواره ومجادلته، وهذا من شأنه أن يزيد من استقرار الأمور في المدينة بالتقليل من المعارضة اليهودية، إلا أن أجواء الاستقبال كانت مسمومة، ليس فيها اعتراف بالآخر ولا بما يحمله من حقيقة، لذا بعد وصول خبر بغيتهم من لقاءه وهو الغدر، عاد ﷺ وجمع لهم الجموع لقتالهم، لأن هذه هي اللغة

1- رواه عبد الرزاق في مصنفه،

الوحيدة التي يفهمها هؤلاء، فكان القتال والجلاء هو شكل الحوار التي اختاروه لأنفسهم.

إضافة إلى هذا السبب الذي ذكره أهل السنن، ذكر أهل المغازي سببا آخر لهذه الغزوة و المحفوف هو الآخر بأجواء الخيانة والغدر للفتك بالنبي ﷺ.

قال ابن اسحاق:" ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، -كما حدثني يزيد بن رومان - وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلوا على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب - أحدهم — فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم."[1]

لم يأخذهم النبي ﷺ على حين غرة، بل بعث إليهم يأمرهم بالخروج رافضا السكن معهم في مكان واحد، لأنه لا أمن له معهم بعد أن حاولوا خيانته وقتله غدرا، فأمهلهم - بكريم فضله ورحمته- عشرة أيام حتى يتمكنوا من جمع وحمل أغراضهم، ولو كان فضا غليظ القلب لقتلهم ولأخذ أموالهم من غير أن ينكر عليه أحد[2]، خاصة

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 143- 144. و انظر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1407،ج 2، ص 84- 85. وكذا ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 4 ، ص 391- 392

2- بعث ﷺ برسالة الرحمة فهو رحيما حتى مع الأعداء، قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ." [الأنبياء: 107]

بعد أن تحدّوه – على ضعفهم– ورفضوا الخروج بعد أن كاتبهم ابن أبيّ وأكد لهم أنه سيقاتل معهم في ألفين من قومه، ولما حمى وطيس الحصار غدر بهم ابن أبيّ و لم يف بما وعد. قال ابن سعد:"وبعث إليهم رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أُجّلتكم عشرا فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون، وأرسلوا إلى ظهر لهم "بذي الجدر"، وتكاروا من ناس من أشجع إبلا، فأرسل إليهم ابن أبيّ: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم، وتمدّكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حُيي فيما قال بن أبيّ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك!، فأظهر رسول الله ﷺ التكبير، وكبّر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، فصار إليهم النبي ﷺ في أصحابه، فصلى العصر بفضاء بني النضير وعليّ رضي الله عنه يحمل رايته، واستخلف على المدينة بن أم مكتوم، فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم، وخذلهم بن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فأيسوا من نصرهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك، فقال: لا أقبله اليوم ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة، فنزلت يهود على ذلك..."[1]

ومن نتائج هذه الغزوة كما هو ملاحظ، رحيل بني النضير، وغنيمة سلاحهم وأراضيهم وبساتينهم، حيث كانت فيئا خالصا لرسول الله ﷺ، يصرفها حيث شاء، علما أن المسلمين ما قاتلوا بني النضير رغبة في أموالهم، وخلد القرآن ذلك بقوله تعالى:﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾[الحشر:6]

عن عمر رضي الله عنه قال: "كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، وكان ينفق

1– ابن سعد، الطبقات: ج 2 ،ص 57– 58

على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله." [1]

(وهكذا انتهت غزوة بني البضير، وأجلى رسول الله ﷺ تلك العصبة الباغية، وطهر مدينته المنورة من أدرانها، و لم يبق من كبار اليهود غير قبيلة بني قريظة، التي استمرت فترة على العهد، متربصة بالمسلمين الدوائر، حتى واتتها الفرصة...فكانت فيها نهايتها.)[2]

علاقة اليهود بغزوة الخندق

الدارس لسيرة المصطفىﷺ ولمغازيه، يجد أن غزوة بني قريظة مرتبطة ارتباطا وثيقا بغزوة الخندق، ذلك أن بني النضير بعد إجلائهم لم يبقوا مكتوفي الأيدي، بل صار شغلهم الشاغل هو محاولة الانتقام من الرسول خاصة ومن الإسلام عامة، مستخدمين في ذلك كل الوسائل والنفوذ والحيل، منها أنهم حاولوا تأليب الرأي العام ضد دعوة الإسلام ونبيه، بتحريض القبائل العربية ودعوتها للقتال، لاستئصال شأفة هذا الدين الجديد.

عن عروة بن الزبير ﷺ قال:" وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وعثمان بن يهوذا أحد بني عمرو بن قريظة عن رجال من قومه قالوا:كان الذين حزبوا الأحزاب نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وكان من بني النضير حيي بن أخطب وكنانة بن الربّيع بن أبي الحقيق وأبو عمار، ومن بني وائل حي – من الأنصار من أوس الله– وحوح بن عمرو، ورجال منهم، خرجوا حتى قدموا على قريش فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فنشطوا لذلك." [3]

وروى ابن سعد عن غزوة رسول الله ﷺ الخندق: وهي غزوة الأحزاب في ذي القعدة سنة خمس من مهاجره، قالوا: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة، فألبوا قريشا ودعوهم إلى

1- رواه البخاري

2- الشقاري عبد الله، اليهود في السنة المطهرة: ج 1، ص 327

3- رواه البيهقي في سننه، وانظر أيضا، ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3 ، ص 99 وج 4، ص 170

الخروج إلى رسول الله ﷺ وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله، ووعدوهم لذلك موعدا، ثم خرجوا من عندهم فأتوا "غطفان" و"سليما" ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة...[1]

ومن الوسائل التي استعملها اليهود لتنشيط قريش ودفعها لمقاتلة النبي ﷺ، مدحهم لآلهتهم وأوثانهم، واعتبار الشرك خير من توحيد الله الذي يدعو إليه النبي ﷺ، ولم يتحرجوا من ذلك البتة، فالغاية تبرر الوسيلة، علما أن هؤلاء اليهود (كان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأول فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله تعالى فيهم:" ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت..."[2]

ولقد أثمرت تلك الجهود اليهودية المقيتة من اجتماع عشرة آلاف مقاتل التقوا على حدود المدينة، وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم. وكان المسلمون قد أخذوا للأمر عدته، وحفروا الخندق، بإشارة من سلمان الفارسي ﷺ، وقد اشترك معهم رسول الله ﷺ في حفره، ورفعوا النساء والصبيان في الحصون، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ﷺ ولواء الأنصار سعد بن عبادة ﷺ، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ﷺ.[3]

لم يكتف يهود بني النضير من إشعال فتيل الحرب على الجبهة الخارجية بتأليب قبائل العرب ضد النبي ﷺ من الخارج، بل امتدت أياديهم إلى إضرامها على الجبهة الداخلية، بتحريض بني قريظة و دعوتهم إلى نقض العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وقد نجحوا في ذلك أيّما نجاح، حيث بدأ ذلك بإقناع -كبيرهم – "حيي بن

1- ابن سعد، الطبقات: ج 2 ، ص 65-66

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3، ص 99 -100

3- ابن سعد، الطبقات: ج 2 ، ص 66 – 67، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية: ج 3 ، ص 170- 173

أخطب النضري"، لزعيم بني قريظة "كعب بن أسد" على نقض العهد الذي كان يربطه بالنبي ﷺ والتبرؤ منه. وقد رفض هذا الأخير مرارا، وشهد للنبي بحسن المروءة والثبات على العهد، إلا أن إلحاح حييّ عليه، وإغرائه له، لم يكتب لهذا العهد طول عُمرٍ.

عن عروة بن الزبير قال:" وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وعثمان بن يهوذا أحد بني عمرو بن قريظة عن رجال من قومه قالوا: (...) وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، فلما سمع به كعب أغلق حصنه دونه، فقال: ويحك يا كعب، افتح لي حتى أدخل عليك، فقال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشئوم، وإنه لا حاجة لي بك ولا بما جئتني به، إني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء، وقد وادعني موادعة، فدعني وارجع عني، فقال: والله إن غلقت دوني إلا عن جشيشتك[1] أن آكل معك منها، فأحفظه[2]، ففتح له، فلما دخل عليه قال له: ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر، بقريش معها قادتها، حتى أنزلتها برومة، وجئتك بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتها إلى جانب أحد، جئتك ببحر طام لا يرده شيء، فقال: جئتني والله بالذل، ويلك، فدعني وما أنا عليه، فإنه لا حاجة لي بك، ولا بما تدعوني إليه، فلم يزل حيي بن أخطب يفتله في الذروة والغارب، حتى أطاع له، وأعطاه حييّ العهد والميثاق لئن رجعت قريش وغطفان قبل أن يصيبوا محمدا لأدخلن معك في حصنك، حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب العهد، وأظهر البراءة من رسول الله ﷺ وما كان بينه وبينه."[3]

لقد تأججت نار الحرب وبُلي المؤمنون هنالك بلاء حسنا، على قلة عددهم وعدتهم، و(انهزم المشركون على كثرتهم. بعد ثبات المؤمنين وصبرهم وصدق

1- الجشيش: أن تطحن الحنطة طحنا جليلا ثم تنصب به القدر ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ فهذا الجشيش ويقال لها دشيشة. أنظر ابن منظور، لسان العرب: ج 6 ،ص 273

2- أحفظ: من الحفيظة وهي الغضب. أنظر: الزمخشري محمود: الفائق في غريب الحديث، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية،د س، تحقيق علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ص 139

3- رواه البيهقي.

التجائهم إلى الله تعالى، فقد وصف الله الكيفية في كتابه المبين إذ قال:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا(9)إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ(10)"(...)إلى قوله:" وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا(25)."[الأحزاب:9- 25][1]

غزوة بني قريظة

لما عاد النبي ﷺ من غزوة الأحزاب وأهوالها، ما كاد ينعم بالراحة حتى جاءه جبريل عليه السلام، يستنفره ويأمره بالتوجه نحو بني قريظة، حتى يقضي على الفتنة مرة واحدة ويقتلعها من جذورها، إذ لطالما أرقت المسلمين، كلما أخمدوا نيرانها إلا وأججها اليهود مرة أخرى.

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار، فقال: وضعت السلاح؟!، فوالله ما وضعتُه، فقال رسول الله ﷺ: فأين ؟ قال: هاهنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول الله ﷺ.[2]

لم يكمل النبي ﷺ غسله من أدران الأحزاب حتى جاء أمر جبريل عليه السلام بالتوجه لبني قريظة لاستئصال شأفة الخيانة، وكأن الاغتسال دون القضاء عليهم يُعد طهارة ناقصة، وهم الذين نقضوا العهد وأعلنوا الخيانة صراحة ضد النبي ﷺ وتحزبوا مع الأحزاب.

1- البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، دار الشهاب، باتنة،الجزائر، الطبعة الثامنة، 1979، ص 302

2- متفق عليه

قال ابن إسحاق:" وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حيي بن اخطب دخلا مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد، بما كان عاهده عليه كعب بن أسد ينصح قومه، فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم، وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوارة أبدا ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف، فلم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءانا نسلا نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا؟ ونُحدث فيه ما لم يُحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما." [1]

نهاية بني قريظة

بعد محاصرة النبي ﷺ لبني قريظة حصارا شديدا دام بين خمسة عشر يوما إلى خمسا وعشرين ليلة [2] نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ثم ردَّ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ ﷺ الذي حكم بقتل الرجال، وسبي النساء و الذراري، وذاك الذي كان جزاء لخيانتهم ونقضهم العهد.

لما استقر الحكم في بني قريظة لسعد بن معاذ ﷺ، قال ابن إسحاق: " أتاه

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4 ، ص 195

2- اختلف في مدة الحصار بين ابن إسحاق -كما ذكرناه آنفا- ، وبين ابن سعد في طبقاته حيث حددها بخمسة عشر يوما (أنظر ابن سعد، الطبقات: ج 2 ، ص 74

قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليه سعد، عن كلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم،- فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار فيقولون قد عمّ بها رسول الله ﷺ، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من هاهنا - في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له- فقال رسول الله ﷺ : نعم، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبي الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة."[1]

وفي رواية مختصرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال:" ثم نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار فلما دنا من المسجد، قال للأنصار: قوموا إلى سيدكم أو خيركم، فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك، فقال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، قال: قضيت بحكم الله وربما قال بحكم الملك." [2]

مقتل حييّ بن أخطب النضري

وكان ممن كان داخل الحصن العتيد ببني قريظة حييّ بن أخطب النضري، فأمر النبي ﷺ به فضربت عنقه.

قال ابن إسحاق: وأتي بحيي بن أخطب - عدو الله - وعليه حله له قفاحية،

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 199- 200

2- رواه البخاري

(...) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة، لئلا يُسْلَبَها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يَخذِل الله يُخْذَل، ثم اقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه."[1]

وكان من القتلى أيضا ناكث العهد كعب بن أسد سيد بني قريظة، هو وقومه فلم يُبقي منهم الرسول ﷺ غير النساء والغلمان دون سن البلوغ.

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة- التي هي سوقها اليوم- فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم- أي بني قريظة - فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟! ألا ترون الداعي لا يترع وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ.[2]

فتح خيبر

خيبر هي بلدة تقع في شمال المدينة على بعد173كلم جهة الشام (شمال الحجاز)، وقد كانت ملجأ وملاذا لمن أجلي عن المدينة من يهود بني قينقاع وبني النضير وغيرهما.[3]

بعد المعارك التي قادها النبي ﷺ ضد اليهود، سواء بني النضير، أو بني قينقاع، أوبني قريظة - بعد قتلهم- جراء ما فعلوه من خيانات متتالية ضد الإسلام والمسلمين،

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 201

2- المرجع السابق

3- الشقاري عبد الله، اليهود في السنة المطهرة: ج 1، ص 391، علما أن رمضان البوطي قد قدر المسافة المذكورة بمائة ميل، أنظر: البوطي رمضان، فقه السيرة: ص 329

بعد كل ذلك كان من المنطقي أن يتعقّل يهود خيبر فلا ينساقوا وراء عواطف الانتقام كأن يفكروا بالتجهيز لحرب المسلمين، لأن ذلك سيؤدي حتما إلى إبادة آخر المعاقل اليهودية في جزيرة العرب. (ومن هنا كان النبي ﷺ حريصا على أن يجعل من معركته في خيبر خاتمة الصراع مع الباطل واقتلاع جذور البلاء، حتى يتيسر للمسلمين التفرغ لتبليغ رسالة الله للناس، فأجل الرسول خوض المعركة مع يهود خيبر حتى يكسب معركة سياسية، تطمئنه نتائجها إلى الثمار المرجوة من شن الحرب ضد عدوان خيبر، فخرج رسول الله ﷺ إلى مكة معتمرا، و لم يكن يريد حرب قريش ...)[1]

عن عروة بن الزبير، عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، أنهما حدثاه قالا:" خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر."[2]

لم يكن هناك اقتتال بينه ﷺ وبين قريش، وإنما تم بين الطرفين عهد وصلح يقضي بتوقيف القتال عشرة سنين، وسمي هذا الصلح" بصلح الحديبية"، والذي به يكون ﷺ قد أمَّنَ على نفسه من قريش، وأغلق به جبهة للقتال معها، لذا فبعد إبرامه لعقد الصلح عاد النبي ﷺ مباشرة إلى المدينة، ليتسنى له فتح جبهة جديدة للقتال، فأخذ يعد العدة ويجهز الجيش للقضاء على يهود خيبر.

عن محمد بن إسحاق المطلبي قال:" أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، وولي تلك الحجة المشركون ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر."[3]

(وهذه لا شك مهارة عظيمة في سرعة الحركة ومباغتة العدو، وأراد بها الرسول أن يحكم المسلمون حصارهم لعدوهم، وأن يقاتلوه ولا يمكنوه من تهديدهم مرة ثانية. وخرج رسول الله إلى خيبر استعمل على المدينة صحابيا جليلا يتصف بالمهارة والحذر، هو " نميلة بن عبد الله الليثي " ثم أعطى الراية لعلي بن أبي طالب،

1- طعيمة صابر، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم: ص 108

2- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 275- 276

3- المرجع السابق، ج 4 ، ص 297

وقاد المصطفى بنفسه جيشا قوامه أكثر من ألف وستمائة مقاتل من خيرة أصحابه رضوان الله عليهم جميعا.)[1]

بعد أن سلك المسلمون طرقا ملتوية للوصول إلى خيبر[2]، وبعد أن أرسل النبي ﷺ بعثات استكشافية كانت لها مهمات خاصة تتمثل في قتل زعماء خيبر" كأبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري"، و" أسير بن زارم "[3]، التف المسلون حول حصون خيبر المنيعة، ودعا النبي ﷺ بالدعاء الذي كان يجأر به إلى ربه في كل لقاءاته مع أعدائه.

عن أبي معتب بن عمرو:" أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: قفوا، ثم قال: اللّهم ربّ السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أظللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله." [4]

من رحمته ﷺ على العالمين لم يكن أن يغير على قوم ليلا، بل يرجئهم إلى الصباح، وذاك الذي كان في خيبر، إذ نهض أهلها كعادتهم في الصباح للحرث والزراعة وفي أيديهم المساحي والفؤوس والمكاتل، وفتحوا حصونهم للتوجه إلى أراضيهم وأعمالهم، وإذا بهم يفاجئون برسول الله ﷺ ومعه الجيش، فولوا هاربين إلى الحصون وهم يصرخون صرخة هلع وفزع، فأعطى النبي ﷺ لأصحابه نتيجة المواجهة قبل أن تبدأ، فقال:" الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين."

عن أنس بن مالك ﷺ:" أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلا، فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت

1- طعيمة صابر، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم: ص 112

2- راجع تفصيلات خطة السير في المرجع السابق، ص 113- 114

3- راجع تفاصيل قصتيهما عند الشقاري عبد الله، اليهود في السنة المطهرة: ج 1، ص 378- 391

4- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 298

خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ .

قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس[1]، قال: فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين." [2]

نتائج الغزوة

الدارس لتاريخ هذه الغزوة يجد اليهود قسموا تجمعهم في خيبر إلى ثلاث مناطق، تتألف كل منطقة من جملة حصون، وهذه المناطق هي:" الشق "، و "النطاة "، و"الكتيبة".[3]

فبعد أن أخذ الجيش الإسلامي مواقعه القتالية، (ابتدأ اليهود يتخذون أهبتهم استعدادا للقتال وتحت قيادة زعيمهم " سلام بن مشكم "، أدخلوا الأموال والأولاد في حصني " السلالم " و " الوطيح "، وجمعوا ذخائرهم وتموينهم في حصن " ناعم "، وأخذ المقاتلون مواقعهم في حصن " النطاة "، وأصبح موقع النطاة قلعة مسلحة فيها كل احتياجات المقاتلين.)[4]، علما أن حصن " النطاة " هو من أعلى الحصون، وأصحابه من أقوى الرماة وأدقهم تصويبا. وقد وصف القرآن شدة حصون اليهود بقوله تعالى:﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ . . .﴾[الحشر:14]

وقد ذكر " ابن سعد " جملة من نتائج هذه الغزوة حيث قال: " وعظ رسول الله ﷺ الناس وفرق بينهم الرايات، ولم يكن الرايات إلا يوم خيبر إنما كانت ألوية (...) فقاتل رسول الله ﷺ المشركين، وقاتلوه أشد القتال، وقتلوا من أصحابه عدة،

1- الخميس: الجيش وقيل الجيش الجرار، وقيل الجيش الخشن، وسمي بذلك لأنه خمس فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة، وقيل سمي خميسا لأنه تخمس فيه الغنائم. أنظر ابن منظور، لسان العرب: ج 6، ص 70.

2- روا البخاري ومسلم وغيرهما

3- أنظر طعيمة صابر، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم: ص 114

4- المرجع السابق، ص 115

وقتل منهم جماعة كثيرة، وفتحها حصنا حصنا، وهي حصون ذوات عـــدد منـــها: النطاة، ومنها حصن الصعب بن معاذ، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق، وبه حصون منها: حصن أبي، وحصن الترار، وحصون الكتيبة منها: القموص، والوطيح، وسلالم، وهو حصن بني أبي الحقيق، وأخذ كتر آل أبي الحقيق الذي كان في مســـك الجمل، وكانوا قد غيبوه في خربة، فدل الله رسوله عليه فاستخرجه، وقتل منهم ثلاثة وتسعين رجلا، من يهود منهم: الحارث أبو زينب، ومرحب، وأسير، وياسر، وعامر، وكنانة بن أبي الحقيق، وأخوه، - وإنما ذكرنا هؤلاء وسميناهم لشرفهم - واستشـــهد من أصحاب النبي ﷺ بخيبر (...) خمسة عشر رجلا وفي هذه الغزاة سمّت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم رسول الله ﷺ، أهدت له شاة مسمومة فأكـــل منـــها رسول الله ﷺ وناس من أصحابه، فيهم بشر بن البراء بن معرور فمات منها، فيقال: إن رسول الله ﷺ قتلها، وهو الثابت عندنا، وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعـــت، واستعمل عليها "فروة بن عمرو البياضي"، ثم أمر بذلك فجزيء خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، وسائر السهمان أغفال، وكان أول ما خرج سهم النبي ﷺ، لم يتخير في الأخماس فأمر ببيع الأربعة الأخماس في من يزيد فباعها فروة، وقسم ذلـــك بـــين أصحابه وكان الذي ولي السهمان زيد بن ثابت فأحصاهم ألفا وأربعمائة، والخيـــل مئتي فرس، وكانت السهمان على ثمانية عشر سهما، لكـــل مائـــة رأس، وللخيـــل أربعمائة سهم، وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله ﷺ يعطى منه على الله مـــن السلاح والكسوة وأعطى منه أهل بيته، ورجالا من بني عبد المطلب ونساء، واليتـــيم والسائل، وأطعم من الكتيبة نساءه وبني عبد المطلب وغيرهم، وقدم الدوسيون فـــيهم أبو هريرة، وقدم الطفيل بن عمرو وقدم الأشعريون ورسول الله ﷺ بخيبر فلحقوه بها، فكلم رسول الله ﷺ أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا ...)[1]

ومن نتائج هذه الغزوة أيضا أن المسلمين فتحوا حصون خيبر بعســـر حصـــنا حصنا، إلا حصنين: " الوطيح" و" السلالم "، فلم يسقطا إلا بعد حصـــار شـــديد، كانت نهايته استسلامهم مقابل عقد صلح، كانت الغلبة فيه لشروط النبي ﷺ.

1- ابن سعد، الطبقات: ج 2، ص 106- 107

قال ابن إسحاق: "وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها- الشق ونطاة- حصونهم، إلا ما كان من ذينك الحصنين.(...) فلما سمع بهم أهل "فدك" قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل. (...) فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين وكانت فدك خالصة الرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب." [1]

بعد استكمال فتح خيبر ونزول ما بقي منهم على شروط الرسول ﷺ مقابل الصلح وحفظ نفسه، وقع ما لم يكن في الحسبان - ولا يُستغرب ذلك من اليهود- إذ وقعت خيانة جديدة حاكت خيوطها" زينب بنت الحارث اليهودية "زوج رأس الفتنة "سلام بن مشكم"، إذ سألت عن النبي ﷺ وعلمت أنه لا يرد الهدية، ويحب من اللحم الذراع والكتف، فوظفت هذه المعلومات بعد أن هدأت الأوضاع و اطمأن النبي ﷺ وأصحابه، حيث عمدت إلى شاة مصلية فسمَّتها وركزت على الذراع، وأهدتها للنبي ﷺ، فأكل منها وبعض أصحابه، ومنهم من مات بذلك.

قال ابن إسحاق: "(...) فلما اطمأن رسول الله ﷺ، أهدت له زينب بنت الحارث- امراة سلام بن مشكم - شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه "بشر بن البراء بن معرور" قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 8 - 9

لم يخف عليك، فقلت إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيُخبَر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر من أكلته التي أكل."[1]

بالرغم من كل هذه الروح العدوانية، إلا أن النبي ﷺ لم يفقد من سماحته وحلمه وعفوه، فهوجاء رحمة للعالمين، لأن وجهة وغاية وهدف الطرفين كانت متغايرة، (فاليهود في خيبر يرون في المعركة آخر خط دفاع يقاتلون فيه دفاعا عن وجودهم في الجزيرة العربية، وإن تغلبوا عل محمد ﷺ فيها وجيشه فإنهم سيصبحون سادة الجزيرة العربية بلا منازع.)[2]، وأما الهدف الإسلامي فكان دعوة الآخر للإسلام والإيمان، ولا أدل على ذلك من مقولة عليّ ﷺ، وهو حامل راية قتالهم، فقال للنبي ﷺ :" أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا (أي مسلمين)؟ " وقد أكد له النبي هذا الهدف، وجعل هداية الواحد منهم " خير من حمر النعم"، فما كان الهدف هو الغنيمة وجمع الأموال.

عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ - يوم خيبر- قال:" لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺكلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: فأرسلوا إليه، فأتوني به، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم."[3]

فكان الفتح على يديه وغنم المسلمون كل ما في تلك الحصون من أموال.

ومن سماحته ﷺ أيضا لومه الشديد لبلال بن رباح ﷺ، لما مرَّ بامرأتين على قتلى رِجَالِهما في خيبر، وتساءل في إنكار: أنزعت منك الرحمة يا بلال؟ رغم رقة هذا

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 8 – 9 .وروى هذه القصة البخاري ومسلم وغيرهما بغير هذا اللفظ

2- طعيمة صابر، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم: ص 116

3- متفق عليه

الصحابي ذا الصوت الشجيّ، إلاّ أن النبي ﷺ عنّفه على عدم انتباهه لما كان يجب أن يتحلى به من الرحمة والرأفة، إذ ما كان يجوز خدش شعور المرأتين حتى ولو كانت الأجواء المحيطة أجواء حرب، وهذه إشارة منه ﷺ برحمة الآخر في جميع الصروف حتى في حالات الحرب.

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ " القموص" حصن بني أبي الحقيق، أُتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب، وبأخرى معها، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت، وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا عني هذه الشيطانة!، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه، فقال رسول الله ﷺ لبلال- فيما بلغني حين رأى بتلك اليهودية ما رأى -: أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين علي قتلى رجالهما؟."[1]

ومن سماحته ﷺ أيضا زواجه بصفية بنت حيي بن أخطب الذي قُتل لتآمره على النبي والمسلمين في غزوة الأحزاب، وزوجة كنانة ابن الربّيع الذي نكث العهد والوعد وخان المال والذمة[2]، ورغم ذلك أصبحت واحدة من أمهات المسلمين، ولم يأخذها ﷺ بجريرة أبيها وزوجها رغم ما فعلاه بالإسلام والمسلمين.

علما أن أم المؤمنين "صفية بنت حيي" رضي الله عنها كانت من بين الغنائم التي استولى عليها المسلمون في خيبر، وكانت من نصيب الصحابي دحية ﷺ أول الأمر، ثم أبدله ﷺ بغيرها، واصطفى صفية رضي الله عنها لنفسه.

عن أنس ﷺ قال:" (...) فأصبناها عنوة، فجمع السبي، فجاء دحية فقال: يا نبي الله أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي، سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ

1- ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4، ص 307

2- انظر قصته في: المرجع السابق، ج 4، ص 307. و انظر كذلك: محمد بن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ -1993م، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، ج 11، ص 607.

جارية من السبي غيرها، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة، ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي ﷺ عروسا، فقال: من كان عنده شيء فليجئ به، وبسط نطعا، فجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، قال: وأحسبه قد ذكر السويق، قال: فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله ﷺ." [1]

نهاية يهود خيبر وقسمة غنائمهم

بعد سقوط حصون خيبر وفتح المسلمون لبعضها عنوة -كما تقدم-، وفتح بعضها الآخر بالصلح على الجلاء، كما هو حال حصون "الكتيبة"وما اجتمع فيها من فلول اليهود من " النطاة " و " الشق "-كما تقدم-، قسم الرسول ﷺ الغنائم: فأما الطعام فكان ملكا مشاعا بين المسلمين، يأخذون منه على قدر الحاجة، كما روي عن محمد بن أبي المجالد قال:" بعثني أهل المسجد إلى بن أبي أوفى أسأله، ما صنع النبي ﷺ في طعام خيبر؟ فأتيته فينبغي عن ذلك، فقلت: هل خمّسه؟ قال: لا، كان أقل من ذلك، وكان أحدنا إذا أراد شيئا أخذ منه حاجته." [2]

وأما الأموال من الذهب والفضة، وكذلك الأمتعة والثياب والماشية والأرض فقد قسمها رسول الله ﷺ كما أمره الله عزّ و جلّ، لكل من حضر الحديبية وشهد خيبر من المسلمين. لذا كان أول شيء عمله ﷺ أن أخرج الخمس الذي أمر الله عز وجل بإخراجه، ثم عزل ﷺ النصف من الغنائم، وهي غنائم حصون" الكتيبة "، لأنها فتحت صلحا، وهي مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب.[3] وقسم الباقي على المسلمين: للراجل سهم، وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه.[4]

1- رواه البخاري ومسلم وغيرهما

2- رواه أحمد والحاكم و اللفظ له.

3- انظ تفسير قوله تعالى:" وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ..."(سورة الحشر:6 - 7)

4- أنظر تفصيل ذلك عند الشقاري عبد الله، اليهود في السنة المطهرة: ج 1، ص 428- 439

بعد تقسيم الغنائم انتهت سطوة اليهود على المدينة وما حولها، ولولا حلم النبي ﷺ ودماثة أخلاقه، لسحقوا منها ولقُتِّلوا شرَّ تقتيل، لكن حلمه تجاوز كل الحدود، ذلك أنه سمح لهم -بعد كبير إلحاح منهم - بالمكوث في خيبر يزرعون الأرض على النصف من نتاجها وبقوا على ذلك ردحا من الزمن، ولكن هل يحافظ اليهود على العهد؟

لقد تجذرت فيهم معاني الخيانة والغدر، لقد أعطاهم المسلمون عهد الأمان حتى نقضوه بأنفسهم مرة أخرى، في خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ، حيث قتلوا أحد الأنصار واعتدوا على عبد الله بن عمر ﷺ، فقطعوا بذلك كل أواصر القرب والعفو، فأخرجهم عمر ﷺ منها إلى الأبد.

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال:" خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمناها تفرقنا في أموالنا، قال، فعدي عليَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي، ففدعت يداي من مرفقي، فلما أصبحت أستصرخُ على صاحباي، فأتياني فسألاني عمن صنع هذا بك؟ قلت: لا أدري..! قال: فأصلحا من يدي، ثم قدموا بي على عمر، فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيبا فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ﷺ، ففدعوا يديه كما بلغكم، مع عدوهم على الأنصار قبله، لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فإني مخرج يهود، فأخرجهم."[1]

وهكذا تم إخراج اليهود من الجزيرة العربية، ولولا بغيهم وعدوانهم واستكبارهم على الحق لما طوردوا ولما أخرجوا، ولكن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.[2]

1- رواه البخاري وأحمد والبيهقي، واللفظ لأحمد

2- أنظر البوطي رمضان، فقه السيرة: ص 339

الفصل الثالث: معوقات الحوار

المبحث الأول: عائق الاحتلال الصهيوني

المطلب الأول: الصهيونية والاحتلال

المطلب الثاني: منزلة فلسطين والقدس عند المسلمين

المبحث الثاني: عائق عودة اللاجئين و تهويد القدس

المطلب الأول: خطة الهجرة اليهودية و التهجير الفلسطيني

المطلب الثاني: تهويد القدس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: عائق الاحتلال الصهيوني

العائق: هو الحابس، تقول: عاقه عن كذا، أي: حبسه عنه وصـــرفه. وعوائـــق الدهر: الشواغل من أحداثه، و التَعَوُّق: التَّثَبُطُ. والتعويق التثبيط، ومنه قوله تعالى:" قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ..."[الأحزاب: 18]

المعوقون: قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ.[1]

والمقصود من معوقات الحوار: هي المسائل والقضايا التي إن استمر وجودها بين طرفين أو أكثر انحَبَسَ سريان التواصل الطبيعي بينهم، خاصة إن رفض المتسبب فيهـــا تجاوزها بالقضاء عليها فتفسد علاقات الود والتفاهم بينهم، ويصل الحوار إلى طريـــق مسدود فتزداد حدة الخلاف بينهم، وبالضرورة يأخذ الحوار شكل الصراع.

والمسائل التي تعيق التواصل الطبيعي بين اليهود والمسلمين كثيرة، تولدت كثرتها عن عائقين أساسيين:

الأول: الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية عموما ولفلسطين خصوصا.

الثاني: رفض الاحتلال الصهيوني عودة اللاجئين المهجرين قسرا لأوطانهم.

1- أنظر ابن منظور، لسان العرب: ج10، ص212. وانظرأيضا الرازي، مختار الصحاح: ج1، ص 194

1- الصهيونية و الاحتلال

الناظر لتعريف" الصهيونية" يجده حسب اعتقادنا مرادفا تماما للفظ: "الاحتلال"، إذ جاء في القاموس السياسي تعريفها: " الصهيونية حركة يهودية دينية سياسية، اشتق اسمها من (صهيون) وهو الجبل الواقع في الجنوب الغربي من القدس القديمة، وتهدف الحركة إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين، فإذا تم لها الاستيلاء على القدس أقامت موضع" المسجد الأقصى" "هيكل سليمان"، ويكون على رأس هذه الدولة التي تعمل على بسط سيادتها شرقا وغربا ملك اليهود من نسل داود، والذي ينتهي إليه حكم العالم، ومن ثم مزجت الحركة الصهيونية بين السياسة والدين، واتخذت من الدين ركيزة تقوم عليه الدعوة السياسية."[1]

ويقول د. آمحزون محمد: "استقر تعريف الصهيونية في المصطلح السياسي على أنها: حركة يهودية دينية سياسية تهدف إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين، وهي تمزج بين السياسة والدين وتتخذ الدين ركيزة تقوم عليها الدعوة السياسية.

كما جاء تعريفها بأنها: دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم، وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية."[2]

هذا الترابط بين الصهيونية والاحتلال جعل تاريخهما واحدا، والذي بدأ بتأثر العديد من المفكرين اليهود بالنزعة القومية العنصرية التوسعية و التي سادت أوروبا في القرن التاسع عشر، مثل" هيرش كاليشر" (1795-1874م) في كتابه:" البحث عن صهيون"، و"موشي هس" (1812-1875م) في كتابه:" روما والقدس"، و"ليوبينسكر" (1821-1891م) في كتابه:" التحرير الذاتي."[3]

1- م.محمد حسين: موسوعة القدس، قرص مضغوط، إعداد: م.محمد حسين، شركة سفير، نافذة: المصطلحات،الصهيونية.

2- محمد آمحزون: الصهيونية واليهودية، المرجع السابق، نافذة: مقالات، الصهيونية.

3- المرجع السابق

ثم بدأت الصهيونية تتغلغل وتنتشر أكثر بين اليهود منذ عام 1881م عندما اضطرت أعداد ضخمة منهم إلى النزوح عن روسيا على إثر المجازر التي تعرضوا لها بعد اغتيال القيصر الروسي "ألكسندر الثاني"، وإلى قيام جمعيات أحباء صهيون التي طرحت مسألة استيطان اليهود لفلسطين وغزوها عن طريق الهجرة كاحتمال عملي، كما درست إحياء اللغة العبرية لتصبح لغة غالبية اليهود عوضاً عن "اليديشية"، وقد تمكنت حركة " البيلو" من إيصال عشرين مستعمراً يهودياً عام 1882م كانوا طلائع الهجرة الأولى إلى فلسطين، وأوجدوا عدة مستعمرات صهيونية شكلت المراكز الأساسية للاستعمار الزراعي الصهيوني في المراحل اللاحقة.[1]

إلا أن أحد أعضاء جمعيات أحباء صهيون البارزين وهو" آحاد هاعام"(1856-1927) ذهب إلى إعادة النظر في فكرة إقامة المستعمرات، وأخذ يركز على ضرورة الحفاظ على القيم الروحية اليهودية، وأكد بأن طريق وقف الانحلال الروحي اليهودي - في نظره- هو إقامة مركز روحي لليهودية في فلسطين يعيد لليهود حيويتهم ووحدتهم ويؤدي في النتيجة إلى تحقيق الحلم القومي اليهودي، وسُميت صهيونيته "بالصهيونية الروحية".[2]

وبادر أنصار "آحاد هاعام" لأجل هذا الغرض إلى تشكيل جمعية "بني موسى"، وتتلمذ على يده عدد من المثقفين اليهود.[3]

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر اعتنق صحفي يهودي من "فيينا" هو "تيودور هرتزل"(1860-1904) الفكرة الصهيونية على أثر موجة من العداء لليهود في أوروبا، وقام بتأليف كتاب حول المسألة اليهودية شرح فيه تصوره ووجهة نظره لحل المسألة اليهودية بعنوان: " الدولة اليهودية" في عام 1895م.[4]

1- عبد الوهاب المسيري: المجلد 6، الجزء2، الباب1، مدخل:تاريخ الصهيونية في روسيا

2- المرجع السابق: المجلد 6، الجزء2، الباب13، مدخل: آحاد هاعام

3- المرجع السابق: المجلد 6، الجزء2، الباب13، مدخل:جمعية بني موسى

4-أنظرتفصيل ذلك، روجيه جارودي: ملف إسرائيل: دراسة الصهيونية السياسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر- دار الشروق، لبنان، الطبعة الثالثة،ترجمة كمال فودة، ص 82 -102.وكذا عبد الوهاب المسيري: المجلد 6، الجزء2، الباب8، مدخل: هرتزل حياته

وبعد عامين من هذا التاريخ تمكن "هرتزل" من عقد المؤتمر الصهيوني الأول بحضور (204) من المندوبين اليهود يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم، وتمخض هذا المؤتمر عن تحديد أهداف الحركة الصهيونية فيما عرف ببرنامج "بال"، وإنشاء الأداة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج، وهي:" المنظمة الصهيونية العالمية"، وقد حدد المؤتمر هدف الصهيونية على أنه خلق وطن لليهود في فلسطين بواسطة الهجرة وربط يهود العالم بهذا البرنامج.[1]

وتعتبر صهيونية" هرتزل" صهيونية سياسية لأنها حولت المشكلة اليهودية إلى مشكلة سياسية وأوجدت حركة منظمة محددة الأهداف والوسائل.[2]

أما الصهيونية الدينية فقد اتخذت شكلاً تنظيمياً عام 1902م بقيام حركة "مزراحي" تحت شعار " أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة توراة إسرائيل"، وتحت شعار آخر "التوراة والعمل"، ويرى هؤلاء أن اليهود أمة متميزة عن غيرها، لأن الله – في زعمهم – هو الذي أسسها بنفسه، وأن وحدة الوجود اليهودي تتمثل بالتحام "اليهود والتوراة وفلسطين"، ذلك الالتحام الذي يفجر عبقرية اليهود، ولحركة "مزراحي" هذه فروع في كل العالم، ويتبعها الحزب الديني القومي والعديد من مزارع " الكيبوتز" و "الموشاف" والكثير من المدارس التلمودية.[3]

وظهرت تيارات صهيونية أخرى مثل" الصهيونية التنقيحية"، ومن روادها: "فلاديمير جابو تنسكي"(1880-1940) الذي عرف هو وأتباعه بالتشديد على أهمية بناء قوة عسكرية صهيونية كبيرة لغزو فلسطين وبناء الدولة اليهودية بالقوة، ويمثل حزب "حيروت" اليميني بقيادة " بيغن" و"شارون" التيار التنقيحي داخل إسرائيل.[4]

ومن هذه التيارات: الصهيونية العملية التي كانت تطالب بالاعتماد على الجهود الذاتية اليهودية والمباشرة ببناء الوطن القومي لليهود. وكان "وايزمان" و"ابن

1- عبد الوهاب المسيري: المجلد 6، الجزء3، الباب1، مدخل: الهيكل التنظيمي للمنظمة الصهيونية.

2- المرجع السابق، المجلد 6، الجزء2، الباب8، مدخل: هرتزل حياته

3- المرجع السابق، المجلد 6، الجزء1، الباب1، مدخل: أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

4- المرجع السابق:المجلد 6، الجزء2، الباب10، مدخل: فلاديمير جابوتنسكي

غوريون"(1886- 1973)أهم دعاة هذا الأسلوب.[1]

ومنها: "الصهيونية العمومية" التي تستند إلى المطالبة بالمصلحة القومية بصرف النظر عن الانتماء الطبقي، وقد نشط أصحاب هذا الاتجاه في تجميع المال لتثبيت جهود الاستيطان اليهودي في فلسطين.[2]

ومنها كذلك: "صهيونية الدياسبورا " (الشتات) التي تتبنى الصهيونية الثقافية فيما يتعلق بالنظرة إلى إسرائيل على أساس أنها مركز اليهودية الثقافي أو الروحي.[3]

ومن هذه المدارس أيضاً:" الصهيونية العمالية"، أو" الاشتراكية"، ولعل أهم تيارات هذه المدرسة هي مدرسة "أهارون جوردون"(1856-1922) التي ركزت على فكرة اقتحام فلسطين، وركزت أيضاً على العمل باعتباره وسيلة من وسائل التخلص من عقد المنفى وصهر القومية اليهودية الجديدة.[4]

وتجدر الإشارة إلى أن العقيدة الصهيونية وأبعادها الدينية والتاريخية تشكل الخلفية النظرية وقاعدة الارتكاز اليهودي في إسرائيل، بدءاً من الناحية التشريعية، كقانون العودة (1950م) الذي يقضي بحق كل يهودي في الجنسية الإسرائيلية[5]، مروراً بالقول: إن فلسطين هي موطن يهود العالم باعتبار الأقدمية والاستمرارية التاريخية لمدة ألفي سنة، وإن يهود اليوم يشكلون على هذا النحو قومية تمتد إلى آلاف السنين من التاريخ.

يقول الزعيم الصهيوني "ديفيد بن غوريون":"إن إسرائيل قد تكون أحدث دول العالم، ولكن الشعب اليهودي له وجود عمره أربعة آلاف عام متتالية."[6]

ولإضفاء الشرعية على وجود إسرائيل ولو بالقوة قالت "جولدا مائير": " وُجد

1- المرجع السابق: المجلد 6، الجزء2، الباب7، مدخل:الصهيونية العملية(التسللية)

2- المرجع السابق:المجلد 6، الجزء2، الباب10، مدخل:الصهيونية العامة(أو الصهيونية العمومية)

3- المرجع السابق:المجلد 6، الجزء4، الباب1، مدخل: مركزية إسرائيل في حياة " الدياسبورا "

4- المرجع السابق:المجلد 6، الجزء2، الباب11، مدخل:الصهيونية العمالية

5- أنظر تفصيل ذلك عند روجيه جارودي، ملف إسرائيل: ص119.

6- محمد آمحزون: الصهيونية واليهودية، موسوعة القدس، مرجع سابق، نافذة: مقالات، الصهيونية

هذا البلد تنفيذا لوعد الربّ ذاته، ولهذا لا يصح أن تسأله إيضاحا عن شرعية ذلك الوجود." [1]

ويقول "بيجن": لقد وُعدنا هذه الأرض، ولنا الحق فيها."[2]

وصرّح " موشي ديان ": " إذا كنا نملك الكتاب، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فينبغي أن نمتلك أيضا بلاد التوراة، بلاد القضاة، أرض أورشليم وحبرون وأريحا، وأماكن أخرى..."[3]

ومن هنا: فإن توسع الكيان الإسرائيلي يجد تبريره الجاهز في مفهوم إسرائيل الكبرى أو إسرائيل التاريخية في شعار من الفرات إلى النيل.[4]

ومما لا شك فيه أن التيارات والمدارس الصهيونية المختلفة- وإن تنوعت أساليبها واختلفت وسائلها- فهي تتفق في الجوهر، وتتبنى كلها نسقاً أيديولوجياً واحداً، وتتحد حول الهدف المرسوم، ألا وهو: حل مشكلة الوجود اليهودي، إذ كيف يمكن إيجاد أغلبية يهودية في بلد يعيش فيه شعب فلسطيني عربي بأعداد كبيرة.؟ طبعا عن طريق استيطان فلسطين بطريقة جماعية وإقامة دولة يهودية صهيونية، وهذا هو الحلّ.[5]

فهذه المدارس كلها تبرر نقل اليهود إلى فلسطين بمعاذير مختلفة، لكنها تصبّ في اتجاه واحد هو: تهجير الفلسطينيين بالقوة وإبعادهم عن طريق طردهم ومصادرة أراضيهم، باستعمال كل الأيديولوجيات حتى المتناقضة، فنقل اليهود من المفهوم الماركسي يتم لأسباب أممية اشتراكية، وأما من المنظور الليبرالي فيتمّ لأسباب ديمقراطية وتاريخية، ولكن يظل الإجماع قائماً رغم اختلاف القناعات الفكرية حول الفكرة الصهيونية ذاتها.

إن علاقة الصهيونية والاحتلال علاقة عضوية حيث لا تنفك إحداهما عن

1- روجيه جارودي، ملف إسرائيل: ص 82

2- المرجع السابق

3- المرجع السابق

4- أنظر تفصيل ذلك في المرجع السابق: ص 147- 177

5- المرجع السابق: ص 111

الأخرى، وبالتالي يمكن القول: إن الصهيونية والاحتلال وجهان لعملة واحدة، وما الماركسية والليبرالية إلا قناعان يستعملهما اليهود لتمرير مخططاتهم وخدمة أهداف الصهيونية القريبة والبعيدة.

وهكذا: فالناظر في عقلية ونفسية المحتلين لا يجد على الإطلاق اختلافاً في الصفات والخصائص بين اليهودية والصهيونية بوصفهما توأمين يتفقان في الأسس والمبادئ والأهداف، وهي:

- المحافظة على تميز العنصر اليهودي.
- العمل من أجل العودة إلى أرض الميعاد.
- السيطرة على جميع شعوب الأرض وتسخيرها لخدمة الجنس اليهودي.[1]

ومن الواضح جداً أن اليهودي سواء أكان ماركسياً أم رأسمالياً إنما يؤمن بفكرة رئيسة وهي العودة لأرض الميعاد لتأسيس دولة يهودية تعبّر عن الروح الخالدة للشعب اليهودي، وهذه هي نقطة البداية والنهاية بالنسبة لجميع اليهود - يمين و يسار- بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية أو المذهبية التي ينبغي أن تكون في خدمة الأمة اليهودية أولاً وأخيراً.

يقول موشي ليلينبلوم:" إن الأمة كلها هي أعزّ علينا من كل التقسيمات المتصلة المتعلقة بالأمور الأرثوذكسية أو الليبرالية في الدين، فعندما يتعلق الأمر بالأمة يجب أن تختفي الطائفية.. فلا مؤمنون ولا كفار، بل الجميع أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب.. لأننا كلنا مقدسون، كل واحد منا، سواء أكنا غير مؤمنين أو أرثوذكسيين."[2]

وهذا ما يجعل الخلاف بين العلمانيين والمتدينين الصهاينة خلاف أسلوب لا خلاف مضمون، إذ لا يختلفون في الأسس والمبادئ، كما يتفقون حول الغايات والأهداف لخدمة إسرائيل وأمنها ومستقبلها. لذا تقرر بالإجماع بعد فرض الدولة بقوة

1- Jean-Louis Tremblais : Israel-Palestine, voyage en terre ceinte, LE FIGARO magazine, du samedi 27 juillet 2002, p 30.

2- محمد آمحزون: الصهيونية واليهودية، موسوعة القدس، مرجع سابق، نافذة: مقالات، الصهيونية.

القانون الذي يجب أن يحترمه الجميع وهو:" تعتنق الدولة رسميا المذهب الصهيوني."[1]

والدارس للصهيونية تاريخا ومنهجا، يلاحظ أنه (يمكن تقسيم المدارس الصهيونية كلها إلى فرقتين أساسيتين:

صهيونية استيطانية: تهدف إلى تجمع اليهود وتوطينهم في فلسطين.

وصهيونية تدعيمية: تهدف إلى تجنيد يهود العالم في أوطانهم المختلفة، لتحويلهم إلى جماعات ضغط "لوبي" تعمل من أجل الاستيطان والمستوطنين، كما تهدف إلى جمع العون المالي من يهود الشتات. ولكل فريق صهيوني مؤسساته التي تحاول تحقيق أغراضه.[2]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصهيونية حركة عنصرية في موقفها من العرب ومن يهود الشتات على حد سواء. فهي تنكر على يهود الشتات حقهم في الانتماء إلى الشعوب التي يعيشون فيها، كما أنها تفترض دائما أنهم يتسمون بحالة من الشذوذ المرضي. وتنكر على الفلسطينيين العرب حقهم في تقرير المصير على أرض وطنهم فلسطين. ولذا نجد أن ثمة معارضة عربية وأخرى يهودية للصهيونية.

أما المعارضة العربية فهي تتضح أكثر ما تتضح في الرفض العربي للكيان الصهيوني، وفي المقاومة الفلسطينية المسلحة.

في حين أن المعارضة اليهودية للصهيونية تتركز بين اليهود الاندماجيين الذين لا يريدون ترك أوطانهم الحقيقية والانتماء إلى وطن وهمي، كبعض الاشتراكيين من اليهود الذين يعتبرون الصهيونية حركة إمبريالية تستخدم اليهود من أجل المصالح الإمبريالية. كما أن فريقا من اليهود الأرثوذكس يعارضون الصهيونية باعتبارها نوعا من أنواع الكفر والإلحاد.[3]

1- روجيه جارودي، ملف إسرائيل: ص 113

2- محمد ماجد المجزاوي: القدس في ضوء قرارات اللجان البريطانية والدولية1917-1947، موسوعة القدس: مرجع سابق، نافذة: مقالات، القدس في التاريخ.

3- أنظر المرجع السابق.

2- منزلة فلسطين والقدس عند المسلمين

أ- القدس و القرآن

للأرض المقدسة والمسجد الأقصى مكان متميز ومكانة رفيعة في قلوب المسلمين، فالقدس والأقصى يسكنان قلب كل مسلم، وقد اكتسبا هذه القدسية من ذكر القرآن والسنة لهما:

فقد وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بصفات البركة والطهر والقدسية في آيات متعددة نجملها فيما يلي:

- قال تعالى على لسان موسى عليه السلام لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ولا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: 21].

- وقال الله عنها: ﴿ وأَوْرَثْنَا القَوْمَ الذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا الَتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: 137].

- وقال سبحانه﴿ سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الإسراء:1].

- وقال:﴿ ونَجَّيْنَاهُ ولُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:71].

- وقال: ﴿ ولِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَتِي بَارَكْنَا فِيهَا وكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء 81].

- وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا

السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ: 18].

- وجاءت الإشارة إلى قدسية هذه الأرض حين أقسم الله بها مع غيرها في سورة التين قال تعالى: ﴿ وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ * وطُورِ سِينِينَ * وهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ ﴾.[1]

- وفي قوله تعالى: ﴿ واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق: 41]، ورد في التفسير أن المنادي هو إسرافيل ينادي من صخرة بيت المقدس.[2]

- وفي قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [النور: 36] قال عكرمة إنها المساجد الأربعة: "الكعبة ومسجد قباء ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس".

- وفي قوله تعالى: ﴿ ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ [البقرة:114]، قال كثير من المفسرين: هو مسجد بيت المقدس.[3]

- وفي قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ ﴾ [الحديد:13]، قال ابن عباس: السور: سور بيت المقدس، به باب الرحمة، وخلفه وادي جهنم، وبربط هذا التفسير لابن عباس ﷺ بقول النبي ﷺ عن القدس بأنها: "أرض المحشر والمنشر"، نستطيع أن نفهم أن القدس بأسوارها، ووديانها، ومبانيها، هي نموذج مصغر للأرض التي سيجري عليها الحساب، وأنها بذاتها ستكون منطلق الناس من الأرض إلى الساهرة التي سيحاسب عليها البشر.[4]

1- أنظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 628

2- أنظر المرجع السابق:ج 4، ص 271

3- أنظر المرجع السابق: ج 1، ص 195

4- أنظر المرجع السابق: ج 4، ص 367

- وقال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ [الإسراء:7]

وقد أجمع المفسرون على أن المسجد المذكور هاهنا هو المسجد الأقصى.[1]

هذا وقد كانت صلاته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقرارا مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر، أخذت تمامها على يدّ محمد ﷺ، بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين، وكان في الإسراء دلالة على أن آخر صبغة للمسجد الأقصى في شرع الله، هي الصبغة الإسلامية، فاستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أمَّ رسولها سائر الأنبياء، ولا شك أن في اقتران العروج بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى بالمسجد الأقصى دليلا على مدى ما لهذا البيت من مكانة عند الله تعالى.

1- أنظر المرجع السابق: ج 3، ص 35

ب- القدس والسنة النبوية

أما الأحاديث التي ورد فيها ذكر المسجد الأقصى والأرض المباركة و بينت فضل ومنزلة وشرف المسجد الأقصى وبيت المقدس في دين الإسلام كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: "قلت يا رسول الله: أي مسجد وُضِع في الأرض أولا؟ قال المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة." [1]

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى."[2]

- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم عرج بي إلى السماء."[3]

- عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال:" ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال، فذكر الحديث وفيه "علامته يمكث في الأرض أربعين صباحا، يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى والطور." [4]

- عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال:" لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا: حكما يصادف حكمة، وملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه". فقال رسول الله ﷺ:" أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي

1- رواه البخاري ومسلم

2- رواه البخاري ومسلم

3- رواه مسلم

4- رواه أحمد

الثالثة." [1]

- عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت:" قلت يا رسول الله: أفتنا في بيت المقدس؟، قال:" أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: فتهدي له زيتا يسرج فيه، فمن فعل فهو كمن أتاه." [2]

- عن ذي الأصابع ﷺ قال:" قلت يا رسول الله، إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: "عليك ببيت المقدس، فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذاك المسجد ويروحون." [3]

- عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: "يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة، أنطلق حتى أكون من حمام مكة، قال: كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة، قال: وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: قلت والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي." [4]

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة." [5]

- عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام." [6]

1- رواه أحمد

2- رواه أحمد وأبو داود

3- رواه أحمد

4- رواه أحمد

5- رواه أبو يعلى

6- رواه أحمد

- عن أبي حوالة الأزدي ﷺ قال:" وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو على هامتي ثم قال: يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك." [1]

- عن عوف بن مالك ﷺ قال:" أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فقال:" أعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً." [2]

- عن أبي ذر ﷺ قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ، أيهما أفضل مسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟، فقال رسول الله ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً." أو قال: "خير له من الدنيا وما فيها."[3]

- عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ:"من أحرم من بيت المقدس بحج أو عمرة كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وفي رواية: غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر."[4]

- قال ﷺ: "عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليحلق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله."[5]

- قال ﷺ: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي

1- أحمد وأبو داود والحاكم

2- رواه البخاري

3- أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني

4 - رواه أبو داود واالدارقطني

5- صحيح الجامع الصغير للألباني

منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة."[1]

- قال ﷺ:"إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام."[2]

ومن تلك النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية المذكورة وغيرها مما ورد في فضل المسجد الأقصى والأرض المقدسة، يظهر لنا علو منزلتهما في الإسلام مما جعل لهما مساحة كبيرة في أوراق التاريخ الإسلامي منذ عهود النبوة وحتى آخر عصور الخلافة الإسلامية، مما جعل للمسلمين مجموعة من الارتباطات الوثيقة والحقوق و العلاقات الوطيدة بالقدس منها:

- الارتباط العقدي:

الذي تجسده حادثة الإسراء والمعراج من جهة، فقد أسرى بسيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى المبارك بمدينة القدس، ومن جهة أخرى ستكون مدينة القدس أرضا للمحشر والمنشر يوم القيامة ففيها يجمع الناس وفيها يعرضون للحساب، بناء على النصوص المذكورة آنفا.[3]

الارتباط التعبدي:

ويتمثل ذلك فيما يلي:

استقبل المسلمون بيت المقدس في صلواتهم مدة ستة شعر شهرا وذلك من بدء مشروعية الصلاة حتى نزول قوله جلّ ثناؤه:﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.﴾[البقرة: 44]، فأصبحت قبلة المسلمين المسجد الحرام لذا اعتبرت مدينة القدس أولى القبلتين.

1- المرجع السابق

2- المرجع السابق

3- أنظر تفصيل ذلك عند عبد العزيز الخياط: مكانة القدس في العقيدة الإسلامية، موسوعة القدس: مرجع سابق، نافذة: مقالات، مكانة القدس.

كما اعتبر سول الله ﷺ ثواب الركعة الواحدة في المسجد الأقصى بخمسمائة ركعة في غيره من المساجد، وحثّ على زيارته بقصد العبادة وربطه بالمسجد الحرام بمكة المكرمة وبالمسجد النبوي في المدينة المنورة، كما جعل المقيم في مدينة القدس له ثواب المرابطة في سبيل الله.

- الارتباط الحضاري والثقافي:

والمتجسد في الأماكن المقدسة والآثار الإسلامية، التي لا يمكن لمسلم أن يمر بخاطره - مجرد خاطرة- فكرة التنازل عن ذرة من ذراها، ومن هذه المقدسات والآثار إضافة إلى المسجد الأقصى ما يلي:

- مسجد الصخرة:

يقول عنه الباحث محمد سويد: " بناه الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات. بدأ في بنائه سنة 685م، وانتهى سنة 691م، وبقي من المبالغ المخصصة لبنائه مئة ألف (100000) دينار، أمر عبد الملك بها كجائزة للرجلين اللذين أشرفا على بنائه، فرفضا الجائزة قائلين:" نحن أولى أن نزيد المسجد من حلي نسائنا فضلا عن أموالنا فاصرفها في أحب الأشياء إليك." فأمر عبد الملك بأن تسبك وتفرغ على القبة والأبواب.

(...) إن المسلمين يعتقدون أن النبي محمد ﷺ عرج منها إلى السماء، ومن هنا جاءت الأحاديث التي تشير إلى قدسيتها. فقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" صخرة بيت المقدس من صخور الجنة."[1]

إن مسجد الصخرة بقبته الجميلة وبنائه المتين، وتكوينه الرائع، جاء آية في الهندسة، لا في العصر الذي بني فيه، بل على مر العصور والأيام، فقد بهرت قبته ببهائها ورونقها وتناسقها كل من رآها، وكذلك قُل عن جدرانه، وسقوفه، وأعمدته، ونقوشه، وفسيفسائه، وهندسته العربية، الممزوجة بشيء من الهندسة الفارسية،

1- سويد محمد: دولة الباطل في فلسطين، دار الكتاب العربي- لبنان، الطبعة الثانية، 1992، ص 112.

والأسلوب البيزنطي، حيث اشترك في بنائه عمال وصناع من العرب والفرس والروم.[1]

مقام إبراهيم الخليل:

يقع الحرم الإبراهيمي الشريف في الركن الجنوبي الشرقي من مدينة الخليل الحديثة التي انتشرت أبنيتها في الناحيتين الشرقية والغربية أما في القديم فقد كان الحرم يتوسط المدينة.

وقد بُني الحرم الشريف بحجارة ضخمة، وتعلو البناء مئذنتان بأربعة أضلع إحداهما تقوم على الركن الجنوبي الشرقي والأخرى على الركن الشمالي الغربي.ويوجد بداخله أضرحة بعض الأنبياء وأزواجهم في الجهة المقابلة.[2]

-مقام النبي داود:

وهو من الأمكنة الإسلامية التي يحترمها المسلمون والمقام يضم ضريح النبي داود عليه السلام والمسجدين الملاصقين له.

يقع المقام على ربوة مرتفعة من الربّى التي تتألف منها مدينة القدس ويسمونها "جبل صهيون "وتحيط به أبنية كثيرة وهو بيد المسلمين يقيمون فيه صلواتهم الخمس يوميا بانتظام دون انقطاع، علما أن العلماء قد اختلفوا في تعيين المكان الذي دفن فيه النبي داود عليه السلام.[3]

إضافة إلى هذه المقدسات الإسلامية وجود مئات العقارات الوقفية والأثرية التي تعود إلى العصور"الصلاحية" و"المملوكية" و"التركية" حول المسجد الأقصى وفي البلدة القديمة، ووجود العشرات من المساجد في البلدة القديمة من مدينة القدس شيّدت في عصور متعاقبة ويعود بعضها إلى العهد العُمري. وكذلك وجود مئات المدارس والمعاهد والكليات والمكتبات ودور القرآن الكريم ودور الحديث الشريف والزوايا

1- أنظر المرجع السابق: ص 113

2- راجع تفاصيل الأبنية في المرجع السابق: ص 113- 114

3- أنظر تفصيل ذلك في المرجع السابق: ص 114- 115

والأربطة والتكايا حول المسجد الأقصى المبارك وفي البلدة القديمة منذ العهد "الصلاحي" وحتى يومنا هذا.[1]

وعليه فإن شأن القدس ومدينته ودولته شأن المسلمين كلهم لا شأن أهله فحسب بنص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنهما قد جعلا لكل مسلم حقا بجزء من تلك الأرض المباركة، يقابله واجب، هو واجب النصرة بكل صوره، مهما تخاذل المتخاذلون أو استسلم المستسلمون، فالحجة تبقى قائمة مع الحق وأهله وعلى الظلم وأهله إلى يوم الدين.

قال محمد التهامي:" أليس من البديهي والطبيعي والواجب أن تملأ القدس وجد كل عربي وكل مسلم، وأن تصبح لدية أعز من عينية، وأن يصونها، ويحميها، ويدافع عنها، وأن يبذل الروح والمال والولد، وأعز ما يملك، في سبيل حمايتها، ورد العدوان عنها، إن تعرضت لعدوان، وذلك تأسياً برسول الله، وجرياً على سنته!! ولذلك يمكن القول دون مبالغة، أن الجهاد في سبيل حماية القدس وحرمة مقدساتها، وضمان بقائها، والتضحية في سبيل ذلك بالنفس والمال والجهد، والعمل والكلمة، فرض عين على كل مسلم قادر أيا كان موقعه، وأن الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق، وردّ الظلم والعدوان، وإقامة موازين العدالة، هو الروح الصحيحة للإسلام."[2] وأنه لا يجوز التنازل ولا المساومة على شبر واحد منها تحت أي ذريعة أو ضغط، لأن فعل ذلك يُعد خيانة لله ولرسوله وللتاريخ.

قال تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.﴾ [الأنفال: 27].

1- أنظر تفصيل ذلك في المرجع السابق: ص 114- 115.وكذا مصطفى دسوقي كسبه: القدس مفتاح السلام والحرب في الشرق الأوسط، موسوعة القدس: مرجع سابق، نافذة، مقالات: مكانة القدس.

2- أنظر محمد التهامي: حماية القدس واجب إسلامي مقدس. المرجع السابق.

المبحث الثاني: عائق عودة اللاجئين و تهويد القدس

1- خطة الهجرة اليهودية و التهجير الفلسطيني

مكانة الأرض المقدسة عند اليهود وهاجس العودة

"الأرض" هي المقابل العربي لكلمة "إرتس" العبرية التي ترد عادةً في صيغة "إرتس يسرائيل" أي " أرض إسرائيل" (فلسطين).[1]

إلا أنها في التصور اليهودي هي مزيج من الإله، والشعب، والأرض، فتقوم وحدة مقدَّسة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما وتوحده معهما، ولذا ترتبط الديانة والعبادة بأرض محدَّدة أو بمكان محدَّد وبشعب يقيم على هذه الأرض أو على علاقة ما بها.[2]

والدارس لنصوص العهد القديم يجد أن إضفاء القداسة على الأرض هو نتيجة الحلول الإلهي فيها، ولذا فإن "إرتس يسرائيل" (فلسطين) تُسمَّى " أرض الربّ " كما هو مذكور في "هوشع": **" لا يسكنون في أرض الربّ، بل يرجع أفرايم إلى مصر ويأكلون النجس في أشور."**[3]

وهي أيضا الأرض التي أعطاها الربّ لموسى وخصها بجميل الوصف والرعايته كما جاء في" التثنية": " فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم لكي تتشدَّدوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها، ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الربّ لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرضٌ تفيضُ لَبناً وعَسلاً. لأن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها ليست مثل أرض مصر التي خرجت منها حيث كنت تزرع زرعك وتسقيه برجلك كبستان بُقُول، بل الأرض التي أنتم عابرون

---

1 - عبد الوهاب المسيري: المجلد 5، الجزء2، الباب3، مدخل: الأرض(إرتس)

2 - أنظر المرجع السابق. وكذلك، Claude Weill :ETRE JUIF EN France,Le nouvel Observateur, n°1883,Du 7 Au 13 DECEMBRE 2000 ,p 4-15.

3 - سفر هوشع 9: 3

إليها لكي تمتلكوها هي أرض جبال وبقاع. من مطر السماء تشرب ماءً، أرضٌ يعتني بها الربّ إلهك، عينا الربّ إلهك عليها دائما من أول السنة إلى آخرها."[1]

ثم هي الأرض المختارة، وصهيون التي -على زعمهم- يسكنها الربّ، والأرض المقدَّسة التي تفوق في قدسيتها أيَّ أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار، كما جاء في "زكريا": " **ترنَّمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هاأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الربّ، فيتصلُ أمَمٌ كثيرة بالربّ في ذلك اليوم ويكونون لي شعبا فأسكن في وَسَطِكِ فتعلمين أن ربّ الجنود قد أرسلني إليك. والربّ يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد.**"[2]

وهي كذلك "الأرض البهيَّة" كما جاء في "دانيال":" والآتي عليه يفعل كإرادته وليس من يقف أمامه ويقوم في الأرض البهيَّة وهي بالتمام بيده."[3]

(وقد جاء في التلمود: " الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه و لم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لجماعة يسرائيل سوى أرض يسرائيل."

والواقع أن تعاليم التوراة، كتاب اليهود المقدَّس، لا يمكن أن تُنفَّذ كاملة إلا في الأرض المقدَّسة. بل، وكما جاء في أحد أسفار التلمود وفي أحد تصريحات "بن جوريون"، فإن السكنى في الأرض بمنزلة الإيمان: "لأن من يعيش داخل أرض يسرائيل يمكن اعتباره مؤمناً، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له". بل إن فكرة الأرض تتخطى فكرة الثواب والعقاب الأخلاقية -كما هو الحال دائماً داخل المنظومة الحلولية-، فقد جاء أن "من يعيش خارج أرض الميعاد كمن يعبد الأصنام"، وجاء أيضاً أن "من يسر أربع أذرع في إرتس يسرائيل يعش لا ريب إلى أبد الآبدين، ومن يعش في إرتس يسرائيل يطهر من الذنوب"، بل إن حديث من يسكنون في إرتس

---

1 - سفر التثنية 11: 8 - 12

2 - سفر زكريا 2: 10 - 12

3 - سفر دانيال 11: 16

يسرائيل توراةٌ في حد ذاته. وقد جاء في سفر أشعياء 33: 24 أنه "**لا يقول ساكنٌ** – في الأرض– **أنا مَرِضْت. الشعب الساكن فيها مغفور الإثم**".)[1]

هذه النصوص وغيرها وحّدت النفسية اليهودية، وبلورت فكرة العودة، (فاليهود شعب واحد، طليعته هم المستوطنون الصهاينة، وفلسطين هي أرض الميعاد أو إرتس يسرائيل (وطن اليهود القومي)، وليست فلسطين وطن أهلها. وحدود إرتس يسرائيل مراوغة مطاطة لا يمكن تحديدها في الوقت الحاضر، إذ لابد أن تتوسع إسرائيل لتصل لحدودها "التاريخية" (التي ورد ذكرها في التوراة!). وعلى يهود العالم أن يهاجروا إلى إرتس يسرائيل وأن يلتفوا حول دولتهم الصهيونية القومية ويقوموا بدعمها مالياً وسياسياً فهي المركز وهم الهامش. هذه الدولة يجب أن تكون دولة يهودية خالصة (دولة اليهود ودولة يهودية في آن واحد) تجسِّد الرؤى اليهودية، وبإمكان اليهودي أن يحقِّق فيها ذاته وهويته.)[2]

هذه الأفكار شكلت إجماعا يهوديا في كثير من القضايا أهمها:

وجود الفلسطينيين في وطنهم فلسطين – حسب التصوُّر الصهيوني – أمر عرضي زائل، ومن ثم لابد من التخلص منهم بشكل ما لتأسيس الدولة اليهودية المقصورة على اليهود. وانطلاقاً من كل هذا يصبح من "حق" الدولة الصهيونية أن "تدافع" عن نفسها وعن حقوقها المطلقة بكل ضراوة من خلال "جيش الدفاع

---

1 – عبد الوهاب المسيري: المجلد 5، الجزء2، الباب3، مدخل: الأرض(إرتس). ولو قارنا بين الإسلام و اليهودية في فكرة ارتباط قدسية الشخص بقدسية المكان الذي يكون فيه، لوجدنا أن الإسلام لا يربط بينهما إطلاقا، فليس الساكن "بمكة" أو "المدينة" بأنقى وأتقى من الساكن في "طنجة" أو "جاكرتا"، وإنما الأمر متعلق بالتقوى وبمدى التزام الشخص بالقيم والأخلاق الإسلامية. قال تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. [الحجرات:13] وعن أبي نضرة قال:" حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم." [رواه أحمد] وقد أشار عبد الوهاب المسيري إلى هذه المقارنة في نفس المرجع بقوله:" أما في الإسلام، فإن الأمر مختلف حيث بدأ الإسلام في مكة والحجاز ثم انفصل عنهما لأنه دين مُرسل إلى كل الناس في كل زمان ومكان، ولا تُقاس التقوى في الإسلام بمدى القرب أو البعد عن مكة، وإنما تقاس بمدى القرب أو البُعد عن القيم الأخلاقية الإسلامية، أي أن انفصال الإسلام عن المكان وارتباطه بمجموعة من القيم هو بمنزلة تأكيد لحرية الفرد المسلم ومسئوليته ومقدرته على تجاوز الواقع المادي والتسامي عليه إن أراد."

2 – المرجع السابق: المجلد 7، الجزء1، الباب1، مدخل: الإجماع الصهيوني

الإسرائيلي" ضد "إرهاب" السكان الأصليين، أي الفلسطينيين ممن يرفضون الإذعان للرؤية الصهيونية. وبذلك تنقلب الصورة فيصبح الجلاد المحتل صاحب حق، في حين يصبح صاحب الحق جلاّدا يجب أن يهاجر أو يُهَجَّر ولو إلى الشتات.

وعليه قد تتفاوت مفاهيم السلام بين حزب صهيوني يميني وآخر صهيوني يساري ولكن في التحليل الأخير نجد أن مفهوم الأمن لدى الأحزاب الصهيونية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار يشير إلى مضمون واحد.

وينظر الصهاينة إلى القضية الفلسطينية باعتبارها "قضية أخلاقية" وحسب، ومن ثم يجب عدم الحديث عن "عودة" الفلسطينيين إلى ديارهم والمعبر عنه في المصطلح العربي "بإعادة التوطين"، وإنما يجب الحديث عن "منح تعويضات" مالية للمتضررين منهم. أما المتبقون فيُستوعَبون في أماكن وجودهم أي في البلدان العربية المختلفة، وبخاصة سوريا ولبنان، أي في مخيمات كما هو الواقع المرير.[1]

كما يُجمعون على كلمة واحدة وهي أنه لا يمكن بحال تفكيك المستوطنات القائمة بالفعل، فتفكيك المستوطنات يضرب في صميم الشرعية الصهيونية، ولابد من الحفاظ عليها بشكل أو بآخر، والدولة الصهيونية تضم الضفة الغربية، وحدودها هي نهر الأردن.[2]

1 – راجع تفصيل ذلك في المرجع السابق.

2 – أنظر المرجع السابق

الخطة العملية للهجرة والاستيطان

هجرة يهود الشتات إلى فلسطين تقتضي بالضرورة تهجير الفلسطينيين نحو الشتات(المخيمات)، والتهجير يعبِّر في العادة عن نَقْل جماعة سكانية من مكان إلى أخر دون سعي منها أو دون موافقتها، وهو يختلف عن الهجرة التي تتم بإرادة المهاجر.

لكن كيف يتم ذلك؟

لقد وجدت الصهيونية الاستعمارية طريقة تحل بها مشكل قلب الخريطة السكانية لإيجاد أغلبية يهودية في بلد يعيش فيه أغلبية فلسطينية، وذلك عن طريق "مفهوم اقتحام الأرض" والذي ينادي بالاستيلاء على أرض فلسطين واستغلالها حتى يمكن إنقاذها من أيدي "الأغيار" ببناء المستعمرات اليهودية.

وبغزو الأرض يُطهِّر اليهودي نفسه من طفيليته التي كانت تسمه كشخصية هامشية تعمل بالتجارة والربّا في " الدياسبورا " (أي في أنحاء العالم)، حيث كان يعيش منفياً محرماً عليه -حسب التصوُّر الصهيوني - العمل في الزراعة والاحتكاك بالطبيعة ومصادر الحياة. فاقتحام الأرض لم يكن الدافع إليه اقتصادياً فحسب وإنما كان نفسياً أيضاً. ولكن الاقتحام الحقيقي للأرض لم يتم بالطرق السلمية ولا حتى عن طريق التسلل والشراء، "فالصندوق القومي اليهودي"[1] لم يتمكن خلال 45 عاماً (من تاريخ تأسيسه حتى عام 1947) من الحصول إلا على 3.9 % من مساحة فلسطين، بينما نجد أن إرهاب المجموعات الصهيونية "كالهاجاناه" و "شتيرن" و "الإرجون" وغيرهم قد

---

1 - الصندوق القومي اليهودي: بالعبرية «كيرين كايميت» وهو إحدى أقدم مؤسسات المنظمة الصهيونية العالمية وذراعها المالي لشراء الأراضي في فلسطين. ترجع فكرة إنشائه إلى المؤتمر الصهيوني الأول (1897) حين اقترح عالم الرياضيات اليهودي الحاخام الليتواني هيرمان شابيرا إنشاء صندوق قومي يهودي قائم على التبرع الطوعي بهدف شراء الأراضي في فلسطين. ولكن هذا الاقتراح لم يحظ بأيِّ دعم حتى المؤتمر الصهيوني الخامس (1901) حينما تقرَّر (وبتأييد من هرتزل) إنشاء الصندوق القومي اليهودي ليكون "وديعة للشعب اليهودي" لا يُستعمل إلا لشراء أو تخليص الأراضي في فلسطين لتظل "ملكاً للشعب اليهودي إلى الأبد" لا يجوز بيعها أو رهنها. ويقوم الصندوق باستصلاح الأراضي وتأجيرها لمدة 49 عاماً قابلة للتجديد ولا يجوز تأجيرها لغير اليهود أو استخدام عمالة غير يهودية لزراعة هذه الأراضي وصيانتها. وقد تحدَّد مقر الصندوق في فيينا. أنظر عبد الوهاب المسيري: المجلد 6، الجزء3، الباب4، مدخل: الصندوق القومي اليهودي (كيرين كايميت)

استولت في أقل من عام واحد (1948) على مساحة قدرها 76% من مجموع مساحة البلاد.[1]

وقد تم طرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم وفق خطة منهجية دقيقة: (لقد كتب "يوسف فايتز" مدير الصندوق اليهودي المكلف بالاستيلاء على أراضي فلسطين، كتب في 1940يقول:" يجب أن يكون واضحا لنا أنه ليس هناك مكان لشعبين في هذا البلد. وإذا ترك العرب البلاد فإنها تكفينا لنعيش بها... وليست هناك وسيلة أخرى فلا بد من إخراجهم، ولا يصح أن تبقى قرية واحدة لهم ولا قبيلة واحدة منهم... ويجب أن نوضح " لروزفلت " ولكل رؤساء الدول الصديقة أن أرض إسرائيل ليست صغيرة إذا خرج كل العرب منها وإذا ما وُسعت الحدود قليلا نحو الشمال على طول " الليطاني"، ونحو الشرق على مرتفعات الجولان." [2]

كان هذا التفكير الصهيوني ناضجا حتى قبل إنشاء دولة إسرائيل، وهذا ما عجل تأسيسها (والواقع أنه ليست هناك معجزة إسرائيلية، فالمعجزة حقا كانت في السرعة المذهلة التي تم بها طرد السكان وإحلال آخرين محلهم، وسرعة اغتصاب الأرض وتسليمها لمالكين جدد!)[3] علما أن هذه السرعة لم تنشأ من فراغ وإنما كان مخططا لها تخطيطا دقيقا، يمكن كشف خيوطه مما كتبه "تيودور هرتزل" في يومياته، يوم 12يونيو 1895يقول: "... علينا أن نسير بهوادة في نزع الملكية الخاصة بالأراضي التي تخصص لنا.

سنحاول تيسير خروج السكان المعدمين بتيسير العمل لهم في البلدان التي يذهبون إليها مع منعهم من العمل في بلدنا.

أما أصحاب الأراضي الزراعية، فسينضمون لنا، وينبغي أن تتم إجراءات نزع الملكية، وكذلك إبعاد الفقراء، ينبغي أن تتم بهوادة واحتياط."[4]

---

1 – أنظر تفصيل ذلك في المرجع السابق: المجلد 7، الجزء4، الباب1، مدخل: اقتحام الأرض والعمل والحراسة والإنتاج

2 – روجيه جارودي، ملف إسرائيل: ص 111

3 – المرجع السابق: ص 120

4 – المرجع السابق: ص 121

وقد طبق برنامج نزع الملكية تطبيقا دقيقا منظما، إلا فيما يتعلق "بالهوادة"، فبمجرد أن أصبح للصهيونيين القوة الكافية فقد اغتصبوا الأرض عنوة.

علما أن نقطة الانطلاق في عملية الاقتحام وتجريد الفلسطينيين من أرضهم كانت بإنشاء الصندوق القومي اليهودي عام 1901م حيث أُسندت له وظيفة هامة تتمثل في شراء الأراضي أو استصلاحها وتأجيرها لمدة 49 عاماً قابلة للتجديد ولا يجوز تأجيرها لغير اليهود أو استخدام يدّ عاملة غير يهودية لزراعة هذه الأراضي وصيانتها.[1]

كما وظفت الصهيونية بعض القرارات العقارية الموروثة عن الانتداب البريطاني واستغلالها أبشع استغلال، وبطريقة تمييزية، من هذه القرارات قرار صدر عام 1943والقاضي "بنزع الملكية للأرض واستعمالها للمنفعة العامة". إلا أن الصهيونية لَوَت عنق هذا القرار واستخدمته لصالحها كما حدث عام 1962في "دير الأرض" و"نابل"، و"بعلة"، حيث نزعت ملكية 500 هكتار بحجة المنفعة العامة، إلا أن الدولة الصهيونية استعملتها في إنشاء مدينة "كارميل" المخصصة – كمستوطنة- لليهود وحدهم.[2]

كما استخدمت لذات الغرض "قوانين الطوارىء" التي أصدرتها السلطات البريطانية عام 1945 والموجهة ضد العرب واليهود على حد سواء إلا أن السلطات الصهيونية عند احتلالها للأرض طبقتها ببشاعة مفرطة ضد الفلسطينيين وممتلكاتهم، (فالقانون 124 على سبيل المثال، يعطي للحاكم العسكري السلطة – بدواعي الأمن- في إيقاف كل حقوق المواطنين بما فيها حق الانتقال، فيكفي أن يعلن الجيش إغلاق منطقة معينة " لأمن الدولة" حتى لا يستطيع صاحب الأرض العربي الذهاب إلى أرضه دون الحصول على تصريح من الحاكم العسكري. فإذا لم توافق السلطات على منح هذا التصريح، أصبحت الأرض غير مزروعة ويمكن لوزارة الزراعة الاستيلاء على الأرض غير المزروعة لضمان زراعتها.)[3]

---

1 – المرجع السابق: ص 121

2 – أنظر المرجع السابق: ص 123

3 – المرجع السابق

علما أن الإنجليز لما أصدروا هذا القرار احتج عليه اليهود احتجاجا كبيرا، ولما تمسكوا بزمام السلطة أبقوا على تطبيقه ضد الفلسطينيين لسلب أراضيهم. ولتبرير إبقاء مثل هذه القوانين الإرهابية الجائرة، لم تلغَ أبدا حالة الطوارىء في إسرائيل منذ عام 1948.[1]

وقد أكد هذا التخطيط الاستيطاني منذ 1930، الخبير الزراعي والاقتصادي للوكالة اليهودية الدكتور " أ.رابين "بقوله:" الأرض هي العنصر الذي لا يمكن الاستغناء عنه لكي نضرب بجذورنا في فلسطين. وبما أنه لم تعد هناك عمليا أرض قابلة للزراعة وليس بها عمال، فيتعين علينا إذن أن نمتلك الأرض وأن نزرعها بأنفسنا لنقضي على من فيها من فلاحين أو ملاّك أو مستأجرين."[2]

ولهذا السبب كتب "شيمون بيريز" في صحيفة "دافار" عدد 25 يناير 1972: " تطبيق القانون رقم 125 الذي قام الحكم العسكري على أساسه، هو استمرار مباشر للكفاح من أجل الاستيطان اليهودي والهجرة اليهودية."[3]

وفي سنة 1948صدر قرار خاص بزراعة " الأراضي البور" وعُدِّل سنة1949، ويقضي بإعطاء وزير الفلاحة صلاحيات واسعة مباشرة دون التذرع بمبرر "المنفعة العامة" أو "الأمن العسكري"، وتتمثل في منحه حق مصادرة كل أرض مهجورة.[4]

وعندها نشطت حركة التهجير الفلسطيني وطردهم من أرضهم عن طريق إرهاب العصابات الصهيونية، ومجازرها المرتكبة في " دير ياسين "1948، و" كفر قاسم "في 1956/10/29، ومذابح " الوحدة101" التي قادها "أريل شارون"، بأمر من "موشي دايان" في "طبريا"و"يافا" و"الرملة" و"اللد" و"بئر السبع" و"النقب"، حيث شعب بكامله في الشمال والجنوب والوسط. وأصبحت الأرض خالية إذ أُرغم

---

1 – المرجع السابق، ص 124

2 – المرجع السابق، ص 122

3 – المرجع السابق، ص 124

4 – المرجع السابق

أصحابها والعاملون فيها على تركها، فصودرت وأعطيت لليهود.[1]

ولو قمنا بإحصاء عدد المذابح الإسرائيلية دون ذكر عدد القتلى لوجدنا الأرقام تفوق كل التخيلات، فمن أهم المذابح التي ارتكبها المستوطنون الصهاينة بين عامي 1948 و1967 ما يلي:

مذبحة الدوايمة (29 أكتوبر 1948)، مذبحة يازور (ديسمبر 1948)، مذبحة شرفات (7 فبراير 1951)، مذبحة بيت لحم (26 يناير 1952)، مذبحة قرية فلمة (29 يناير 1953)، مذبحة مخيم البريج (28 أغسطس 1953)، مذبحة قلقيلية (10 أكتوبر 1953)، مذبحة قبية (15 أكتوبر 1953)، مذبحة مخالين (29 مارس 1954)، دير أيوب (2 نوفمبر 1954)، مذبحة غزة الأولى (2 فبراير1955)، مذبحة غزة الثانية (4 و5 أبريل 1956)، مذبحة خان يونس الأولى (30 مايو 1955) والثانية (1 سبتمبر 1955)، مذبحة الرهوة (11ـ12 سبتمبر 1956)، مذبحة كفر قاسم (29 أكتوبر 1956)، مذبحة خان يونس الثالثة (3 نوفمبر 1956)، مذبحة السموع (13 نوفمبر 1966).[2]

هذا وقد استكمل جهاز نزع ملكية الأراضي العربية بعدة قرارات أخرى منها:

(قرار 30 يونيو 1948، أمر الطواريء في 15 نوفمبر1948، بشأن ملكية الغائبين، القانون الخاص بأراضي الغائبين في 14مارس 1950، قانون الاستيلاء على الأرض في 13 مارس 1953، وعدة إجراءات أخرى كان هدفها كلها هو تقنين السرقة بإرغام العرب على ترك أراضيهم ليقيموا فوقها مستعمرات يهودية.

(...) والنتيجة الإجمالية لكل ذلك هي كما يلي:

بعد طرد مليون ونصف من الفلسطينيين أصبحت " أرض اليهود " -كما يسميها الصندوق القومي اليهودي - تمثل الآن 93 % من أرض فلسطين بعد أن كانت تمثل في 1946: 6.5 % ومن هذه الأرض 75 % تملكها الدولة، 14% يملكها الصندوق

---

1 - محمد عيسى صالحية: المؤرخون الجدد وإعادة بناء الواقع، مجلة العربي، العدد 512، يوليو 2001

2 - أنظر تفاصيل أعداد ضحايا هذه المذابح عند عبد الوهاب المسيري: المجلد7، الجزء3، الباب3، مدخل: المذابح الصهيونية الإسرائيلية حتى عام1967

القومي اليهودي.)[1]

وعليه فإن الدولة اليهودية حسب الحلم الصهيوني ليست كغيرها من دول العالم، فهي ليست كغيرها دولة للمقيمين فيها، (وإنما هي دولة لليهود المقيمين فيها وغير المقيمين فيها، فقط دون سواهم، ومن هنا تعتبر الصهيونية أي يهودي في العالم مهما كانت جنسيته حالياً وأينما وجد مواطناً في هذه الدولة، وهناك قانون إسرائيلي يعرف بقانون حق العودة يمنح لأي يهودي في العالم حقاً طبيعياً بالهجرة إليها ونيل جنسيتها.

وبالمقابل ترفض "إسرائيل" الاعتراف بالقرار الدولي الذي ينص على حق اللاجئين الفلسطينيين- الذين عند قيامها عام 1948، أجبرهم على الهجرة من مدنهم وقراهم وصادرت ممتلكاتهم - بالعودة إليها وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار، والحجة التي تتذرع بها "إسرائيل" هي أن عودة اللاجئين الفلسطينيين سوف تؤدي إلى تغيير طبيعتها كدولة خاصة لليهود فقط، وستنسف الحلم الصهيوني بدولة يهودية خالية تماماً من أي عنصر بشري من غير اليهود.)[2]

علما أنها تفعل ذلك بمنطلق عنصري بحت، ذلك أنه في الأدبيات الصهيونية العنصرية، يعتبر الصهاينة العربي على وجه العموم، والفلسطيني على وجه الخصوص، ضمن "الأغيار" حتى يصبح بلا ملامح أو قسمات، وينطلق المشروع الاستيطاني الصهيوني من هذا التقسيم الحاد، فالصهيونية تهدف إلى إنشاء اقتصاد يهودي مغلق، وإلى دولة يهودية لا تضم أي "أغيار". ومعظم المؤسسات الصهيونية كالهستدروت، والحركة التعاونية، والجامعات كلها تهدف إلى ترجمة هذا التقسيم الحاد إلى واقع فعلي، كما أن فكرة العمل العبري تنطلق من هذا التصور.[3]

وبعد ظهور الدولة الصهيونية الوظيفية (أي التي يستند وجودها إلى وظيفة محددة تضطلع بها)، انطلق هيكلها القانوني من هذا التقسيم. فقانون العودة هو قانون عودة

---

1 - روجيه جارودي، ملف إسرائيل: ص125

2- أحمد خليل الحلم الصهيوني للدولة اليهودية صحيفة الوطن القطرية 2003/5/28، عن المركز الفلسطيني للإعلام www.palesine-info.info

3 - عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء2، الباب15،مدخل: الأغيار،الجوييم

لليهود، يستبعد "الأغيار" من الفلسطينيين. ودستور الصندوق القومي اليهودي يُحرِّم تأجير الأرض اليهودية للأغيار. ويمتد الفصل ليشمل وزارات الصحة والإسكان والزراعة. [1]

(إزاء كل هذا الظلم والغبن الفادح ارتفع صوت منصف ينادي بالحق والعدل والمنطق هو صوت الوسيط الدولي الجنرال" برنادوت" سويدي الجنسية والذي كتب في تقرير رفعه إلى الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ 16 أيلول من عام 1948 يقول فيه:" لا يمكن لأية تسوية أن تكون عادلة ومرضية إذا لم يمنح اللاجئون العرب حق العودة إلى البلد الذي طردوا منه وسيكون من الظلم الفادح رفض عودة هؤلاء الضحايا الأبرياء إلى ديارهم بينما يتدفق المهاجرون اليهود على فلسطين مهددين بالحلول بصورة دائمة محل اللاجئين العرب الذين يعيشون في هذه الأراضي منذ قرون."[2]

وفي 16 سبتمبر 1948 تم توقيع "تقرير برنادوت" وفي اليوم التالي اغتيل الوسيط الدولي "برنادوت" في مدينة القدس على يدّ إرهابي يهودي كما قتل مساعده العقيد الفرنسي "سيرو" على أثر هذه الجريمة النكراء وما أحدثته من استنكار شديد في العالم كله. وبعد ارتكاب هذه الجريمة بثلاثة أيام وصلت رسالة إلى إحدى وكالات الأنباء الفرنسية تعلن مسؤولية "هازيت موليديت" عن العملية وهذه المنظمة الإرهابية فرع من عصابة "شتيرن" المنبثقة من عصابة "الأرغون" التي كان يرأسها "مناحيم بيغن".[3]

1- المرجع السابق

2- أيمن أحمد شعبان: اغتصاب فلسطين...جريمة صهيونية مبيتة، صحيفة البعث السورية 2003/5/14، عن عن المركز الفلسطيني للإعلام www.palesine-info.info

3- المرجع السابق

أعداد المهاجرين الاستيطانيين إلى فلسطين منذ عام 1882 حتى عام 1997

استناداً إلى كتاب الحكومة الإسرائيلية السنوي ومصادر أخرى. وضع عبد الوهاب المسيري في موسوعته جدولا بعدد المهاجرين الاستيطانيين إلى فلسطين منذ عام 1882 حتى عام 1997، نوره بتمامه كما يلي[1]:

أعداد المهاجرين الاستيطانيين إلى فلسطين منذ 1882 حتى عام 1997.

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	آسيا	أفريقيا	أوربا	أمريكا	غير معروف
1903-1882	30000-20000		–	–	–	–
1914-1904	40000-3500		–	–	–	–
1948-1919	482.857	40.895	4.041	377.381	7.754	25.786
1923-1919	35.183	1.181	230	27.872	678	5.222
1931-1924	81.613	9.182	621	66.917	2.241	2.652
1938-1932	197.235	16.272	1.212	171.173	4.589	3.989
1945-1939	81.808	13.116	1.072	62.968	108	4.544
1948-1946	56.467	1.144	906	48.451	138	5.828
1948	101.828	4.739	8.192	76.554	478	11.865
1949	239.954	71.652	39.215	121.963	1.422	5.702
1950	170.563	57.565	26.162	81.195	1.954	3.687
1951	175.279	103.396	20.382	47.074	1.286	3.141
1952	24.610	6.867	10.286	6.232	950	275

1 – عبد الوهاب المسيري: المجلد7، الجزء2، الباب3، مدخل:الهجرة الصهيونية الاستيطانية بعد عام1948.

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	آسيا	أفريقيا	أوربا	أمريكا	غير معروف
1953	11.575	3.014	5.102	2.147	930	382
1954	18.491	3.357	12.509	1.369	1.091	165
1955	37.528	1.432	32.815	2.065	1.155	61
1956	56.330	3.139	45.284	6.739	1.67	101
1957	72.634	4.230	25.747	39.812	1.410	1.435
1958	27.200	7.921	4.113	13.695	1.320	241
1959	33.000	3.544	4.429	14.731	1.147	137
1960	24.000	1.782	5.379	16.169	1.158	204
1961	47.735	4.149	18.048	23.375	1.969	194
1962	61.533	5.355	41.816	11.825	2.187	350
1963	64.489	4.964	38.672	14.213	6.497	143
1964	55.036	5.057	17.340	28.124	4.188	327
1965	31.115	5.223	8.535	13.879	3.096	382
1966	15.957	3.137	3.024	7.435	2.132	229
1967	14.469	1.987	6.268	4.295	1.771	148
1968	20.703	4.671	7.567	6.029	2.275	161
1969	38.111	7.018	5.926	15.236	9.601	330
1970	36.750	6.904	3.785	14.434	11.405	222
1971	41.930	5.778	2.354	20.888	12.885	25
1972	55.888	3.143	2.766	39.145	10.814	20

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	آسيا	أفريقيا	أوربا	أمريكا	غير معروف
1973	54.886	2.025	2.839	40.492	9.522	8
1974	81.981	1.179	1.216	23.126	6.439	21
1975	20.028	927	689	13.417	4.989	6
1976	19.754	1.135	697	12.137	5.774	11
1977	21.429	908	1.620	12.660	6.201	40
1978	26.394	1.736	1.683	16.549	6.305	121
1979	37.222	7.087	1.340	22.404	6.024	367
1980	20.428	3.202	1.007	11.792	4.350	77
1981	12.599	1.215	1.170	5.909	4.243	62
1982	13.723	951	1.555	6.168	5.003	46
1983	16.906	844	3.094	6.154	6.758	56
1984	19.981	700	(*)8.885	5.485	4.876	35
1985	10.642	607	2.318	3.964	3.739	24
1986	9.505	1.183	982	3.675	3.634	31
1987	12.965	1.888	1.205	6.044	3.812	16
1988	13.034	1.700	1.334	6.012	3.969	19
1989	24.050	185	1.861	16.766	4.147	91
1990	199.516	940	4.472	189.650	4.315	139
1991	176.100	622	20.251	152.142	3.023	62
1992	77.057	891	4.075	68.962	3.006	123

جامعة الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

48	3.283	70.315	1.431	1.728	76.805	1993
51	3.593	72.553	1.928	1.719	79.844	1994
25	4.330	68.987	1.772	1.247	76.351	1995
68	4.587	52.475	1.998	11.791	70.919	1996
					حوالي 66.500	1997

أعداد المهاجرين الاستيطانيين إلى فلسطين منذ عام 1882 حتى عام 1997

(-) غير متوفر

(*) من بينهم الفلاشاه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة واستنتاج

مهما كانت المخططات الصهيونية لطرد الفلسطينيين من أرضهم، فقد جاء إعلان "الرباط" لحقوق اللاجئين الفلسطينيين، الذي اختتم أعماله في مدينة الرباط المغربية مؤخراً ليمثل صرخة في فضاءات الرأي العام الدولي، وليعلن للعالم أن اللاجئ الذي هجر وشرد واضطهد عبر أكثر من نصف قرن لايزال يتمسك بأرضه وحقه في العودة حتى وإن تجنس بجنسيات أخرى لم يكن له منها بد ليعيش في هذا العالم كإنسان له حق الحياة.

يقول منظمو المؤتمر: بعد الرجوع إلى العهود والاتفاقيات والإعلانات الدولية لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، وإعلان الدار البيضاء الصادر عن المؤتمر الدولي الأول لحركة حقوق الإنسان في العالم العربي، وبعد مناقشة الأوراق المقدمة للمؤتمر، ومراجعة الأوضاع المأساوية والظروف اللاإنسانية للاجئين والمهجرين الفلسطينيين في الوطن والشتات خلال أكثر من 52 عاماً، وتعنت الكيان الصهيوني ورفضه الانصياع لقرارات الشرعية الدولية المتعلقة بحق اللاجئين في العودة والتعويض، واستمراره في ممارسة أعمال الطرد والتهجير وانتهاكات حقوق الإنسان، والتجاء بعض الأطراف الدولية إلى الالتفاف على قرارات الشرعية الدولية، بطرح التوطين والتعويض كبديل عن إلزام الكيان الصهيوني بالخضوع لإرادة المجتمع الدولي، قرر المشاركون إصدار الإعلان التالي:

"إن الكيان الصهيوني يتحمل المسؤولية الكاملة عن خلق قضية اللاجئين الفلسطينيين، وذلك بقيامه بعمليات الطرد المنظم، المباشر وغير المباشر، من خلال ارتكاب المجازر وأعمال القتل والترويع والتهديد، وهي الأعمال التي تؤكدها أيضاً الوثائق العبرية وشهادات واعترافات بعض المسؤولين والمؤرخين اليهود وكذلك من خلال رفضه المستمر السماح للاجئين الفلسطينيين بالعودة.

إن حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم هو حق شخصي للفرد وجماعي لمجموع اللاجئين وفقاً لقرار الأمم المتحدة 194 لعام 1948م ولا يمكن

تفويض أي جهة بإبرام أي اتفاق يحرم اللاجئ كفرد أو اللاجئين كمجموع من الحق في العودة.

كما أن إنشاء الدولة الفلسطينية، أو تجنس اللاجئ بجنسية ثانية، لا يسقط حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى مدنهم وقراهم الأصلية.

إن التعويض عن الممتلكات المنهوبة والمعاناة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الهائلة لأكثر من 52 عاماً، ليس بديلاً عن إعمال حق العودة وهو مطلب يجب الوفاء به جنباً إلى جنب العودة.

إن أي تسوية سياسية لا تضمن حقوق اللاجئين الفلسطينيين، لن تؤدي إلى سلام دائم وشامل في المنطقة.

كما يؤكد المؤتمر أن المجتمع الدولي يتحمل المسؤولية الأساسية عن تنفيذ القرارات التي اتخذتها مؤسساته بخصوص ضمان تمتع الشعب الفلسطيني بحقه في تقرير مصيره بنفسه، وعودة اللاجئين إلى ديارهم الأصلية، فضلاً عن توفير الحماية الدولية لهم إلى حين عودتهم."[1]

1- محمد عادل عقل:حق العودة شخصي للفرد وجماعي للشعب الفلسطيني، مجلة المجتمع، العدد 1442،الصادرة يوم 2001/7/30

2- تهويد القدس

يقال في اللسان العربي:" هَوَّدَ الرجلَ: أي حَوَّلَهُ إلى ملّة يهـــود.والتَهْوِيـــدُ: أن يُصَيَّر الإنسان يهوديا.[1]

و" التَهُوُد":" هو اعتناق اليهودية بشكل طوعي دون قسر. أما" التَهْوِيدُ ": فهو اعتناق اليهودية قسراً نتيجة الضغوط الخارجية."[2]

والتَهوِيدُ هو ما تفعله السلطات الإسرائيلية بالأراضي العربية عموما وبالقـــدس خصوصا.

فقد أعلن "بن جوريون" في مجلس الشعب المؤقت (الكنيست فيما بعد) يوم 24 جويلية 1948 " أن مسألة إلحاق القدس بإسرائيل ليست موضع نقاش، فما يُناقش هو كيفية تحقيق هذا الهدف." وقد أُعلنت القدس عاصمة لإسرائيل في 23 ينـــاير 1950، وقامت السلطات الإسرائيلية بنقل وزاراتها إلى القدس (الغربية) وأنفقـــت موازنـــات كبيرة على تطويرها. وبعد أن كان المستوطنون الصهاينة لا يملكون سوى 18% فقط من الأرض قبل عام 1948، أصبح الوجود العربي في هذا الجزء لا يُذكَر وبخاصة مـــع طرد 30 ألف فلسطيني من القدس (الغربية) نفسها و40 ألف آخرين من القرى المجاورة التي دخلت غالبيتها فيما بعد في نطاق بلدية القدس. وحينما نشـــبت حـــرب 1967 اجتاحت القوات الإسرائيلية المدينة بأكملها، وتم الاستيلاء عليها في السابع من جويلية ودخل "موشي ديان" إلى القدس ليُعلن أمام حائط المبكى: "لقد أعدنا توحيد المدينـــة المقدَّسة، وعدنا إلى أكثر أماكننا قداسة، عدنا ولن نبارحها أبداً ".[3]

ورغم القرارات الدولية التي تؤكد عدم شرعية احتلال إسرائيل للقدس، علـــى اعتبار أنها مدينة محتلة مثلها في ذلك مثل باقي الأراضي العربية التي احتلت في العـــام 1967م، والتي تخضع لاتفاقية جنيف الرابعة للعام 1949م، والتي تلزم إسرائيل بعدم تغير

---

1 – ابن منظور، لسان العرب: ج 3، ص 439

2– عبد الوهاب المسيري: المجلد5، الجزء3، الباب3،مدخل:التبشير باليهودية والتهود والتهويد

3 – المرجع السابق:المجلد4، الجزء1، الباب7، مدخل: القدس تهويدها.

وضعها السكاني وكان آخر هذه القرارات قرار مجلس الأمن 799 الصادر في 1992/12/19م، إلا أن الغطرسة الصهيونية ضربت كل اللوائح الأممية والاستنكارات الدولية عرض الحائط، باستهدافها تهويد القدس من خلال خطط محكمة، سهرت على تطبيقها كل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، مهما كان لونها السياسي وعبر مختلف مراحل الدولة الصهيونية من "بن غوريون" إلى "شارون"، فالجميع (يستندون إلى "حق إلهي" في ملكيتهم لفلسطين. ويجري كل شيء كما لو كان الأمر أمر استعراض لعقد هبة وقّعها الربّ، تبيح لهم حق تجريد كل من يعيش في فلسطين من أرضه ليضعوا هم يدهم عليها.)[1]

فقضية القدس تعد من أصعب وأخطر القضايا المتنازع عليها في مجمل الصراع العربي /الإسلامي – الصهيوني /الإسرائيلي، وأكثرها تعقيدا. والحقيقة هي أنه لم تواجه مدينة لا في الصراعات الإقليمية ولا النزاعات الدولية ما واجهته هذه المدينة من أحداث، لسبب وضعها الديني الخاص في الديانات السماوية الثلاث. ولهذا تعتبر القدس المحور الأساسي في القضية الفلسطينية، ولا يوجد أي مشروع سلام وضع لحل هذه القضية دون إبراز قضية القدس فيه، حيث طالب بعضها بالتدويل وببقائها موحدة، وطالب البعض الآخر بعودة القدس الشرقية إلى السيادة الفلسطينية، أما إسرائيل فهي تصر على توحيدها تحت سيادتها لتبقى عاصمة لها.

(ويتزايد تعقيد مشكلة القدس لتصبح عقبة في طريق أي تسوية سياسية بسبب ما آلت إليه أوضاع المدينة المقدسة في ضل الخطة الصهيونية- الإسرائيلية عروبتها وتهويدها والقضاء التام على هويتها العربية الإسلامية وطابعها الحضاري المميز، باعتبارها المدينة المقدسة التي ظلت على مدى التاريخ العربي والإسلامي امتدادا ورمزا للتعايش بين الديانات الثلاث الإسلامية والمسيحية واليهودية.

من هنا ينظر الكثيرون إلى مدينة القدس على أنها بؤرة هذا الصراع بكل أشكاله ومظاهره، ومحوره الرئيسي، خاصة أن الطرف الإسرائيلي يزعم – زورا وبهتانا- أن

1- روجيه جارودي، ملف إسرائيل: ص 83

القدس يهودية .)[1]

وقد اعتمدت الصهيونية في تهويدها للقدس على خطة محكمة ذات محاور ثلاثة هي كالتالي:

أولا: محو الملامح والصفات والخصائص العربية والإسلامية للمدينة:

بالسيطرة على أكبر قدر من الأراضي العربية فاستولت على أراضي الأملاك العامة وصادرت كثيرا من الأملاك الخاصة وفرضت إرادة المحتل على المدينة بخلق أمر واقع لا يمكن تغييره وذلك من خلال إقامة العديد من المستوطنات التي تشكل مبانيها المقامة على شكل قلاع على رؤوس الجبال أحزمة أو أطواق تتيح اتساع رقعتها والتوسع الدائم لصالح اليهود وتحاصر في الوقت نفسه المواطنين العرب وتقضي على أي فرصة لهم للتوسع.

كذلك سنت سلطات الاحتلال القوانين الخاصة بمدينة القدس واعتبرتها جزءا من أراضيها واتخذت العديد من الإجراءات لتغيير طابع المدينة السياسي والديني.

وبهدف إضفاء الطابع اليهودي على المدينة اتخذت الإجراءات التالية [2]:

- مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات (1000 متر مربع) لأراضي تخص المواطنين العرب داخل البلدة القديمة من مدينة القدس وحول هذه المدينة.

- إقامة أحياء سكنية إسرائيلية داخل البلدة القديمة من مدينة القدس وإقامة عشرات المستوطنات حول هذه المدينة من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية بحيث تحاصر هذه المدينة وتعزلها عن سائر مناطق فلسطين.

- توسيع مسطح مدينة القدس على حساب الأراضي العربية بهدف إقامة "القدس الكبرى" بحيث خططوا أن تصبح نسبة اليهود عام 2000م حوالي 75% من

1- محمد أحمد صالح: السياسة الصهيونية لتغيير التركيبة الديموغرافية، مجلة العربي العدد 505 – ديسمبر 2000. وانظر أيضا عبد الوهاب المسيري: المجلد4، الجزء1، الباب7، مدخل: القدس تاريخ

2- أنظر مصطفى دسوقي كسبه: القدس مفتاح السلام والحرب في الشرق الأوسط، موسوعة القدس: مرجع سابق، نافذة، مقالات: مكانة القدس.

السكان.

- حرمان السكان العرب من منح رخص بناء لهم ضمن مدينة القدس لأن الذي يدير مدينة القدس مجلس بلدي إسرائيلي.

ويمكن إجمال الخطوط العامة للاستيطان كما يلي:

الطوق الأول: ويشمل الحي اليهودي حيث بدأت عمليات الاستيطان فيه من خلال قيام بعض العائلات اليهودية بالانتقال إلى داخل القدس القديمة وشغلها لبعض المساكن التي تركها أصحابها من الفلسطينيين وقد أعقب ذلك صدور قرار الحكومة الإسرائيلية في جويلية 1967م لبدء الاستيطان في المدينة وعلى الفور قامت السلطات بإعادة أعمار الحي اليهودي دون انتظار وضع الخطة الشاملة لعملية الاستيطان في القدس وقد حاولت هذه السلطات توسيع حدود هذا الحي حتى بلغت مساحة الأراضي التي أقيم عليها ضعفي مساحته عام 1948م وذلك بإلحاق مجموعة من الأحياء العربية المجاورة بعد تهجير سكانها وهدمها والاحياء هي "حي المغاربة" الملاصق لحائط البراق و "باب الشرف" و "باب السلسلة" وحي "الباشورة". وقد جعلت هذه الأحياء امتدادا للحي اليهودي بحيث بلغت مساحة الأراضي التي أقيم عليها حوالي (116) دونما تحتوي على 320 وحدة سكنية وسوقا تجارية وكنيسا للصلاة.[1]

- الحديقة الوطنية المحيطة بسور القدس من الشرق والجنوب واعتبارها حزاما أخضر يحيط بسور القدس ومحاولة إخلاء بعض الأحياء السكنية الواقعة في الغرب من "سلوان" و"عين الحلوة".[2]

- المركز التجاري الرئيسي للمدينة وذلك لاستكمال محاصرة القدس من الشمال والغرب وفصلها عن الأحياء العربية المجاورة ولتحقيق التحام المدينة بالقدس الغربية من خلال إزالة المنطقة العازلة بين شطري القدس ويقوم هذا المركز على الأحياء العربية في "باب الساهرة" و"باب العمود" و"الشيخ جراح" وأجزاء من "حي

1- أنظر المرجع السابق.

2- المرجع السابق.

المصرارة" و"سعد" و"سعيد" من المناطق المحتلة عام 1948م.[1]

والجدير بالذكر أن هذا الطوق يركز على الاستيطان داخل الأحياء العربية في القدس القديمة من خلال هدم الأحياء القديمة والتاريخية كما يهدف لطرد أكبر عدد ممكن من سكان القدس خصوصا سكان تلك الأحياء المزدحمة الموجودة في الوسط.

الطوق الثاني: ويشمل بناء سلسلة من الأحياء السكنية الضخمة في جميع المناطق الواقعة ضمن حدود أمانة مدينة القدس لتحيط بالمدينة من ثلاث جهات مدعومة بمجموعة من المستوطنات الخلفية على النحو التالي:

(الناحية الشمالية وتتكون من مستوطنات "رامات أشكول" و"معالوت دفنة" و"حي شابيرا" في التل الفرنسي و"حي سانهدريا" قرب "شعفاط".

وتستند هذه المستوطنات إلى مستنوطنات خلفية أبعد منها هي "النبي يعقوب" و"راموت" قرب "النبي صمويل" و"عطاروت الضاعية" قرب "قلنديا" من الناحية الجنوبية وتتكون من مستوطنات الحي السكني لطلبة الجامعة العبرية وهي "تل بيوت" قرب "جبل أكملبر" و"صورباهر" وتستند إلى مستنوطنة خلفية هي "جيلو" (شرفات) قرب "صفافا".

من الناحية الشرقية أقيمت هذه السلسلة من بعض الأحياء السكنية التابعة للجامعة العبرية ومستشفى "هداسا" وكذلك حي "نمضعات همفتار" في "الشيخ جراح" ويستندهذا التشكيل إلى مستعمرة خلفية هي"معالية أروميم"في منطقة الخان الأحمر.)[2]

ويهدف هذا الطوق إلى عزل مدينة القدس عن التجمعات العربية في الشمال والجنوب والشرق ومنع اتصالات الأحياء العربية في القدس بالقرى المجاورة كما يهدف للحد من نمو الأحياء العربية القليلة المتبقية داخل مدينة القدس فضلا عن إخراج المدينة برمتها من قلب الضفة الغربية وجعلها مندمجة مع الوجود الإسرائيلي في الغرب ويشكل هذا الطوق بأبنيته الخرسانية الضخمة حزاما أمنيا ويخلق أمرا واقعا جديدا

---

1 - المرجع السابق

2 - المرجع السابق

يصعب على التسوية السياسية تجاهله.[1]

الطوق الثالث: وهذا الطوق في طور التنفيذ العملي ويهدف لإقامة سلسلة من المستوطنات في حدود القدس الكبرى "الموسعة" ويشمل السيطرة على المنطقة الممتدة من "رام الله" شمالا حتى أطراف مدينة "الخليل" ومن منطقة الخان الأحمر شرقا حتى "اللطرون" غربا بما يعادل 30% من مساحة الضفة الغربية ويمتد المشروع ليشمل عدة مدن عربية مثل "رام الله" "بيت لحم" "بيت جالا" و "بيت ساحور" إضافة إلى 60 قرية عربية تضم حوالي 300 ألف نسمة.[2]

وتستهدف إسرائيل من وراء هذا المشروع ليس فقط زيادة عدد اليهود في هذه المناطق وتهويد القدس وابتلاع مساحات واسعة من أراضيها وتشتيت سكانها وإنما أيضا تمزيق الضفة الغربية ككل وشطرها إلى نصفين منفصلين جغرافيا وسكانيا.

ثانيا: زعزعت الكثافة السكانية وعزلها عن محيطها العربي.

استطاعت إسرائيل بما اتخذته من إجراءات تغير النسبة السكانية لليهود في البلدة القديمة (القدس الشرقية) من صفر عام 1967م إلى ما يزيد قليلا عن 50% عام 1993م أما القدس الموحدة بشطريها الشرقي والغربي فإن نسبة المواطنين العرب تتراجع لتصبح الأغلبية لليهود.[3]

ومن أهم الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتحقيق ذلك أنها قامت بتهجير أكبر عدد ممكن من السكان العرب من القدس إلى خارج حدودها بطرق متعددة. وفرض الضرائب المرتفعة والمتعددة على السكان العرب في المدينة لتعجيزهم اقتصاديا، وكذا فرض حصار عسكري على المدينة المقدسة ومنع المسلمين من أنحاء فلسطين من الوصول إلى هذه المدينة وحرمانهم من الصلاة في المسجد الأقصى المبارك وبخاصة في شهر رمضان المبارك، وأيام الجمعة بما في ذلك الذين يسكنون مدينة القدس، كما تحدد

---

1 - Jean-Louis Tremblais : Israel-Palestine, voyage en terre ceinte.

2 - أنظر مصطفى دسوقي كسبه: القدس مفتاح السلام والحرب في الشرق الأوسط، وكذا محمد أحمد صالح: السياسة الصهيونية لتغيير التركيبة الديموغرافية، مرجع سابق

3 - مصطفى دسوقي كسبه، المرجع السابق

أعمار المصلين من 45-50 سنة لتمنع الشباب منهم باسم الحفاظ على الأمن.[1]

ثالثا: تكثيف الوجود اليهودي بحيث تصبح لهم الأغلبية المطلقة.

فقد عملت إسرائيل في اتجاهين متوازيين يكل كل منهما الآخر..

الأول: وهو الاتجاه الرسمي ويتمثل في الحفريات حول حرم المسجد الأقصى الشريف تلك الحفريات التي بدأت منذ وقت مبكر من الاحتلال ولا تزال مستمرة وقد مرت تلك الحفريات بالعديد من المراحل.

والحفريات أسفل العقارات الوقفية الأثرية التي تلاصق السور الخارجي للمسجد الأقصى المبارك من الجهتين الغربية والشمالية تقوم بها السلطات الإسرائيلية المحتلة منذ عام 1967م وحتى الآن بدعوى البحث عن هيكل سليمان ـــ المزعوم ـــ وبدعوى البحث عن آثار عبرية لإثبات وجود لهم في هذه الديار إلا أنهم لم يعثروا على شئ.[2]

الثاني: وهو الاتجاه غير الرسمي الذي أخذ شكلا متناميا منذ الاحتلال وحتى الآن ويتزعم هذا الجانب غير الرسمي الجماعات الدينية المتطرفة التي تتزايد ويتزايد معها تأثيرها على مراكز اتخاذ القرار في إسرائيل.

هذا فضلا عن المحاولات المتكررة من اليهود والمتطرفين لإقامة صلواتهم في ساحة المسجد الأقصى المبارك بدعوى أن هيكل سليمان ـــ المزعوم ـــ يقع تحت الأقصى ومجزرة الأقصى التي وقعت عام 1990م ليست ببعيد حينما تصدي المواطنون العرب للمتطرفين اليهود الذين حاولوا مس قدسية المسجد القدس الأقصى مما دفع الجيش الإسرائيلي لإطلاق الرصاص على المصلين المسلمين بشكل متعمد مما أدى إلى استشهاد 21 شخصا وجرح العشرات واعتقال المئات من العرب.[3]

ويعيش بمدينة القدس حالياً 564 ألف نسمة منهم 413.7 يهودي، أي حوالي 10% من سكان إسرائيل اليهود، بنسبة 73.3% و150.6 ألف غير يهودي بنسبة

---

1 – المرجع السابق

2 – عبد الوهاب المسيري: المجلد4، الجزء1، الباب7، مدخل: القدس تهويدها

3 – أنظر المرجع السابق

26.7%، يُلاحَظ أن تعداد القدس عام 1967 كان حوالي 266.300 نسمة، فزاد عدد اليهود بنسبة 99% ولم يزد عدد السكان غير اليهود عن 20%. وفي ظل التوسعات الصهيونية في المدينة فإن مساحتها أصبحت تعادل عُشر مساحة الضفة الغربية. وهذه الزيادة المشار إليها لم تأت نتيجة تكثيف تهجير اليهود أو ارتفاع معدلات الخصوبة بشكل كبير بين الجماعات اليهودية في إسرائيل، بل أتت من خلال محاولة الستحكم العددي في السكان الفلسطينيين من خلال مجموعة من الآليات مثل التهجير والإخلاء والإرهاب، والتضييق عليهم في مستوى معيشتهم، ومن خلال التضييق في إصدار تراخيص البناء، كما أسلفنا.)[1]

ورداً على النشاطات الفلسطينية داخل مدينة القدس أقر الكنيست الإسرائيلي في 26ديسمبر 1994، قانوناً بمنع السلطة الفلسطينية من مزاولة نشاطاتها داخل أراضي إسرائيل، واستناداً إلى القانون نفسه في القدس أيضاً. وفي ماي 1995، أمرت إسرائيل بإخلاء جزء من المؤسسات الفلسطينية الموجودة في القدس. كذلك أسرعت في تنفيذ خطط إسكان مختلفة، مثل خطة الإسكان في جبل السور جنوبي المدينة.

ويُلاحَظ أن عمليات التهويد والتوسع أخذت في التسارع قبل حلول مناقشات الوضع النهائي التي كان من المفترض إجراؤها في منتصف عام 1996، بهدف تغيير وضع القدس من الناحية البنيوية. وكما قال أحد المسئولين الإسرائيليين: "سيستحيل على السيد "عرفات" أن يَزعُم أن القدس الشرقية عاصمته. قد ينجح في القيام بعمل رمزي، غير أن عمليات البناء التي قمنا بها ستجعل تقسيم المدينة من جديد أمراً مستحيلاً".[2]

---

1 – المرجع السابق

2 – المرجع السابق

بيت المقدس وقرارات الأمم المتحدة

الناظر لقرارات الأمم المتحدة يجدها تدين بشدة الاحتلال الصهيوني لها، خاصة بعد تقسيمها إلى قدسين شرقية عربية وغربية يهودية.وبعد حرب 1967م استكملت إسرائيل ربط القدس العربية- الشرقية- بالقدس الغربية وقررت أن تكون القدسان قدسا واحد موحدة و لكنها خاضعة تحت السيطرة الإسرائيلية.

(ومنذ 1967م حتى 1980م تاريخ تشريع ضم القدس صدرت عن مجلس الأمن الدولي ستة قرارات برفض واستنكار كل إجراءات إسرائيل في القدس.

في 27 إبريل (نيسان) 1968م صدر عن مجلس الأمن القرار رقم 250 الذي يدعو إسرائيل إلى الامتناع عن إقامة عرض عسكري في القدس.

في 2 مايو (أيار) 1968م صدر القرار رقم 251 الذي أبدى المجلس فيه أسفه على إقامة العرض العسكري الإسرائيلي في المدينة في نفس التاريخ.

في 21 مايو (أيار) 1968م صدر عن مجلس الأمن القرار رقم 252 وجاء فيه أن مجلس الأمن يعتبر كل الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير الوضع القانوني للقدس إجراءات باطلة.

في يوليو (تموز) 1969م أصدر مجلس الأمن القرار رقم 267 الذي ندد فيه مرة أخرى بكل الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغير معامل القدس واعتبرتها إجراءات لاغية.

في 15 سبتمبر (أيلول) 1969م أصدر مجلس الأمن القرار رقم 17 ندد فيه وأدان مسئولية إسرائيل في حريق المسجد الأقصى.

وفي 25 سبتمبر (أيلول) 1971م أصدر المجلس القرار رقم 298 الذي أكد فيه بعد أن أشار إلى عدم تجاوب إسرائيل مع قراراته السابقة وقرارات الجمعية العامة أن جميع الأعمال التشريعية والإدارية التي قامت بها إسرائيل في القدس لاغية كليا ولا

يمكن أن تغري ذلك الوضع.

واستنادا إلى حوالي 40 قرارا وتوصية من الجمعية العمومية ومجلس الأمن تدين إسرائيل بأوضح العبارات وتعتبر كل إجراءاتها في القدس وامتلاك الأراضي الفلسطينية لاغية)[1] إلا أن إسرائيل لم تلتزم بأي قرار.

ورغم التواطؤ العالمي والسكوت على تطبيق القرارات الدولية والأممية، إلا أن الانتصارات الإسرائيلية لم تؤد إلى الهيمنة الإسرائيلية المرجوة، ولم تؤد إلى تطبيع الحالة الصهيونية الإسرائيلية، فالدولة الصهيونية لا تزال دولة إقصاء، وقلعة مدججة بالسلاح في حالة حرب نفسية مع كل جيرانها، وفي حالة حرب فعلية مع بعضهم، ولا يزال الشعب الفلسطيني يرفضها رفضاً كاملاً، ولذا نتحدث عن "الانتشارات" الإسرائيلية بدلاً من "الانتصارات" الإسرائيلية، فهو تحدد أفقي في المكان لا معنى له، وليس تطوراً رأسياً في الزمان يحدث تغييرات ذات معنى.[2]

1- مصطفى دسوقي كسبه: القدس مفتاح السلام والحرب في الشرق الأوسط، موسوعة القدس: مرجع سابق، نافذة، مقالات: مكانة القدس.

2 – عبد الوهاب المسيري: المجلد7، الجزء5، الباب2،مدخل: أرض بلا شعب منظور إسرائيلي.

الخاتمة

بعد بحث موضوع " الحوار بين اليهودية والإسلام " يمكن أن نخلص إلى النتائج العامة التالية:

- بدراسة نصوص القرآن والسنة وقواعد السياسة الشرعية، نستنتج أن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين. وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك ! وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع. ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم، لذا فهو لا يغلق أبواب الحوار تجاه الآخر مهما كانت عقيدته وتوجهاته، بل يُطالب المسلم بالتواصل مع الآخر، لدرجة قد يبذل فيها دمه وروحه لحماية العابدين من أهل الملل المختلفة، واستمرار بقاء معابدهم، فحماية أهل الذمة والدفاع عنهم وعن مقدساتهم من الأسباب التي أبيح الجهاد لأجلها.

- المسلم ليس متعطشا للدماء ولا للقتال، بل إنه يكره ذلك بفطرته السليمة، ولولا الدفاع عن العقيدة و الذات واسترجاع الحقوق والأخذ على يد الظلمة الجبابرة ما أمر أصلا بالقتال. وقد كشف الله عن هذه النفسية الوديعة وهذا الطبع المسالم وهو يأمر المؤمنين بالقتال فقال تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.﴾

[البقرة:216]

- المسلم وسطيّ في التعامل مع الآخر فهو لا يعاني من عقدة التطـــرف ســـواء تطرف العنف أو تطرف السلم، فالأصل فيه أنه وديع حليم متفتح نحو الآخـــر دون مركب نقص ولا استعلاء، أما إذا تعرض دينه وعرضه وأرضه للسلب والاحتلال، فهو يملك حق الردِّ و الدفاع عن الذات بالوسائل المشروعة، فهو لا يعاني فراغا تشـــريعيا وإنما يلبس لكل حال لبوسها، يحسن الحوار والتواصل مع الآخر لدرجة نكران الذات في مواطنها، كما يحسن القتال وفنون إدارة الصراع في مواطنها.

- يعد الإسلام الحوار فريضة شرعية و ضرورة حضارية مع كـــل الشـــعوب والأمم و الديانات دون إقصاء لأحد، مهما كان دينه وعرقه وجنسه، وهذا منـــاقض تماما لما يريد البعض إثباته من أن الإسلام والحضارة الإسلامية مولدة للعنـــف وغـــير متسامحة في جوهرها، وينسبون ذلك لجوهر الحضارة وليس لمواقف أبنائهـــا، وهـــذا تعميم مغرض في الأحكام، إذ كيف تُختزل حضارة بأكملها سادت العـــالم بالعـــدل لقرون، فيُحكَم عليها من خلال تصرفات بعض أبنائها، لولا التحامل عليهـــا وعلـــى البقية الباقية من مخزونها الذي يمكِّنُها من الانبعاث من جديد، خاصـــة بعـــد أن دقَّ ناقوس الخطر المنذر بأفول الحضارة المادية التي " شَيَّأَتْ " الإنسان، فلم يعد يتعرف لا على ذاته ولا على القيّم التي بها يكون إنسانا، فآثر أن يُنهي التاريخ ويتـــبنى صـــراع الحضارات وصدامها بدل تعايشها وحوارها.

- عند دراسة العهد القديم يُلاحظ أن هناك تناقضا صارخا، وتضاربا بيِّنـــا في النصوص، بين دعوتها للحوار مع الآخر وحسن التعامل معه، وبين دعوتها إلى " الـــلا حوار" و" اللا تواصل" معه، والسبب في ذلك يعود إلى ازدواجية "مفهوم الآخـــر" في الفكر اليهودي، فإن كان الآخر يهوديا يُعامل بأخلاق الوصايا العشـــر، وإن كـــان " أمميا" من " الغويم والأغيار"، فيعامل بوصايا الرذيلة وسوء الأخلاق فيُتَعَامـــل معـــه بالربّا، وشهادة الزور، كما تُباح سرقته وخيانته باسم "شعب الله المختار"، و يُعد هذا تشريعا واضحا للعنصرية والدعوة إليها، فالآخر لا يستحق معاني اللطف والموادعة، لذا نجد العهد القديم يصف غير اليهودي بأنه نجس لا كرامة له، خُلق للاسترقاق والخدمة، و إلاَّ يُباد، والصلح معه لا يحمل إلا معنى واحدا هو استسلامه وخضوعه لليهـــودي

كي يفعل به ما يشاء.

- والناظر للنصوص "التلمود" و التي يعتمد عليها اليهود أكثر من اعتمادهم على نصوص العهد القديم، يجدها تُؤَصِّل للعنصرية أيضا، من خلال وصفها لليهود أنهم "جزء من الله "، أما غيرهم فهم نجسون كلاب حمير وخنازير، بل خلقوا من نطفة حيوان، وأنهم ما خلقوا على هذه الصورة الآدمية إلاَّ ليخدموا أسيادهم اليهود وحتى لا يفزعوهم.

من هذا المنطلق يأمر التلمود اليهود بعدم التعامل مع الآخر - غير اليهودي- بالرحمة والشفقة، وإنما بالغش والسرقة، لأنه لا حرمة له، ويصل الأمر إلى إباحة قتله ببساطة ودونما حرج.

وعليه فتعاليم العهد القديم والتلمود تشكل " أنا جماعي يهودي" قائم على العنصرية ورفض الآخر، وهذا يكشف مدى صعوبة التعامل مع هكذا إنسان، خاصة وهو "يَسْتَحْمِرُ" الآخر ويراه دونه لا ندَّ له، بل لا يعترف به ابتداء. كيف يمكن التحاور معه وهولا يرى المتحاور معه إلا كلبا أو خنزيرا ؟

إن النظرة الاستعلائية على الآخر تفسر لنا كثيرا من السلوكات اليهودية وعلى رأسها شساعة "خط الرجعة " اليهودي، إذ يسهل عليه التراجع عن المواقف المعلنة ونقض العهود والمواثيق والاتفاقيات المبرمة، بل و يفهمها فهما خاصا وفق المنظور اليهودي الاستعلائي، كل ذلك يتم بدافع عنصري بحت، فلا يحدث شيء إن هو بدَّل رأيه أو غيَّر موقفه مادام أن الذي يحاوره دونه ولا يساوي في نظره شيئا...

وهذا الذي حدث ويحدث مع كل رؤساء الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة عند إبرام اتفاقيات السلام، فالجانب الإسرائيلي، لا يعترف بأي اتفاق مع الجانب الفلسطيني، حتى مع وجود وسطاء دوليين. لذا كثيرا ما نسمع اشتراطهم توقيف المقاومة المسلحة - ويسمونها عنفا وإرهابا فلسطينيا- مقابل توقيف الحصار - بدل الاحتلال - عن المدن الفلسطينية تطبيقا لقاعدة:" سيِّدي لقد عظني وأنا أذبحه".

لقد بدأ الصراع اليهودي ضد الإسلام والمسلمين منذ بعثة النبي ﷺ، وقد عمل

اليهود بشتى الوسائل للقضاء عليه، إن باغتياله مباشرة وإن بالتآمر عليه لذات الغرض، إلا أن الغلبة كانت له، وللدين الذي جاء به، والذي سرعان ما طوى صفحة الصراع لانشغاله بالبناء والتعمير، فضربت الحضارة الإسلامية أروع الصور من التواصل والتعايش مع اليهود وغيرهم، وضمنت لهم مجموعة من الحقوق مكّنتهم من اعتلاء أرقى المناصب الاجتماعية والسياسية. حتى صاروا يُسمون وجودهم ضمنها " العصر الذهبي لليهود"، على العكس من ذلك، لما أمسك اليهود بزمام الأمور في فلسطين، "جعلوا أعزة أهلها أذلة"، فتعاملوا بغير المِثْل الذي عاملهم به المسلمون.

ونستنتج من ذلك أن التواصل مع اليهود في الوقت الحاضر يمكن أن يكون، لكن بشرط واحد وهو عودة أخلاق الإسلام لئن تحكم العالم، لأن الإسلام يؤمن بوجود الآخر ويدافع عنه كما رأينا ولكن المنظومة اليهودية لا تؤمن بالآخر إطلاقا، فلما حكم الإسلام أعطاهم حق الوجود الاجتماعي والسياسي حتى استوزروا وترأسوا، ولما حكموا هم سلبوا الآخر حقه في الوجود الإنساني.

- يُعد كلا من الاحتلال الصهيوني ومنع عودة اللاجئين الفلسطينيين المهجَّرين قسرا من العودة إلى ديارهم وأراضيهم من أكبر العوائق التي تواجه مسار السلام العربي الإسرائيلي، فهي من الأسباب التي ترجح لغة الصراع والصدام على لغة التطبيع والموادعة، فالصدام الحضاري مفروض على العرب والمسلمين مادامت الأرض العربية عموما وفلسطين خصوصا بما فيها مدينة القدس الشريف،- بما لها من مقام ديني وحضاري – قابعة تحت الاحتلال الصهيوني المدعم من الغرب، ومادام الشعب مهجَّرا في الشتات يُعاني القهر والاضطهاد.

فاستمرار الاحتلال الصهيوني و السكوت العالمي المتواطيء، وعدم تطبيق قرارات الأمم المتحدة و الشرعية الدولية، من شأنه أن يذكي الكره العربي الإسلامي للاحتلال الإسرائيلي، مما يؤجج المنطقة ويدفعها إلى حمام من الدماء، وإلى عنف أكثر وأكبر، فالعنف يستدعي العنف، ويصبح الحوار المسلح هو لغة الخطاب الوحيدة بين الجانبين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، سينمو الكره العربي الإسلامي باتجاه الغرب أكثر

فأكثر، لتواطئه وسكوته على الجرائم الصهيونية المرتكبة في حق الشعوب العربية والإسلامية من جهة، ومن جهة أخرى لأنه المسئول الأول عن غرس الكيان الصهيوني الغريب في قلب الوطن العربي بعد انسحاب الاستعمار البريطاني عن فلسطين، إذ سلمها لقمة سائغة للحركة الصهيونية.

إن ذاكرة الشعوب لا يمحوها طول السنون ولا تعاقب الأجيال، فالحضارات لا تُهزم في المعارك أبدا، فأي معركة هي لحظات موقوتة في مجرى تاريخ طويل، والذين يُهزمون هم أبناء الحضارات وهؤلاء قد يشكلون جيلا أو أكثر، ولكن ذلك لا يعني أبدا أن الحضارة بمكانتها المعنوية في تشكيل البشر، هي التي تُهزم أو تتراجع، بل على العكس ربما أدّت هزيمة أبناء حضارة ما إلى استفزاز الأجيال التالية لهم لجلاء وجه حضارتهم والاستنجاد بها، فيقتلوا بذلك " القابلية للاستعمار" التي عششت في قلوب من سبقوهم، وآنذاك يحررون العباد والبلاد، ويصنعون مجدهم ويجسدون بشارة نبيِّهم ﷺ الذي قال:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجرة فيقول الحجر أو الشجرة يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود."[رواه أحمد]

وقال أيضا: " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس."[رواه أحمد]

عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: "يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة، أنطلق حتى أكون من حمام مكة، قال: كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة، قال: وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: قلت والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي." [رواه أحمد]

تم بحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص
2. الكتاب المقدس

(ا)

3. أحكام أهل الذمة: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق يوسف أحمد البكري -شباكر توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام - دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،1997
4. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، تحقيق علي محمد البجاوي.
5. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992 ،تحقيق، علي محمد البجاوي.
6. الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي: أحمد قنديل عبد الرزاق، دار التراث بالقاهرة بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط، 1984.

(ب)

7. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف- بيروت
8. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1982.
9. بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم: صابر طعيمة ، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(ت)

10. تفسير المنار(تفسير القرآن الحكيم): محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط2.
11. تحفة الأحوذي: المباركفوري محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

12. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1

13. التربية في التوراة ،العهد القديم (عرض وتقويم) بميزان الإسلام: عابد توفيق الهاشمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2000

14. التعريفات: علي الجرجاني، دار الكتاب العربي-بيروت، ط1، 1405، تحقيق إبراهيم الأبياري.

15. التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، ط 6، 1985

16. تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1،1407

17. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت،

18. تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي، دار النفائس- بيروت، الطبعةالثانية، 1403هـ، تحقيق د. إحسان حقي

(ج)

19. الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة- بيروت،1407 – 1987، ط3 ، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

20. الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

21. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1405

(ح)

22. الحوار الإسلامي المسيحي: بسام داود عجك، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى 1998.

23. الحوار في القرآن: محمد حسين فضل الله، دار المنصوري للنشر، قسنطينة – الجزائر.
24. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام:آدم متز، الدار التونية للكتاب-تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة.

(خ)

25. الخراج: القاضي أبو يوسف يعقوب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت،
26. (د)
27. الدر المختار على تنوير الأبصار: محمد بن علي الحصكفي، دار الفكر، بيروت،ط2، 1386 .
28. دولة الباطل في فلسطين: محمد سويد، دار الكتاب العربي- لبنان، الطبعة الثانية، 1992
29. (ر)
30. الرسالة القبرصية (رسالة ابن تيمية الى سرجواس ملك قبرص) : أحمد بن تيمية الحراني، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1990.

(س)

31. سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، 1414 – 1994، تحقيق: محمد عبد القادر عطا
32. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
33. السيرة النبوية لابن هشام: ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى1411 ،تحقيق طه عبد الرءوف سعد

(ص)

34. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ابن حبان محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ /1993م، ،تحقيق، شعيب الأرنؤوط

35. صفوة الصفوة : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج،،دار المعرفة، بيروت،ط 2،1979 تحقيق، محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعهجي

36. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت،تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي

(ع)

37. العنصرية اليهودية وآثرها في المجتمع الإسلامي: أحمد الزغبي، مكتبة لعبيكان- الرياض، ط 1، 1418 هـ - 1998م

38. العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون: بدران أبو العينين بدران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،1984

39. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، دار مكتبة الحياة- بيروت، تحقيق: د.نزار رضا

(غ)

40. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: يوسف القرضاوي، دار الشهاب باتنة،الجزائر ،د ت

(ف)

41. الفائق في غريب الحديث: محمود الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم

42. فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي،المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ

43. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق- بيروت، ط 12، 1986

44. في فقه التدين فهما وتنزيلا : عبد المجيد النجار، كتاب الأمة، العدد(22)، محرم- 1410 هـ ، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر.

45. فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الشهاب، باتنة،الجزائر، الطبعة الثامنة، 1979

46. فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية: آي.بي.برنايتس، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1985

(ك)

47. الكتر المرصود في فضائح التلمود: عبد الله الشرقاوي، دار عمران، بيروت، ط1، 1993

48. الكتر المرصود في قواعد التلمود: يوسف نصر الله، دار القلم- دمشق، ودارة العلوم- بيروت، الطبعة الثانية، 1999.

49. كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، ط 1،1997، تحقيق،جعفر الناصري و محمد الناصري

(ل)

50. لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1

(م)

51. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة- مصر

52. مسند أبي عوانة: أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني، دار المعرفة — بيروت، ط1، 1998، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي

53. المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط 2،1403، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي

54. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1،1411 - 1990 ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

55. مختار الصحاح: الرازي محمد، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، 1995، تحقيق: محمود خاطر

56. المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي، دار المعارف- القاهرة، الطبعة الثالثة،1955، تحقيق، د. شوقي ضيف

57. موجز الأديان في القرآن:عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1998

58. ملف إسرائيل: دراسة الصهيونية السياسية: روجيه جارودي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر- دار الشروق، لبنان، الطبعة الثالثة،ترجمة كمال فودة

59. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: المسيري عبد الوهاب، قرص مضغوط، بيت العرب للتوثيق العصري والنظم

60. موسوعة القدس: قرص مضغوط، إعداد: م.محمد حسين، شركة سفير

61. معجم الإيمان المسيحي: حمودي صبحي و كوربون جان، دار المشرق، بيروت، ط 1، 1994

(ن)

62. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة- مصر

(ي)

63. اليهودية، عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية: عرفان فتاح، دار عمار- عمان، دار البيارق- لبنان، ط1، 1998.

64. اليهود في السنة المطهرة: عبد الله الشقاري، دار طيبة للنشر و التوزيع ،الرياض، ط1، 1996

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مراجع باللغة الأجنبية

65. Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse
66. LE FIGARO magazine
67. Le Nouvel Observateur

مواقع أنترنت

www.palesine-info.info
www.yahood.com
www. Religar.org
www.thegrace.org

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية ورقمها	الصفحة

البقرة

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ [256]..... 8-86

كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ [216]..... 13

إن البقر تشابه علينا [69-70]..... 59

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ [146-147].....109

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ [109].....116

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ [105].....116

وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ [113].....117

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [89].....118

فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ [90].....121

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ [44].....127

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ [142-143].....127

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ [114].....163

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ [44].....168

كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ [216].....199

آل عمران

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ.[75].....75

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا [64].....113

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ [20].....115

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ [12-13].....128

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النساء

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا [47-48].....114
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ [82].....124

المائدة

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ [51].....11
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [1].....32
وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ [18].....75
يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ [15-16].....113
قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا [59].....115
يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ [19].....119
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ [51-56].....132
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ [21].....162

الأنعام

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا [146].....41

الأعراف

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [156-157].....110
رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ [89].....118
يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا [187].....122
وأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ [137].....162

الأنفال

وإما تخافن من قوم خيانة [58].....130
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ [27].....171

التوبة

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ [7].....10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ [6].....15
إنما الصدقات للفقراء والمساكين [60].....38

هود

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا [113].....10

الحجر

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [94].....15
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [9].....39

النحل

أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [125].....7-12

الإسراء

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ [85].....122
قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ [88].....124
سُبْحَانَ الَذي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً [1].....162
فَإِذَا جَـــاءَ وعْـــدُ الآخِرَةِ [7].....164

الكهف

فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُه [34].....2- 4
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ [37].....4

طه

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا [44].....12

الأنبياء

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [107].....16- 135
ونَجَّيْنَاهُ ولُوطاً إِلَى الأَرْضِ [71].....162
ولِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً [81].....162

الحج

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا [40].....12

النور

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ [36].....136

الشعراء

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [214].....15

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ [138].....117

العنكبوت

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [46].....7- 11

لقمان

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [13].....114

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ [27].....124

الأحزاب

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [25].....140

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [24- 27].....9

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى [18].....136

الزمر

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ [67].....123

فصلت

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ [41- 42].....120

الأحقاف

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ [10].....23

ق

واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ [41].163

الحديد

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ [13].....163

المجادلة

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ [1].....4

الحشر

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ [6].....136

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا [14].....146

الممتحنة

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ [8].....6- 11

الصف

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [6- 7].....110

المنافقون

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [8].....10

المدثر

يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ [1-2].....15

الانشقاق

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ [14].....2

التين

وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ [1-3].....163

الإخلاص

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [1- 4].....123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث — الصفحة

(ا)

1. اللهم إني أعوذ بك من الحَوْر.....2
2. انطلق النبي ﷺ وأنا معه.....22
3. أن مخيريق كان حبرا عالما.....27
4. أتى رسول الله ﷺ بيت المَدَارس.....28
5. أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ.....23
6. أن أم النبي ﷺ لما دفعته إلى السعدية.....108
7. أتعرف محمدا كما تعرف ولدك؟.....109
8. أقبلت يهود إلى النبي ﷺ.....121
9. أتى رهط من يهود إلى رسول الله ﷺ 123
10. أتى رسول الله ﷺ.....123
11. أن النبي ﷺ كان أول ما قدم.....126
12. أن بني قينقاع كانوا أول يهود.....129
13. أن كفار قريش كتبوا إلى.....132
14. أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق..... 140
15. أتاه قومه فحملوه على حمار.....141
16. أتي بحيي بن أخطب.....142
17. أقام رسول الله ﷺ بالمدينة.....144
18. أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر.....145

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

19. أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوما.....145
20. أرض المحشر والمنشر.....163
21. أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت.....165
22. أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك.....167
23. إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ.....23
24. إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدى زيد بن سعنة 24
25. إن الله عز وجل يُعذِّب الذين يعذبون الناس.....35
26. إن مما دعانا إلى الإسلام.....118
27. إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم.....167
28. إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام.....168

(ب)

29. بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة.....21
30. بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ.....121
31. بعثني أهل المسجد إلى بن أبي أوفى أسأله.....151
32. بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب.....166

(ت)

33. تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ.....167

(ث)

34. ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير.....135
35. ثم نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ.....142
36. ثم خرج رسول الله ﷺ.....143

(ج)

37. جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ.....112

(ح)

38. حضرت عصابة من اليهود.....120

39. حاصرهم رسول الله ﷺ.....140
40. حاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر.....147

(خ)

41. خرج حيي بن أخطب.....139
42. خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود.....152

(ذ)

43. ذهبت أنا ورجل من الأنصار.....65

(ص)

44. صخرة بيت المقدس من صخور الجنة.....169

(ع)

45. عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله.....167

(ف)

46. فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن.....119
47. في يوم السبت للنصف من شوال.....130
48. فحاصرهم رسول الله ﷺ.....131
49. فلما اطمأن رسول الله ﷺ.....148

(ق)

50. قدمت " قتيلة " على ابنتها أسماء 7
51. قال يهودي لصاحبه.....122
52. قلت يا رسول الله: أي مسجد.....165
53. قلت يا رسول الله: أفتنا في بيت المقدس.....166
54. قلت يا رسول الله، إن ابتلينا بعدك.....166

(ك)

55. كتب رسول الله ﷺكتابا بين المهاجرين.....17
56. كنت قائما عند رسول الله ﷺ.....27

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

57. كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته.....37
58. كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها.....106
59. كانت يهود بني قريظة يدرسون.....107
60. كان من أمر بني قينقاع أن امرأة.....129
61. كانت أموال بني النضير.....136
62. كان الذين حزبوا الأحزاب.....137

(ل)

63. لما أسلم سماه النبي ﷺ.....19
64. لما سمعت برسول الله ﷺ.....19
65. لا تخرجن بابن أخيك إلى ما هاهنا.....108
66. لما قدم أهل نجران من النصارى.....117
67. لما قدم رسول الله ﷺ المدينة.....124
68. لما صرفت القبلة من الشام.....127
69. لما أصاب رسول الله ﷺ قريشا يوم بدر.....128
70. لما أجلى رسول الله ﷺ.....137
71. لأعطين الراية غدا رجلا 149
72. لما افتتح رسول الله ﷺ "القموص".....150
73. لا تشدوا الرحال إلا.....165
74. لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس.....165
75. لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون.....166
76. لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود.....203
77. لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين.....203

(م)

78. ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد 23
79. من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا.....33

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

80. من آذى ذِمِّياً فأنا خصمه.....34
81. من آذى ذميًا فقد آذاني.....34
82. من قتل معاهدًا لم يرح.....34
83. ما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ.....131
84. من أحرم من بيت المقدس بحج.....167

(و)

85. وعظ رسول الله ﷺ الناس.....146
86. وبعث إليهم رسول الله ﷺ 136
87. وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي.....167

(ي)

88. يا يهودي، ما عندي ما أعطيك.....26
89. يا معشر اليهود اتقوا الله.....119
90. يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة.....122
91. يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا.....126
92. يا نبي الله أعطني جارية.....150
93. يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة.....166- 203

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس نصوص العهد القديم

النص وموضعه	الصفحة
الخروج	
وأما موسى فصعد إلى الله	الخروج 19: 3-7.....45
لا يكن لك آلهة أخرى أمامي	الخروج 20: 3- 18.....47
لا تزن	الخروج 20: 14.....63
لا تسرق	الخروج 20: 15.....63
لا تشهد على قريبك	الخروج 20: 16.....62
لا تقدر أن ترى وجهي	الخروج 23: 20 – 23.....45
قال الربّ لموسى: رأيتُ	الخروج 32: 9 – 10.....51
العدد	
وقال الربّ لموسى: حتى متى	العدد 14: 11 – 12.....46
وكلم الربّ موسى وهارون قائلا:	العدد 14: 26- 35.....52
مباركك مبارك ولاعنك ملعون	العدد 24: 9.....46
فحمي غضب الربّ على إسرائيل	العدد 25: 3 – 5.....61
التثنية	
إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد	التثنية 4: 25 – 27.....51
إن الربّ هو الإله في السماء.	التثنية 4: 39.....44

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الربّ إلهنا رب واحد — التثنية 6: 4- 5.....44
وتأكل الشعوب الذين — التثنية 7: 16- 24.....57
مبارك تكون فوق جميع الشعوب — التثنية8: 14 46
فاحفظوا كل الوصايا — التثنية 11: 8- 12.....174
أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة — التثنية 11: 26 – 29.....50
فضَرباً تَضرب سكان تلك المدينة — التثنية 13: 15- 18.....60
أنتم أولاد للرب إلهكم — التثنية 14: 1- 3.....46
حين تقرب من مدينة لكي تحاربها — التثنية 20: 10 – 16.....60
ويجعلك الربّ رأسا لا ذنبا — التثنية 28: 13- 18.....45
لا تُقرض أخاك بربا — التثنية 23: 19- 20.....62
جيل أعوج، يا شعبا غبيا غير حكيم — التثنية 32: 5.....52
إنهم أمة عديمة الرأي — التثنية 32: 28.....52

الملوك الأول

ليعلم كل شعوب الأرض — الملوك الأول 8: 60.....44
إن انقلبتم و أبناؤكم من ورائي — الملوك الأول 9: 6 – 9.....50
لأن الربّ أحب إسرائيل إلى الأبد — الملوك الأول 10: 9.....46

عزرا

والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم — عزرا 9: 12 – 15.....57
إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة — عزرا 10: 10.....57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المزامير

لكلماتي أصغ يا رب. المزامير 5 :1- 8.....48
يا ربّ لا توبخني بغضبك لمزامير 6: 1 – 7.....48
أما نسل الأشرار فينقطع المزامير 37: 28- 39.....55
الصدّيقون يرثون الأرض المزامير37: 29- 32.....55
بك يا ربُّ احتميتُ المزامير 70: 1 – 13.....49
الربّ لي فلا أخاف. المزامير 118: 6 – 35.....49

الأمثال

لا تدع الرحمة والحق يتركانك الأمثال 3: 3- 4.....54
الجواب اللّين يصرف الغضب الأمثال 15: 1- 2.....54
تواضع الروح مع الودعاء الأمثال 16: 19 – 21.....54
مخافة الربّ أدب وحكمة الأمثال 15: 33.....54
لا تسلب الفقير لكونه فقيرا الأمثال 22: 22 – 23.....54
لا يحسدن قلبك الخاطئين الأمثال 23: 17.....55
وسبعة هي مكرهة نفسه الأمثال 6: 16- 19.....55

أشعيا

أنا الأول والآخر. أشعيا 6:4.....44
إني أنا الله، وليس غيري إلها أشعيا: 9:46.....45
هكذا قال السيد الربّ فر أشعيا 49: 22- 23.....46
ويعرف بين الأمم نسلهم أشعيا 21: 9.....46

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقف الأجانب ويرعون غنمكم أشعيا 60: 5 – 7.....56
وبنو الغريب يبنون أسوارك أشعيا 60: 10.....58
لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك أشعيا 60: 12.....58

إرميا

الذين أبوا أن يسمعوا كلامي إرميا 11: 10 – 13.....51
حقا إنه كما تخون المرأة قرينها إرميا 3: 20.....51
لأن شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا إرميا 4: 22.....52
اسمع هذا أيها الشعب الجاهل إرميا 5 :21 – 28.....53

حزقيال

النفس التي تخطيء فهي تموت حزقيال 20: 18.....47
يكفيكم كل رجاساتكم حزقيال 44: 6- 7.....57
ابن الغريب أغلف القلب حزقيال 44: 9.....57

دانيال

والآتي عليه يفعل كإرادته دانيال 16:11.....174

يشوع

ثم رجع ياشوع في ذلك الوقت يشوع 11: 10 – 15.....60

زكريا

ترنَّمي وافرحي يا بنت صهيون. زكريا2: 10-12.....174

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

الاسم — الصفحة

(أ)

أبا القاسم ﷺ 121-122

إبراهيم عليه السلام 127-160-170

أم سلمة (أم المؤمنين) 135

أبو أيوب الأنصاري ﷺ 21

أبو سفيان بن حرب ﷺ 36

أبو بكر الصديق ﷺ 135

أبي طلحة ﷺ 146

أبي ذر الغفاري ﷺ 165-166-167-203

أبي الدرداء ﷺ 166

أبي حوالة الأزدي ﷺ 167

أبو هريرة ﷺ 147

أبو عبيدة بن الجراح ﷺ 33

أنس بن مالك ﷺ ..... 21- 112 - 145- 150 .-165

ابن عباس ﷺ ..... 13- 117-119 – 121

124- 127-163-169

ابن أم مكتوم ﷺ 138

أسماء بنت أبي بكر ﷺ 6

السعدية حليمة ﷺ 108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد بن حنبل 88-89
أبو نصر صدقة بن يوسف 95
أبو سعد التستري..... 95
أبو ميمون عبد المجيد (الحافظ لدين الله) 98
أبو منصور 99
أبو المعالي بن تمام 99
أبو المنى ابراهيم بن موسى بن ميمون 100
أبو بكر محمد بن عباس المكي 88
أبو البركات بن شعيا..... 100
أبو الفخر سعيد الدولة 100
أبو محمد علي بن المعتضد بالله 101
أبو الهيثم بن التيهان..... 119
أبو القاسم 99
أبو منصور (الطبيب الياهودي) 99
أبو طالب 108
أبي صخر العقلي..... 112
أبي عون..... 129
أبي معتب بن عمرو 145
أسير بن زارم 145-147
أحمد الزغبي..... 104
ألفريد لينتال 105
أبراهام ليون..... 105
أريوديا هاغاه..... 78
أكثم بن صيفي..... 89
إسحاق رابين..... 83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إسماعيل بن يوسف بن نغرلا اليهودي..... 95
ابن قرقة..... 99
ابن سعد..... 130- 136- 137-146
ابن كثير..... 112
ابن حزم الضاهري 31
ابن جرير (الطبري)..... 12-119-127
ابن تيمية..... 32
ابن قيّم الجوزية..... 13
ابن هشام..... 18 -118- 119
ابن إسحاق..... 19 -27- 123- 129-135-
150-148-143-142-141
ابن صلوبا..... 124
ابن اراوندي (أحمد بن يحيى بن اسحاق أبو الحسين)..... 89
ابن أبي أوفى..... 151
إسرائيل شاهاك..... 83
إسرائيل ولغنسون 104
إسحاق بن عبد الله 108
إرم 118
أبو سعد..... 93
أوس الله..... 137
أسعد الدين يعقوب بن إسحاق..... 100
ألكسندر الثاني 156
أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي..... 96
أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري..... 145
أشعيا..... 174

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ.رابين 179
أيور دايا 77
اسموديه 73
آدم متز..... 94-92-91-86
آخاد هاعام 156
آمحزون محمد..... 155
الحارث أبو زينب..... 147
البراء بن معرور..... 147-119
البراء بن عازب 126
القرافي 37-32
الواقدي..... 26
القرطبي 109
الأوس..... 132-118-18-15
الخزرج..... 132-131-118-15
البلاذري..... 26
الرابي مناحم..... 77
الرابي اسماعيل..... 80
الرابي صموئيل..... 81
الرابي كهانا..... 81
الرابي موسى 81
الرابي برنز..... 81
الربي بتاحيا 94-93-87
الحسن بن خاقان 95
الحاخام أباربانيل..... 79- 77
الحاخام رشي..... 82

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحاخام شار..... 83
الحاخام أكيبا.....80
الحاخام رشي..... 80
الحاخام أريل..... 78
الحجاج بن عمرو 127
الربّيع بن الربّيع بن أبي الحقيق.....127
الطفيل بن عمرو..... 147
المقداد بن الأسود 152
الموشاف..... 157
المنذر بن قدامة السلمي..... 130
الشرقاوي..... 64
الكيبوتز..... 157
الهاقاناه..... 176
الإرجون..... 176
الشريف أبي عبد الله الحفيد..... 96
الشولوشان أروخ..... 78
الفضل بن الرابيع 95
الشولوحان عاروخ 83
الوركاني جار أحمد بن حنبل..... 88
الضاهر برقوق 90-89

(ب)

بلال بن رباح ﷺ 150-149
بني قريظة..... 15-107-133-137-138
143-142-141-139-

بني النظير ..... 15-26- 132 -133 -134 -
143 -138 -137 -136 – 135
بني عوف..... 17- 18 – 131
بني النجار..... 17
بني الحارث..... 18
بني جشم..... 18
بني ثعلبة..... 18
بني الشطيبة..... 18
بني عمرو بن عوف..... 20
بني عمرو بن قريظة..... 137-139
بني عبد المطلب..... 25 – 147
بني قينقاع..... 26 – 128-129-143-216
بني ساعدة..... 18
بني الأوس..... 18
بني القطيون..... 26
بن عمون..... 49
بني مناف..... 107
بني السلم..... 130
بني عامر 135
بني وائل..... 137
بني عبد الأشهل..... 142
بني أبي الحقيق..... 147-150
باديس بن حابوس (ملك غرناطة)..... 95
بشر بن البراء بن معرور..... 147- 148 - 149
بحيرا الراهب..... 108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بَحري بن عمرو.....123
بترياليق الأرمن.....91
بختنصر.....77
بيجن مناحيم.....182-159-157

(ت)

تيودور هرتزل.....177-157-156

(ث)

ثوبان مولى رسول الله ﷺ.....27

(ج)

جبريل عليه السلام.....140-123-121-21
جريجرة رضي الله عنه.....26
جنادة بن أبي أمية الأزدي.....165
جبل بن أبي قشير.....122
جبل بن عمرو بن سكينة.....124
جعفر المقتدر.....101
جولدا مائير.....158
جوزيف كارو.....83

(ح)

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.....130
حييّ بن أخطب النضري.....139-137-136
150-143-142-141
حوح بن عمرو.....137
حاييم وايزمان.....105
حسراي بن شفروط.....102
حيرت.....157

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جوشوا 65

(خ)

خالدة ابنة الحارث رضي الله عنها..... 20

(د)

داود عليه السلام ..... 122- 155 -170

دحية (الكلبي) رضي الله عنه..... 150

داغوبيرد رونيس..... 104

دياسابورا..... 158 -176

ديفد بن غوريون..... 158-173- 189 -190

دانيال..... 173

دافار..... 179

(ذ)

ذي الأصابع رضي الله عنه 166

(ل)

ليوبينسكر..... 155

(ع)

عيسى عليه السلام 70-110-117

عائشة رضي الله عنها..... 106

عبد الله بن سلام رضي الله عنه ..... 19 -21-22-23-24

عبد الله بن عمرو رضي الله عنه..... 34

عبد الله بن عمر رضي الله عنه..... 152 -165

عبد الله بن عباس رضي الله عنه..... 120

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه 121

عثمان بن طلحة رضي الله عنه..... 137

علي بن أي طالب رضي الله عنه..... 24 -26-35-40-144-149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عامر بن عبد الله بن الزبير ﷺ 6
عمر بن الخطاب ﷺ 24-25-38-39
109-112-136-152
عبادة بن الصامت ﷺ..... 130-131
عثمان بن عفان ﷺ..... 25
عمر بن عبد العزيز..... 38
عبد الوهاب المسيري..... 3
عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب..... 132
عبد الله بن أبي بن سلول..... 130-131-132
عبد الله بن صوريا..... 28-124
عبد الحق بن أبي سعيد..... 96
عبد الملك بن عمير..... 35
عبد الملك بن مروان..... 169-203
عبد الناصر شوقي..... 64
عبد الرحمن الثالث..... 102
عقبة بن وهب..... 119
عوف بن مالك الأشجعي..... 22-167
عروة بن الزبير..... 137- 139-144
عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب..... 106
عتبة بن ربيعة..... 106
عاصم بن عمر بن قتادة..... 107- 118-129-131
عمرو بن أمية الضمري..... 135
عزير ابن أبي عزير..... 123
عرفات (ياسر)..... 196
عبادة بن الوليد 131

عثمان بن يهوذا..... 137-139
عـــــاد..... 118

(س)

سليمان بن داود عليه السلام 165
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه..... 23
سعد بن معاذ (أبو عمرو) رضي الله عنه 141-142
سعد بن عبادة..... 119-138
سعد بن خيثمة..... 130
سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى..... 108
سعيد بن جبير..... 123
سهل بن سعد 149
سلام بن مشكم..... 123- 146- 147- 148
سلمان..... 138
ساسون حسقيل..... 104
"سيمون بن لاكيش..... 68

(ش)

شرف الدين يحي المناوي..... 89
شمويل ابن زيد..... 122-124
شتيرن..... 176
شارون (أريال)..... 157- 179- 189
شيمون بيريز..... 179

(ص)

صفوان بن عسال..... 122
صفية بنت حيي بن أخطب (أم المؤمنين)..... 150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صمويل بن نغريلة..... 103

(ف)

فروة بن عمرو البياضي..... 147
فنحاص..... 123
فرعون..... 12
فلاديمير جابوتنسكي..... 157
فابيان..... 70

(ق)

قردم بن عمرو..... 127
قتيلة..... 6
قتادة..... 11
قطلوشاه..... 32

(ر)

رافع بن حرملة..... 117-119
رافع بن أبي رافع..... 127
رفاعة بن قيس..... 127
روشابيل..... 97
روزفالت..... 177

(ز)

زينب بنت الحارث..... 147- 148
زيد بن سعنة..... 24-25
زيد بن حارثة..... 138
زيد بن ثابت..... 147

(ك)

كعب بن أسد..... 124-139-141-143

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كعب بن الأشرف..... 127
كعب بن مالك.....119-132
كنانة بن الربّيع بن أبي الحقيق..... 124-127-137

(ل)

ليفي لبن شما..... 68
لبابة بن عبد المنذر العمري..... 130

(م)

محمد ﷺ 17-18-23-24-25-
-26-27-36-105-112-22-
-123-124-126-127-131-
-139-141-146-149-164-
168-169
معاذ بن جبل..... 119
محمد بن حمزة..... 24
محمد بن اسحاق.....117
محمد بن مسلمة..... 131- 136
محمد بن كعب..... 137- 139
محمد بن إسحاق المطلبي..... 144
محمد بن أبي المجالد 151
محمد بن أبي بكر بن أيوب (الملك الكامل)
محمد سويد..... 169
محمد التهامي.....171
محمود بن سَيْحان.....123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

موسى عليه السلام.....12-70-41-44-50-
-51-59-60-62-65
-81-83-96-110
-111-117-118
119-120-162-172
موسى إيسيرلز.....83
موسى بن ميمون.....100- 103
موسى بن حانوخ..... 102
موسى بن عزرا.....103
مسافر بن أبي عمر و.....106
مخيريق النضري.....26-27
مسور بن مخرمة.....144
مروان بن الحكم.....144
موشي هس.....155
موشي دايان..... 159- 189
موشي ليلينبلوم..... 160
مزراحي..... 157
ميمونة مولاة النبي ﷺ 166
ميدراس تاليبوث..... 77
ميمونيد..... 82

(ن)

نميلة بن عبد الله الليثي..... 144
نملة بنت أبي نملة..... 107
نعيم قطان..... 105

نعمان بن أضاء..... 123
نصر الله يوسف..... 73

(هـ)

هارون عليه السلام..... 15-12
هارون بن عمران..... 92
هارون صاحب شاويل..... 96
هوشع..... 172-63-62
هوليون بن زاكون..... 104
هيامسون (المؤرخ اليهودي)..... 104
هشام بن الوليد بن المغيرة..... 106
هيرش كاليشر..... 155
هازيت موليديت..... 182

(و)

وايزمن (عزرا) 157
وهب بن يهوذا..... 119

(ي)

يزيد بن رومان 135
يزيد بن زياد 139-137
يوسف فايتز..... 177
يهودا اللاوي (هليفي)..... 103

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس

الفصل الأول: الأسس الفكرية للحوار 1

المبحث الأول : الحوار في الأصول الفكرية الإسلامية 2

1- القرآن الكريم 5

أ- مواقف ما قبل الصراع والصدام: 6

ب- مواقف ما بعد الصراع والصدام: 11

2- السنة النبوية: 15

أ- كتاب المعاهدة مع اليهود: 17

ب- نماذج من حوارات النبي مع اليهود: 19

عبد الله بن سلام: 19

زيد بن سعنة 24

جُرَيْجِرَة 26

مخيريق النضري 26

بعض السائلين : 27

3- السياسة الشرعية 29

حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية 31

الحماية من العدوان الخارجي 31

الحماية من العدوان الداخلي 33

حماية الدماء والأبدان 34

حماية الأموال 36

حماية الأعراض 37

المبحث الثاني: الحوار في الأصول الفكرية اليهودية 41

1- الحوار في العهد القديم 43

أ- محاورة الربّ لبني إسرائيل تأييدا ومدحا لهم عند الالتزام: 43

توحيد الربّ: 43

الوصايا العشر: 45

دعاء الربّ ومناجاته: 47

ب- نماذج من تأنيب الربّ لبني إسرائيل والأخذ على أيديهم: 49

ج- أمر التوراة بالحوار مع الآخر وحسن التخلق معه: 53

د- الأوامر المفتراة على الربّ بأن لا حوار، ولا مصالحة مع الآخر: 55

الآخر الغريب نجس و لا كرامة له: 55

مصاهرة غير اليهودي خيانة للربّ 56
إسترقاق الجار 57
الطرد و الإبادة لمن لا يطيع اليهود 58
معنى الصلح التوراتي 58
خلاصة و استنتاج 60
أكل الربا 60
شهادة الزور 61
السرقة 62
الزنى والإباحية 62
إباحة الكفر والخيانة 63
2- الحوار في التلمود 64
أ- تعريف التلمود: 64
ب- أصل التلمود 65
ج- أقسام التلمود 66
د- منزلة التلمود وأهميته عند اليهود: 68
هـ- علاقة التلمود بالربّ 73
و- التلمود والآخر 74
اليهودي جزء من الله 75
غير اليهود: كلاب وحمير وخنازير 76
الآخر نجس 78
عدم الشفقة على الآخر 79
جواز الغش والنفاق وسرقة الآخر 79
قتل غير اليهودي مباح 82

الفصل الثاني: أساليب الحوار 84

المبحث الأول: أسلوب التواصل 85
1- نماذج من التواصل الاجتماعي 85
أ- الحرية الدينية: 86
ب- التوزيع السكاني: 86
ج- التجارة والحرفية: 91
2- نماذج من التواصل السياسي 93
أ- حرية القضاء: 93
ب- رجال الدولة: 94
ج-بعض العلماء والأطباء: 98
د- شهادات بعض اليهود 104

المبحث الثاني: أسلوب الصراع 106

1- بعض مظاهر الصراع قبل البعثة 106
أ-محاولات اليهود للكيد له عند ولادته 106
ب- محاولات القضاء عليه في صباه: 108
2- بعض مظاهر الصراع بعد البعثة 109
أ- موقف اليهود من نبوته ﷺ 109
القرآن وطبيعة الرفض اليهودي 109
اليهود وذهنية العناد والاستكبار 113
حسدهم للمسلمين 116
إنكارهم ما عند خصومهم من حق 117
ب- مواقف اليهود مع النبي ﷺ بعد البعثة 118
من الانتظار والترقب إلى الرفض والتنكر 118
أسئلة الحرب الباردة 120
إعلان العداء وبداية المواجهة 125
حادثة تحويل القبلة وموقف اليهود من ذلك 126
غزوة بني قينقاع 128
سبب الغزوة ونتائجها 129
غزوة بني النضير 132
سبب الغزوة و نتائجها 134
علاقة اليهود بغزوة الخندق 137
غزوة بني قريظة 140
نهاية بني قريظة 141
مقتل حييّ بن أخطب النضري 142
فتح خيبر 143
نتائج الغزوة 146
نهاية يهود خيبر وقسمة غنائمهم 151

الفصل الثالث: معوقات الحوار 153

المبحث الأول: عائق الاحتلال الصهيوني 154
1- الصهيونية و الاحتلال 155
2- منزلة فلسطين والقدس عند المسلمين 162
أ-القدس و القرآن 162
ب-القدس والسنة النبوية 165
- الارتباط العقدي: 168
الارتباط التعبدي: 168
- الارتباط الحضاري والثقافي: 169
- مسجد الصخرة: 169
مقام إبراهيم الخليل: 170

-مقام النبي داود: 170

المبحث الثاني: عائق عودة اللاجئين و تهويد القدس 172

1- خطة الهجرة اليهودية و التهجير الفلسطيني 172

مكانة الأرض المقدسة عند اليهود وهاجس العودة 172

الخطة العملية للهجرة والاستيطان 176

أعداد المهاجرين الاستيطانيين إلى فلسطين منذ عام 1882 حتى عام 1997 183

خلاصة واستنتاج 187

2- تهويد القدس 189

بيت المقدس وقرارات الأمم المتحدة 197

الخاتمة 199

قائمة المصادر والمراجع 204

فهرس الآيات القرآنية 211

فهرس الأحاديث النبوية 216

فهرس نصوص العهد القديم 221

فهرس الأعلام 225

الفهرس العام 239

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية